

مجلة

ضياء الفكر



تصدر عن جمعية المركز العلمي للتعاون والتنمية الثقافية



Print ISSN: 3006-5356
Online ISSN: 3006-5364

مجلة فصلية محكمة تُعنى بالعلوم الإنسانية والاجتماعية وفروعها كافة
عدد خاص بمؤتمر بيروت العلمي الدولي الثاني ٢٩ – ٣٠ نيسان ٢٠٢٤



دار النهضة العربية
بيروت – لبنان

جمعية المركز العلمي للتعاون والتنمية والثقافية

مجلة ضياء الفكر للبحوث والدراسات

دورية علمية دولية محكمة فصلية

Print ISSN: 3006-5356

Online ISSN: 3006-5364

عدد خاص بمؤتمر بيروت العلمي الدولي الثاني

للعلوم الإنسانية والصرفة

(البحث العلمي طريق التنمية المعاصرة)

٢٩ - ٣٠ نيسان ٢٠٢٤

المجلد الرابع



نبذة عن المجلة

مجلة ضياء الفكر للبحوث والدراسات هي دورية علمية محكمة فصلية، تصدر عن جمعية المركز العلمي للتعاون والتنمية الثقافية في لبنان، يرأس تحريرها الدكتورة فاتن علي بدران، ويُعنى بنشرها وتوزيعها: دار النهضة العربية / بيروت - لبنان.

وتُنشر عبر صفحاتها على الأنترنت www.diaalfekr.com

<https://ojs.diaalfekr.com>

وهي مرخصة من قبل المجلس الوطني للإعلام المرئي والمسموع

التابع لوزارة الإعلام، تحت الرقم 72/ 23

حائزة على الرقم المعياري الدولي

للطبعة الورقية Print ISSN: 3006-5356

وللنسخة الإلكترونية Online ISSN: 3006-5364



دار النهضة العربية

بيروت - لبنان

مجلة ضياء الفكر للبحوث والدراسات

دورية علمية محكمة فصلية

تصدر من بيروت - لبنان، عن جمعية المركز العلمي

للتعاون والتنمية الثقافية

رئيس التحرير

الدكتورة فaten علي بدران

رئيس المركز العلمي للتعاون والتنمية الثقافية

مدير التحرير

الدكتور حسين نايف نابلسي

مدير الجامعة الأمريكية للثقافة والتعليم - فرع النبطية

الهيئة الاستشارية

أ. د. محمد توفيق أبو علي، عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية/ الجامعة اللبنانية سابقاً، شاعر وكاتب،
والأمين العام لاتحاد الكتاب اللبنانيين سابقاً - لبنان.

أ. د. محمد حسين نزيه منصور، خبير اقتصادي ومستشار في البنك الدولي، مؤسس المعهد الأوروبي
لدراسات الشرق الأوسط، وأستاذ محاضر الجامعة الأمريكية في بيروت - لبنان.

أ. د. يوسف خليل السبعائي، مستشار بجامعة الدول العربية، ونائب رئيس المركز العربي للبحوث القانونية
والقضائية - مجلس وزراء العدل العرب.

أ. م. د. فاهم يحي أحمد بجاش، عميد مركز التطوير الأكاديمي وضمان الجودة/ جامعة البيضاء/ اليمن.

الهيئة التحريرية والعلمية

- أ. د. علي محمود علي شبيب، عميد كلية التربية/ جامعة المنوفية سابقاً - مصر .
- أ. د. حميد سراج جابر، عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة البصرة - العراق .
- أ. د. أحمد محمد رباح، عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية/ الجامعة اللبنانية سابقاً - لبنان .
- أ. د. عقيل سرحان محمد، رئيس جامعة ساوة الأهلية - العراق .
- أ. د. حاكمة توفيق أبو علي، كلية الفنون الجميلة والعمارة/ الجامعة اللبنانية، مخرجة ومعدة برامج تلفزيونية ومشاركة في مهرجانات مسرحية عالمية في فرنسا وعدة دول عربية - لبنان .
- أ. د. أياد عبد الحسين الخفاجي، كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء - العراق .
- أ. د. أحمد أنور العلمي، عميد كلية التربية/ جامعة طرابلس، وأستاذ مشرف على أطاريح الدكتوراه في جامعة القديس يوسف بيروت - لبنان .
- أ. د. سعد توفيق عزيز البزاز، كلية الآداب/ جامعة الموصل - العراق .
- أ. د. ضرغام كريم كاظم الموسوي، عميد كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء - العراق .
- أ. د. جمانة توفيق أبو علي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية/ كلية التربية/ الجامعة اللبنانية - لبنان .
- أ. د. حمديه صالح دلي الجبوري، كلية التربية/ جامعة القادسية - العراق .
- أ. د. بهاء أحمد يحيى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية/ الجامعة اللبنانية - لبنان .
- أ. د. عمار محمد يونس، كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء - العراق .
- أ. م. د. علي ناصر ناصر، العميد التنفيذي في كلية العلوم والفنون/ الجامعة اللبنانية الدولية - لبنان .
- أ. م. د. ثامر راشد شيال الزبيدي، رئيس قسم اللغة الإنكليزية في كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة واسط - العراق .
- أ. م. د. أصيل محمد كاظم، كلية التربية/ جامعة القادسية - العراق .
- أ. م. د. محمد إبراهيم قانصو، كلية الحقوق/ الجامعة الإسلامية، وكلية إدارة الأعمال/ الجامعة اللبنانية .
- د. سعيد محمد عبد الكحلوت، رئيس قسم التدقيق السريري بالإدارة العامة للصحة النفسية/ وزارة الصحة الفلسطينية - فلسطين .

- د. محمد فتيني محمد كنباش، كلية الآداب/ جامعة الحديدة - اليمن.
- د. عباس محمد جميل الآغا، كلية التربية/ جامعة الحمدانية - العراق.
- د. أنور شرف مهيوب الزبيري، عميد كلية الآداب/ جامعة الحديدة سابقاً - اليمن.
- د. عبدالله علي الموسوي، جامعة القديس يوسف بيروت - لبنان.
- التدقيق اللغوي للبحوث: أ. هنادي محمد عوالي، (اللغة العربية وآدابها - تخصص لغوي).

للاتصال والمراسلات:

هاتف المجلة: 0096170820078

الموقع الإلكتروني: www.diaalfekr.com

وعلى منصة نظام المجلات المفتوحة: <https://ojs.diaalfekr.com>

البريد الإلكتروني: diaalfekr.sj.lb@hotmail.com

شروط النشر وقواعده في المجلة

قواعد عامة:

تنشر مجلة "ضياء الفكر" البحوث والدراسات العلمية الأصيلة والمبتكرة المكتوبة باللغة العربية أو إحدى اللغتين الإنجليزية أو الفرنسية، التي لم يسبق نشرها في أية وسيلة نشر أخرى سواء أكانت ورقية أم إلكترونية، أو أنها مقدمة للنشر في مجلة أخرى. وذلك في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، التربوية، النفسية، الإدارية، الاقتصادية، القانونية، الجغرافية، التاريخية وغيرها. كما وتقبل المجلة نشر البحوث والنصوص المترجمة أو المحققة أو مراجعات الكتب.

ترحب المجلة أيضاً بنشر وقائع المؤتمرات والمنتديات العلمية والنشاطات الأكاديمية الأخرى في مجال تخصصها، وملخصات الرسائل وأطاريح الدكتوراه على أن يكون الملخص من إعداد صاحب الرسالة نفسه. تُعبر البحوث المنشورة عن آراء كتّابها، ولا تعكس آراء المجلة، ويخضع ترتيب الدراسات فيها لمعايير فنية خاصة بالمجلة.

يُعدّ البحث، بعد قبوله للنشر، حقاً محفوظاً للمجلة، فلا يجوز النقل منه إلا بالإشارة إليها. حيث يوافق المؤلف على نقل حقوق النشر والطباعة لمجلة ضياء الفكر للبحوث والدراسات بمجرد إرساله للبحث. ويحقّ له إعادة نشر بحثه بعد مرور سنتين في كتاب شريطة حصوله على موافقة خطية من هيئة التحرير، والإشارة إلى المجلة وفق الأصول المعتمدة.

خطوات النشر:

- يُرسل الباحث بحثه إلى هيئة التحرير عبر بريدها الإلكتروني بصيغة مايكروسوفت وورد (Word).
- يُرسل رئيس التحرير إلى الباحث إشعاراً بوصول البحث ضمن مدّة لا تتعدّى الأسبوع الواحد.
- يُعرض البحث على برنامج خاص لكشف الاستلال، حيث يتم رفض نشر الأبحاث التي تزيد فيها نسبة (الاستلال) عن المعدل المقبول دولياً.
- تُعرض البحوث المرسلة على لجنة التحكيم، بعد حذف أسماء أصحابها وعناوينهم توخياً للموضوعية والأمانة العلمية.
- يُبلغ الباحث بقرار لجنة التحكيم بصلاحيّة بحثه للنشر أو عدمها ضمن مدّة لا تتجاوز ستّة أسابيع.
- تُرسل هيئة التحرير تقرير اللجنة التحكيمية إلى الباحث في حال تضمّن ملحوظات تستلزم التعديل، على أن يرّد إليها النسخة المعدلة في أقلّ من شهر من تاريخ إرسال التقرير.
- معاودة عرض النسخة المعدلة على لجنة التحكيم، وإبلاغ الباحث بنتيجة التحكيم قبولاً أو اعتذاراً.

تعليمات الكتابة في المجلة:

يتبع الباحث الخطوات الآتية في إعداد بحثه:

تنسيق البحث ضمن صيغة مايكروسوفت وورد (word) ، وضرورة أن يكون مراعيًا لشروط البحث العلمي ومتطلباته، ومكتوبًا بلغة سليمة مع مراعاة علامات الوقف المطلوبة.

تتضمن الصفحة الأولى من البحث كتابة العنوان وسط الصفحة بخط غامق حجم (١٨) للبحوث المكتوبة باللغة العربية، و(١٦) للمكتوبة باللغة الأجنبية، وتحت إلى اليسار اسم الباحث، وعنوان المراسلة بخط غامق (١٤). وملخص للبحث (Abstract) في حدود (١٥٠ كلمة) باللغة العربية واللغة الإنجليزية، على أن يكون حجم الخط (١٢). وإن كانت الدراسة مكتوبة باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، فيكتفي بإضافة ملخص باللغة العربية، مع تذييل الملخص بكلمات مفتاحية (Keywords) تُعبّر عن المحتوى الدقيق للبحث، وتُكتب بخط غامق حجم (١٢).

ضرورة ألا تقل عدد صفحات البحث عن ١٢ صفحة، وألا تزيد عن ٢٠ صفحة من الحجم العادي قياس (A4). ويكون نوع الخط وحجمه وفق شروط النشر الآتية:

نوع الخط في البحوث باللغة العربية هو (Simplified Arabic)، أما حجمه فهو ١٦ غامق (Bold) للعنوان الرئيس، و ١٤ غامق للعناوين الفرعية، و ١٤ عادي للمتن وترقيم الصفحات؛ على ألا تقل المسافة بين الأسطر عن ١٠.١٥. أما حجم الخط للجداول والأشكال والرسوم التوضيحية فهو ١٢ عادي، في حين يكون حجمه ١٠ عاديًا للملخص والهوامش السفلى.

نوع الخط في البحوث باللغتين الإنجليزية والفرنسية هو (Times New Roman)، أما حجم الخط فهو ١٦ غامق للعنوان الرئيس، و ١٣ غامق للعناوين الفرعية، و ١٣ عادي للمتن وترقيم الصفحات؛ على ألا تقل المسافة بين الأسطر عن ١٠.١٥. أما حجم الخط فهو ١١ عادي للجداول والأشكال والرسوم التوضيحية، في حين يكون حجمه ٩ عاديًا للملخص والهوامش السفلى.

يُراعى عند تقديم البحث التباعد المفرد مع ترك هوامش مناسبة (٢.٥ سم) من جميع الجهات (أعلى - أسفل - يمين - يسار).

ضرورة ترقيم كل من الأشكال والجداول على التوالي حسب ورودها في البحث بحجم ٨، وتزويدها بعناوين صغيرة في أسفلها بحجم ٩، على أن يشار إلى كل منها في متن البحث بأرقامها.

تُكتب هوامش الصفحات السفلية بخط عادي (١٠)، وتُستخدم لإيراد أي ملحوظة، أو لتوضيح أي معلومة واردة في متن البحث، ويستخدم للإحالة إليها نجمة مرتفعة عن النص بالشكل الآتي (*).

توثق المصادر والمراجع في داخل المتن بالشكل الآتي: (اسم المؤلف، سنة النشر: رقم الصفحة)، وذلك للإحالة إلى مصدر المعلومات في قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث ضمن قائمة مرتبة ترتيبًا ألفبائيًا.

ويجب تنظيم قائمة المراجع بأسلوب APA .

عدد خاص

بمؤتمر بيروت العلمي الدولي الثاني
للعلوم الإنسانية والصرفة



تحت عنوان

(البحث العلمي طريق التنمية المعاصرة)

يقيم

المركز العلمي للتعاون والتنمية الثقافية - لبنان

جامعة الآداب والعلوم والتكنولوجيا في لبنان (AUL)

كلية التربية للعلوم الصرفة/ جامعة الموصل - العراق

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل - العراق

معهد الأكليل للعلوم الصحية والتقنية والإدارية/ الحديدة - اليمن

مركز إقرأ للدراسات الثقافية والتعليمية - العراق

" مؤتمر بيروت العلمي الدولي الثاني للعلوم الإنسانية والصرفة "

بيروت

٢٩ - ٣٠ أبريل ٢٠٢٤ م



رئيس المؤتمر

البروفسور قصي كمال الدين الأحمد
رئيس جامعة الموصل – العراق

رئيس الهيئة العليا للمؤتمر

البروفسور بسام ديب الحجار
رئيس جامعة الآداب والعلوم والتكنولوجيا في لبنان (AUL)

الأمين العام للمؤتمر

البروفسور محمد توفيق أبو علي
عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية سابقاً/ الجامعة اللبنانية
الدكتور عباس محمد جميل الآغا
مديرية تربية محافظة نينوى – العراق

رئيس اللجنة الاستشارية

البروفسور محمد يوسف فرحات
مدير جامعة الآداب والعلوم والتكنولوجيا في لبنان (AUL) – فرع جدرا
الأستاذ المشارك الدكتور محمد بالوظا
جامعة الآداب والعلوم والتكنولوجيا في لبنان (AUL)

المشرف العام على المؤتمر

الدكتورة فائق علي بدران
رئيس المركز العلمي للتعاون والتنمية الثقافية – لبنان

رئيس اللجنة التحضيرية

البروفسور حازم ذنون السباعي
عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل – العراق

رئيس اللجنة التنسيقية

الأستاذ المساعد الدكتور علي محمد الحسني
مدير عام معهد الأكليل للعلوم الصحية والتقنية والإدارية/ الحديدة – اليمن



رئيس اللجنة العلمية

البروفسور قيس إسماعيل إبراهيم
عميد كلية التربية للعلوم الصرفة/ جامعة الموصل

رئيس اللجنة الإعلامية

الأستاذ المساعد الدكتور طلال زهير حاطوم
رئيس قسم الإعلام/ جامعة الآداب والعلوم والتكنولوجيا في لبنان (AUL)
الأستاذ المشارك الدكتورة أمانة المير
عميدة كلية الآداب/ جامعة الآداب والعلوم والتكنولوجيا في لبنان (AUL)

رئيس لجنة الاستقبال

الدكتورة غنى عارف بصبوص
مسؤولة العلاقات العامة/ جامعة الآداب والعلوم والتكنولوجيا في لبنان - فرع جدرا
م. أحمد راكان محمد الطيار
رئاسة جامعة الموصل - العراق

رئيس اللجنة التنظيمية

الأستاذ فادي عبد الرحيم طه
مسؤول قسم الموارد البشرية/ جامعة الآداب والعلوم والتكنولوجيا في لبنان - فرع جدرا
الدكتور خضر عمري
جامعة الآداب والعلوم والتكنولوجيا في لبنان - فرع جدرا

رئيس لجنة العلاقات العامة

الدكتور علي حمدون
مدير جامعة الآداب والعلوم والتكنولوجيا في لبنان (AUL) - فرع الدكوانة
الأستاذ وسام المصري
جامعة الآداب والعلوم والتكنولوجيا في لبنان (AUL) - فرع الكولا
الدكتورة سهى الجعيتاني
جامعة الآداب والعلوم والتكنولوجيا في لبنان (AUL) - فرع شتورة



اللجنة التحضيرية للمؤتمر

ت	اسم الأستاذ	مكان العمل	صفة المشاركة
١	أ. د. حازم ذنون السباعي	عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل	رئيس اللجنة
٢	أ. د. محمد حسين نزيه منصور	الجامعة الأمريكية في بيروت (AUB) - لبنان	مقررًا
٣	أ. د. إبراهيم محمد محمود الحمداني	كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل - العراق	عضوًا
٤	أ. د. يحيى إبراهيم قاسم	كلية الآداب / جامعة الحديدة - اليمن	عضوًا
٥	أ. د. أحمد أنور العلمي	عميد كلية التربية/ جامعة طرابلس - لبنان	عضوًا
٦	أ. د. إيمان خليفة حامد	كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل - العراق	عضوًا
٧	أ. د. علي محمود شعيب	عميد كلية التربية/ جامعة المنوفية سابقًا - مصر	عضوًا
٨	أ. د. محمد سعيد فيصل	كلية التربية للعلوم الصرفة/ جامعة الموصل - العراق	عضوًا
٩	أ. د. ظفر عبدالرزاق محمود	كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل - العراق	عضوًا
١٠	أ. م. د. صالح علي الشيخ	كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل - العراق	عضوًا
١١	أ. م. د. عاصم أحمد خليل	كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل - العراق	عضوًا
١٢	د. مهدي فوزي عبدالله	كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل - العراق	عضوًا
١٣	م. أسماء خالد جرجيس	كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل - العراق	عضوًا
١٤	م. جعفر أحمد عبدالله محمد	كلية التربية المفتوحة/ جامعة الموصل - العراق	عضوًا
١٥	م. م. رغد عبدالله أحمد	رئاسة جامعة الموصل - العراق	عضوًا

اللجنة العلمية للمؤتمر

ت	الاسم الثلاثي	مكان العمل	صفة المشاركة
١	أ. د. قيس إسماعيل إبراهيم	عميد كلية التربية للعلوم الصرفة/ جامعة الموصل - العراق	رئيس اللجنة
٢	أ. م. د. عمر ذنون علي	كلية التربية للعلوم الصرفة/ جامعة الموصل - العراق	مقررًا
٣	أ. د. عماد شهاب	الجامعة الأمريكية في بيروت (AUB) - لبنان	عضوًا
٤	أ. د. نزيه علي منصور	كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية - الجامعة اللبنانية	عضوًا



٥	أ. د. أسماء عبد العزيز علي	كلية التربية للعلوم الصرفة/ جامعة الموصل - العراق	عضو
٦	أ. د. فيصل غازي محمد	كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل - العراق	عضو
٧	أ. د. صالح خضر محمد	كلية التربية/ جامعة كركوك - العراق	عضو
٨	أ. د. إياد عبد الحسين الخفاجي	كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء - العراق	عضو
٩	أ. د. علي دريد خالد	كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل - العراق	عضو
١٠	أ. د. حاكمة توفيق أبو علي	كلية الفنون الجميلة والعمارة/ الجامعة اللبنانية	عضو
١١	أ. د. صهيب خضر حسن	كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل - العراق	عضو
١٢	أ. د. فضيلة عرفات محمد	كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل - العراق	عضو
١٣	أ. د. عقيل سرحان محمد	رئيس جامعة ساوة الأهلية - العراق	عضو
١٤	أ. د. نضال مؤيد مال الله	كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل - العراق	عضو
١٥	أ. د. جمانة توفيق أبو علي	كلية الآداب والعلوم الإنسانية، كلية التربية/ الجامعة اللبنانية	عضو
١٦	أ. د. عمار جاسم محمد	كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل - العراق	عضو
١٧	أ. م. د. محمد حازم الغزالي	مدير قسم الشؤون الإدارية والمالية/ رئاسة جامعة الموصل	عضو
١٨	أ. م. د. فاهم يحي أحمد بجاش	عميد مركز التطوير وضمان الجودة/ جامعة البيضاء- اليمن	عضو
١٩	أ. م. د. أنور شرف مهيب الزبيري	عميد كلية الآداب/ جامعة الحديدة سابقاً - اليمن	عضو
٢٠	أ. م. د. ياسر يحيى قاسم	كلية التربية للعلوم الصرفة/ جامعة الموصل - العراق	عضو
٢١	أ. م. د. محمد إبراهيم قانصو	كلية إدارة الأعمال/ الجامعة اللبنانية	عضو
٢٢	أ. م. د. علي ناصر ناصر	عميد تنفيذي لكلية العلوم والفنون/ الجامعة اللبنانية الدولية	عضو
٢٣	أ. م. د. حسان مؤيد حامد	كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل - العراق	عضو
٢٤	أ. م. د. الاء ياسين طاقة	كلية التربية للعلوم الصرفة/ جامعة الموصل - العراق	عضو
٢٥	د. محمد فتيني محمد كنباش	كلية الآداب/ جامعة الحديدة - اليمن	عضو
٢٦	د. عبدالله علي الموسوي	جامعة القديس يوسف بيروت - لبنان	عضو
٢٧	م. د. أحمد علي حسين جفال	قسم الإعداد والتدريب/ مديرية تربية نينوى - العراق	عضو



ديباجة المؤتمر:

يُشكّل البحث العلمي الرّصين والهادف، إسهامًا وامتدادًا للنّهضات العلميّة والفكرية والثقافية للمجتمعات والدّول المتقدّمة والأخذة بالنّموّ على حدّ سواء عبر التّجارب المحليّة والدّوليّة. وتنبو الأدلة والقرائن إثباتات لا تقبل الشّك ولا تخالف الحقيقة في أنّ المؤتمرات الدّوليّة العلميّة شاهد عدل لعلاقة علميّة فاعلة بين الباحثين على اختلاف تخصصّاتهم ومشاركاتهم البحثيّة، فعن طريق البحث العلميّ تتلاقى الأفكار وتتسق المعطيات العلميّة والتّكنولوجيّة والتيارات الأدبيّة والفلسفيّة والإيديولوجيّة والسّوسولوجيّة، وبهذا تتشكّل الحاضنة الأساسيّة والرّئيسة للنّميّة المعاصرة عبر تعميق المفاهيم المتعدّدة للإفادة منها في مجالات الحياة المختلفة.

إنّ من أهمّ بواعث عوامل البحث العلميّ القدرة على التّبادل الفكريّ والمعرفيّ، ما يؤسّس لإيجاد تنوّع علميّ يُسهّم في التّخطيط والاستشراف للمستقبل الذي يرتبط بمجموعة من العلوم لدراسة الما بعد -إن جاز التّعبير- ومن هنا نسعى في هذا المؤتمر إلى الرّبط بين العلوم الإنسانيّة والصّرفة عبر معالجة عدّة محاور تشارك فيها مختلف التّخصصات أمّلين أن تُشرك العلوم قاطبة في التّنميّة والتّطوير ووضع حلول لمشكلات أنية أو متوقّعة مستقبليًّا، لكي لا تتفوّق العلوم الإنسانيّة والصّرفة على مجرد الأطروحات النظريّة البعيدة جدًّا عن مستوى التّطبيق والمعالجة.

من هنا جاء الاهتمام بها حيث ستلتقي جميع التّخصصات الإنسانيّة والصّرفة لتحقيق أهدافها في بيئة علميّة تستند على منظومة معرفيّة للتّعامل مع الآخر عبر تقديم الدّراسات العلميّة والتّطبيقيّة لتطوير تلك العلوم وبما ينسجم مع متطلّبات العصر. لذلك تدعو إدارة المؤتمر جميع المهتمّين من باحثين وأكاديميين، وأساتذة جامعيّين، وعلماء، وطلبة الدّراسات العليا للمشاركة في المؤتمر الذي سيوفّر فرصة المساهمة في تقديم رؤى وتصورات علميّة جديدة تستجيب للحاجة الملحة التي فرضتها القضايا المستحدّثة في المجتمعات المعاصرة، وهذا لا يتحقّق إلّا في إطار علاقة تشابكيّة تفاعليّة يقودها عقل الفريق البحثيّ الذي تحاول إدارة المؤتمر المساهمة في صناعته. ليكون رصيدًا معرفيًا يساهم في تطوير المعرفة العلميّة، وأدواتها المنهجية، فضلًا عن تمثّين علاقاتها التشابكيّة المترابطة فيما بينها.



أهداف المؤتمر:

- تفعيل التّعاون العلميّ بين الجامعات ومؤسّسات التّعليم العالي والمؤسّسات التّربويّة.
- توسيع حركة البحث العلميّ والعمل على فتح الآفاق المستقبلية أمام مختلف العلوم الإنسانيّة والصّرفة.
- الاهتمام بالمناهج العلميّة، وتشجيع البحث في مجال الدّراسات العلميّة الصّرفة والتّطبيقيّة والتّكنولوجيّة والإنسانيّة والاجتماعيّة وما يتفرّع عنهم من علوم مختلفة.
- مواكبة مختلف التّطوّرات الحاصلة في مختلف مجالات العلوم.
- توفير فرص للتّعاون بين الباحثين والأكاديميين في إدراج لقاء علميّ منفتح متميّز.
- الإسهام في مجال الدّراسات العلميّة الرّصينة؛ لبناء مجتمعات علميّة.
- تكوين حاضنة تجمع جهود الباحثين في مختلف الميادين من خلال نشرها لوقائع المؤتمر في مجلّات علميّة محكّمة رصينة.
- بناء علاقات التشابك بين الباحثين، من مختلف دُول العالم لتعزيز الرّوابط الإبداعيّة، والعلميّة القائمة على البحث العلميّ، وتبادل التّجارب والخبرات.
- الكشف عن العوائق والمشكلات التي يتعرّض لها الباحثون في مجالات دراساتهم الجديدة.
- التّعريف على الكتاب والعلماء المبدعين والباحثين المختصّين الذين أضافوا مفاهيم جديدة ومبتكرة في مختلف مجالات العلوم، والمناهج الخاصّة التي يميّزون بها.

- تشجيع حركة البحث العلمي وفتح قنوات للتعاون بين الجامعات في الدول المشاركة.
- الاطلاع على أحدث الاتجاهات والتحديات التي تواجه العلوم الإنسانية والصرفة.
- إقامة جسور التواصل العلمي بين الباحثين في مختلف المجالات في مختلف دول العالم.
- جمع النتائج والاستنتاجات المنهجية والمعرفية، والمقترحات العلمية وتعزيزها بالحلول الموضوعية والعلمية.



محاور المؤتمر :

• محاور العلوم الصرفة والتطبيقية:

١. علوم الأحياء (الإنسان، النبات، الحيوان، الفيروسات، الجينات، الفطريات، الطفيليات، المناعة، البكتيريا المرضية، الأنسجة والخلايا، البيئة والتلوث).
٢. علوم الكيمياء (الحياتية، العضوية، اللاعضوية، التحليلية، السرييرية، الفيزيائية والنانو، الصناعية).
٣. علوم الفيزياء (فيزياء النانو، فيزياء المواد، فيزياء الحالة الصلبة، الأغشية الرقيقة، المعالجة الصورية، الفيزياء النظرية، فيزياء الفلك، الليزر والكهرو بصريات، الليزر والجزيئية، فيزياء البلازما، النووية).
٤. علوم الرياضيات (الجبر والتبولوجي، الجبر التطبيقي، التحليل الرياضي، التحليل العددي، التحليل الذاتي، التحليل العقدي، التقريب والإحصاء، التفاضل والتكامل).
٥. علوم الجيولوجيا (الجيوفيزياء، الجيولوجيا البيئية، الجيو كيمياء، جيولوجيا النفط، الجيولوجيا الهندسية، جيومورفولوجيا والاستشعار عن بُعد).
٦. علوم التحسس النائي (التحليل المكاني وطرق التخطيط الحضري، تقنيات التحسس النائي، محاور الفلك والفضاء، نظم المعلومات الجغرافية، طرق المعالجة الصورية، طرق التحليل والمراقبة باستخدام صور الأقمار الصناعية، تحديد المواقع باستخدام GPS, DPS).
٧. محاور العلوم الزراعية (علوم التربة والتحصير، تقنيات النانوتكنولوجي في الزراعة، الإنتاج الحيواني علوم الأغذية، محاصيل حقلية ووقاية النبات، الهندسة الوراثية الزراعية، التقانات الزراعية).
٨. علوم البيئة.
٩. علوم الحاسوب.
١٠. العلوم الهندسية (الهندسة المدنية، هندسة العمارة، الهندسة الميكانيكية، الهندسة الكيميائية، الهندسة الكهربائية والإلكترونية، هندسة مواد وطاقات متجددة، هندسة الليزر).
١١. العلوم الطبية (الجراحة الناصورية، الجراحة الدقيقة، الهندسة النسيجية، التقنيات النسيجية، العلاجات الإشعاعية، طب النانو، الليزر في المجال الطبي، العلاج الطبيعي والتأهيل، الأجهزة الإلكترونية والبصرية في الطب، العلوم الطبية المخبرية السرطان والوراثة الطبية).
١٢. محور علم التمريض.
١٣. محور الطب البيطري.
١٤. محاور الصيدلة.
١٥. محاور طب الأسنان.
١٦. قسم تقنيات المختبرات الطبية.
١٧. قسم هندسة الطب الحيوي.
١٨. قسم هندسة تقنيات الأجهزة الطبية.

• محاور العلوم الإنسانية:

- ١- علم الاجتماع والديموغرافيا (مؤسسات الرعاية الاجتماعية، البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، علم الاجتماع الرقمي، علم الاجتماع ومواقع التواصل الاجتماعي، التغيرات الاجتماعية بعد جائحة كورونا (كوفيد ١٩)، تحولات التعليم في ظل جائحة كورونا، المرأة والطفل، المرأة في المؤتمرات الدولية، المشاركة المجتمعية والعمل التطوعي).
- ٢- التربية والتعليم (المناهج الدراسية، أساليب التدريس الحديثة، القياس والتقويم التربوي، التكنولوجيا والتعليم عن بعد، التخطيط والتطوير في التربية والتعليم، التعليم الخاص والتعليم الحكومي).
- ٣- علم النفس (علم النفس الإكلينيكي وقضايا الصحة النفسية، علم نفس النمو وسيكولوجية الطفولة والمراهقة والشباب والشيخوخة، علم النفس التربوي، أساليب القياس النفسي الحديث، واقع الإرشاد والعلاجات النفسية وتطبيقاتها الحديثة، علم النفس الجنائي، علم النفس والأوبئة، النظريات والاتجاهات الفكرية المعاصرة في علم النفس، سيكولوجية ذوي الاحتياجات الخاصة، سيكولوجية الموهبة والإبداع).
- ٤- التربية البدنية وعلوم الرياضة (طرائق التدريس في التربية البدنية والرياضية، البيوميكانيك في المجال الرياضي، علم التدريب الرياضي واللياقة البدنية، رياضة ذوي الاحتياجات الخاصة، الرياضة وعلم النفس، الألعاب الإلكترونية).
- ٥- الدراسات اللغوية والأدبية (الأدب العربي والآداب الأخرى، طرائق تدريس اللغة العربية، النقد الأدبي الحديث ودوره في الإبداع الأدبي، الترجمة ووسائل التواصل، دراسات الترجمة والترجمة الفورية، اللغويات التطبيقية (ثنائية اللغة، التعدد اللغوي، علم اللغة النفسي)، اللغة العربية للناطقين بغيرها، النصوص المسرحية والشعر والنثر، علم اللغة واللهجات، إرهابات التجديد في النقد الأدبي الحديث، اللسانيات النصية وتعليمية النصوص، اللسانيات العامة (علم الأصوات، علم الصرف، النحو، علم التراكيب، علم الدلالة)، اللسانيات الحاسوبية وحوسبة اللغة العربية).
- ٦- الفلسفة والثقافة الدينية (البحث العلمي في الفلسفة والدراسات الدينية، الفلسفة المعاصرة والدين، العلوم الدينية وقيم الفلسفة الدينية وعلاقتها بعلم الأديان، الفلاسفة المسلمون في الحضارة الإسلامية، دور علماء الدين في زمن الغزو الثقافي، فلسفة التصوف الإسلامي، علم الكلام).
- ٧- التعليم العالي والبحث العلمي (الإدارة الجامعية ومعايير الجودة العالمية، المحاضرة الجامعية وتكنولوجيا المعرفة، المقررات الدراسية الإلكترونية في المرحلة الجامعية، الطالب الجامعي بعد جائحة كورونا والتعليم الإلكتروني، الأستاذ الجامعي بعد جائحة كورونا والتعليم الإلكتروني، البحث العلمي والنشر العالمي الرصين، المجالات الإلكترونية واقعا ومستقبلا في المكتبة الدولية والعربية، قواعد البيانات الدولية (الأرشيف الإلكتروني) (Index)، معامل التأثير في المجالات الإلكترونية، معرف الوثيقة الرقمي (Doi) أو (Eoi).
- ٨- الدراسات القانونية ((القانون العام، الخاص، الدستوري، الإنساني، الجزائي، الجنائي، الأحوال الشخصية، الدولي، التجاري)، الدساتير والتشريعات، قانون مكافحة الإرهاب، الاتفاقيات الدولية، التحكيم الدولي، القانون الإداري والمنازعات الإدارية، قانون الاستثمار والتجارة الخارجية، القانون والتحويلات الاجتماعية، وسائل الاتصال الحديثة والتكنولوجيا وانعكاساتها القانونية، تحديث المناهج

القانونية، حقوق اللاجئين في القانون الدولي، دور القانون في الإصلاح والتنمية، الجرائم الأوبئة، الجرائم البيئية في القانون الدولي).

٩- العلوم السياسية والعلاقات الدولية (النظم السياسية والسياسة الخارجية، الصراعات والنزاعات الدولية، الفكر السياسي وبناء الدولة المعاصرة، إدارة الأزمات، التعامل مع الأزمات والكوارث العالمية، الدبلوماسية الثقافية والتفاوض الدولي، العلاقات الدولية والمفاهيم المعاصرة لها، الثقافة البرلمانية، دراسات الجيوبوليتيك).

١٠- الدراسات الجغرافية (تغير المناخ وانعكاساته البيئية في استثمار الطاقة المستدامة، الجغرافيا البشرية وعلاقتها بالثقافات والتشابه والاختلاف بين المجتمعات، التهيئة العمرانية والتخطيط الحضري والمدن الخضراء، الجغرافيا الاقتصادية والعولمة، التنمية المستدامة وتجارب الدول الناجحة، موارد الطاقة المتجددة وتطبيقاتها وإمكانات تطويرها).

١١- الدراسات التاريخية والآثار (التاريخ القديم والحديث والمعاصر، التأثير والتأثر بين الحضارات القديمة، الحضارة الإسلامية عبر العصور، تاريخ الدولة العثمانية، المتاحف والآثار).

١٢- المخطوطات وتحقيق النصوص (أساليب حفظ الوثائق والمخطوطات، فهرسة المخطوطات، علم التحقيق بين الماضي والحاضر، مناهج النسخ قديماً (الرموز والاختصارات)).

١٣- السياحة (التعليم السياحي والفندقي، التنمية السياحية، صناعة السياحة، تجارب عالمية في السياحة، الاستثمار في قطاع السياحة، التطبيقات الإلكترونية في السياحة، السياحة الثقافية، السياحة الدينية، السياحة العلاجية).

١٤- الفنون المعاصرة (الفن والتصميم في ظل التقنيات المستحدثة، التنمية المستدامة في الفن والتصميم، الفن والتصميم المعلوماتي).

١٥- الإعلام والاتصال (الصحافة الرقمية والسوشيال ميديا، تكنولوجيا الإعلام والاتصال، إسهامات الإعلام في التنمية والتطوير والتوعية، الثقافة الإعلامية والقيم الاجتماعية في الإعلام، البحث العلمي في الإعلام والاتصال، الإعلام الجديد والتحديات الأمنية (قضايا الشرق الأوسط)، السبق الإعلامي في ظل شبكات التواصل الاجتماعي، الخطاب الإعلامي في وسائل الإعلام).

١٦- العلوم الإدارية والاقتصادية والمحاسبية (الرأس المال البشري والتسويق الحديث، الدولة الإلكترونية، الحوكمة الرشيدة ودورها في الحد من الفساد المالي والإداري، التمويل والبنوك، الاقتصاد الرقمي، الاستثمار في الدول المتقدمة، النظم والتشريعات الاقتصادية والمالية، المحاسبة والتدقيق والتقارير والتوصيات المالية، الاستدامة، تطبيقات الذكاء الاصطناعي كتوجه حديث للمنظمات، إدارة الأزمات خلال فترة انتشار الأوبئة والجوائح الصحية).



فهرس المحتويات

ت	عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحات
١	المشاهدات العيانية لأمية بن أبي الصلت الأندلسي (ت ٥٢٩هـ/١١٣٤م) عن مصر في الرسالة المصرية.	أ. م. د. هديل يوسف محمود البارودي ^١ أ. م. د. علياء هاشم ذنون المشهداني ^٢	٢٠ - ٣٣
٢	برسي كوكس وأثره في السياسة العراقية.	رواء خليل مرعي ^١ م. د. ميساء صباح حامد ^٢	٣٤ - ٦٦
٣	النظام النقدي للدولة العربية الإسلامية في كتاب تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (ت ١٢٠٥ هجري / ١٧٩٠ ميلادي).	م. م. منير صباح فالح ^١	٦٧ - ٨٤
٤	آل الفرات ودورهم في العصر العباسي.	أ. م. رنا صلاح طاهر طاقة ^١	٨٥ - ١٠٥
٥	سياسة الولايات المتحدة الأميركية حيال الدولة العثمانية (١٧٨٣-١٨٣٠).	أ. م. د. لمياء صفاء حسن ^١	١٠٦ - ١٤٠
٦	أثر مؤلفات الإمام الغزالي على ابن الجوزي.	م. م. أشرف عزيز عبدالكريم الهلاي بك ^١	١٤١ - ١٦٨
٧	أشكال المكان في رواية اكتشاف الحب لمروان ياسين الدليمي.	م. م. هالة عادل عبد ^١	١٦٩ - ١٨٢
٨	حكم الاختلاط وأثره في المجتمع الإسلامي.	خليل أحمد حمزة النعيمي ^١	١٨٣ - ١٩٨
٩	أزمة النفط العالمية في صحيفة الأهرام القاهرية.	م. م. هبة سليم عباس ^١	١٩٩ - ٢١١
١٠	الصراع الطبقي - الأقلية البرجوازية والأكثرية الأرستقراطية - قراءة ثقافية: رواية ليلة مجنونة لمحمد بن جرش أنموذجاً.	م. جعفر أحمد عبدالله محمد ^١	٢١٢ - ٢٢٧

١١	Wild's The Happy Prince and its Utopian Values.	م.م. رحاب عارف عبد الصاحب	٢٢٨ - ٢٥٦
١٢	Hematological and Serological changes in Renal Failure Patients at the AL-kadhemia Hospital in Baghdad.	إيمان فاضل عبدالحسين أسعد عباس خلف يوسف جواد جاسم محمد علي عبدالحسن صفاء طالب الأسدي سارة علي حمزة خنساء عبدالحسين عبادي عبير جاسم صاحب	٢٥٧ - ٢٦٧
١٣	دور المؤسسات والمدارس في ترسيخ التعايش وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من خلال مناهجها التعليمية - دراسة تاريخية ميدانية	م.د. هيوا طاهر عباس ملا زادة م.د. صالح محمد عبدالله	٢٦٨ - ٢٨٠

المشاهدات العيانية لأمية بن أبي الصلت الأندلسي (ت ٥٢٩هـ/١١٣٤م) عن مصر في الرسالة المصرية

Eyewitness Observations of Umayyah bin Abi Al-Salt Al- Andalusi (d. 529 AH/1134 AD) about Egypt in the Egyptian Message

أ. م. د. هديل يوسف محمود البارودي*

أ. م. د. علياء هاشم ذنون المشهداني*

Dr. Hadeel Youssef Mahmoud Al-Baroudy
Dr. Alyaa Hachem Dhanoun Al-Machehdany

الملخص:

أمية بن عبدالعزيز المعروف بابن أبي الصلت (ت ٥٢٩هـ/١١٣٤م) من أبناء الأندلس ومن مدينة دانية، رحل إلى المشرق رحلتين الأولى قد تكون في نهاية القرن الخامس للهجرة /الحادي عشر للميلاد والثانية كانت في بداية القرن الذي يليه وهو السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، وصل في رحلته تلك إلى مصر، ودون الكثير من مشاهداته في مصر ومعايشته لأهلها في مؤلف أسماه الرسالة المصرية، وسنركز في بحثنا على ما قام بوصفه في تلك الرسالة مما شاهده بعينه ولم يخبره به أحد أو يقرأه في كتاب ما، وقد سجل أبو الصلت العديد من مشاهداته التي دلت على قوة ودقة ملاحظته واستخدام العديد من الإشارات الواضحة للدلالة على ما شاهده وعائنه سواء في حديثه عن نهر النيل والآثار المصرية القديمة كالأهرام وطبيعة السكان واصفاً أدباءها وعلماءها في مختلف المجالات في الطب والهندسة والتنجيم والفلك، ولم يكتفِ بوصف مشاهداته عن ذلك وإنما قام أيضاً بإبداء رأيه لما شاهده ولاحظه عن بلاد مصر في مختلف الجوانب العلمية والجغرافية والتاريخية وذلك لما امتاز به من كونه عالم ماهر في علوم الأوائل.

الكلمات المفتاحية: بن أبي الصلت، الرسالة المصرية، نهر النيل، آثار مصر.

* كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل - العراق.

Email: dr.hadeel69@uomosul.edu.iq

* College of Education for Human Sciences/ University of Mosul - Iraq.

* كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل - العراق.

Email: alya_1972@uomosul.edu.iq

* College of Education for Human Sciences/ University of Mosul - Iraq.

Abstract:

Umayyah bin Abdul Aziz, known as Ibn Abi al-Salt (d. 529 AH/1134 AD), was from Andalusia and the city of Dania. He traveled to the East on two trips, the first of which may have been at the end of the fifth century AH/eleventh century AD. The second was at the beginning of the following century, which was the sixth century AH/twelfth century AD. On his two trips, he arrived in Egypt, and recorded many of his observations in Egypt and his experience with its people in a book called "The Egyptian Message." We will focus in our research on what he described in that letter, which he saw with his own eyes and no one told him about it or read in a book. Abu Al-Salt recorded many of his observations demonstrated the strength and accuracy of his observation and the use of many clear signs to indicate what he saw and experienced, whether in his talk about the Nile River and ancient Egyptian antiquities such as the pyramids and the nature of the population, describing its writers and scholars in various fields of medicine, engineering, astrology and astronomy. He did not limit himself to describing his observations about that, but rather expressed his opinion on what he saw and observed about the country of Egypt in various scientific, geographical and historical aspects, due to his distinction of being a skilled scholar in the early sciences.

Keywords: Ibn Abi Al-Salt, Egyptian message, Nile River, Antiquities of Egypt.

المقدمة:

أمية بن عبدالعزيز بن أبي الصلت من أهالي مدينة دانية (Denia) في شرق الأندلس ولد فيها سنة (٤٦٠ هـ/١٠٦٨ م)، ولم تسعنا المصادر التاريخية وكتب التراجم التي ترجمت له وأوردت بعضاً من أخباره بمعلومات وافية عنه وأسرته، له ابن اسمه عبد العزيز، والذي سار على درب والده بالاهتمام بالشعر والأدب ولهذا وصف من قبل المؤرخين بأنه كان شاعراً مجيداً، وله في الشطرنج يد بيضاء^(٣). نشأ ابن أبي الصلت في مسقط رأسه مدينة دانية ودرس بها علوم اللغة العربية التي أخذها القاضي هشام بن أحمد بن هشام الكنائي أبو الوليد (٤٠٨-٤٨٨ هـ/١٠١٧-١٠٩٥ م) كما حرص على دراسة علوم أخرى منها الطب والفلك^(٤)، وقد رحل إلى مدينة اشبيلية وبقي بها على ما يذكره بعض المؤرخين عشرين عام ولذا لقب بالاشبيلي^(٥).

وكان لابن أبي الصلت رحلة إلى مصر وقام بتدوين شذرات من رحلته تلك والتي وصلتنا باسم الرسالة المصرية، ويبدو أنه للأثر الذي تركته مصر في نفسه كان دافعاً له لتدوين عددًا من مشاهداته فيها، ويبدو

(٣) ابن خلكان، وفيات الاعيان: ٢٤٦/١؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء : ٧٤٠/٢.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الادباء : ٧٤٠/٢.

(٥) المقري، نفح الطيب: ١٠٥/٢؛ ابن سعيد المغربي، المغرب: ٢٦١ / ١.

أنه تطرّق إلى ما وجده مختلفاً عن موطنه الأندلس، وكان ذلك دافعاً للبحث في الرسالة المصرية وإلقاء الضوء على ما قدمه ابن أبي الصلت عن مشاهداته العيانية في مصر، وكانت الرسالة المصرية هي المصدر والمعين الرئيسي لهذا البحث والذي تطرقنا فيه إلى ملايسات رحلة ابن أبي الصلت إلى مصر وثم منهجه في الرسالة المصرية، وذلك قبل التطرق إلى عرض مشاهداته العيانية والتي تركزت على الجوانب الاجتماعية بحكم معاشته للمصريين وجغرافيتها والذي أخذ نهر النيل الحيز الأكبر منها، وما تطرق إلى ذكره عن الآثار المصرية القديمة التي كانت ومازالت ماثراً اعجاب للناس.

رحلة ابن أبي الصلت:

رحل أبو الصلت خارج الأندلس برفقة والدته إلى مصر^(٦)، وقبل ان يصلها بقي ردها من الوقت في مدينة المهدية شمال المغرب^(٧)، وقد اختلف المؤرخون في السنة التي رحل فيها إلى مصر، ذكر ابن خلكان^(٨) بأن رحلته سنة (٤٨٩هـ/١٠٩٦م) بينما ذكر المقرئ^(٩) سنة (٤٩٦هـ/١٠٧٦م) وابن أبي اصيبعة^(١٠) ذكر سنة (٥١٠هـ/١١١٦م)، وعليه ربما كان لابن أبي الصلت رحلتين إلى مصر الأولى سنة (٤٨٩هـ/١٠٩٦م) عندما رحل من الأندلس إلى مصر في عهد الوزير الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي^(١١).

والرحلة الثانية لابن الصلت كانت من المغرب إلى مصر سنة (٥١٠هـ/١١١٦م)^(١٢)، بعد وفاة أبي الطاهر يحيى بن تميم بن المعز بأسفاره إلى الخليفة الفاطمي^(١٣) وقد تعدد أسباب رحلة أبو الصلت إلى مصر منها ما ذكره أبو الصلت في مطلع كتابه الرسالة المصرية المتمثل في الوضع الذي تعيشه الأندلس آنذاك في عصر دويلات الطوائف وسقوط إحدى حواضرها مدينة طليطلة سنة (٤٧٨هـ-١٠٩٤م) بقوله " واضطرت إلى مفارقة الوطن، والخروج عن العطن، فتماسكت إشفافاً من مفارقة أول أرض مس جلدي ترابها، وشدت على التمايم بها وجاءت أمور لا تطاق كبار، فلما لم يمكن القرار، ولم

(٦) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٤٣/١.

(٧) ابن سعيد، المغرب: ٢٦٢/١؛ المقرئ، نفح الطيب: ١٠٥/٢.

(٨) وفيات الاعيان: ٢٤٣/١.

(٩) المقرئ: ٢٩٧/٢.

(١٠) عيون الانباء، ص ٥٠١.

(١١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٣٨/٥.

(١٢) عيون الانباء، ص ٥٠١.

(١٣) ابن سعيد، المغرب ١٦٢/١.

يقيق إلا الفرار " (١٤) السبب الثاني المتمثل في العامل الاقتصادي فقد كان ابن أبي الصلت يؤمل بالعيش الرغيد والثراء والغنى في مصر وهذا ما أشار إليه في كتابة الرسالة المصرية (١٥) بقوله "ليس لي غير مصر مقصدًا ولا وراءها مذهب ولا دونها للغنى مطلب".

ابن أبي الصلت في مصر:

قبل مغادرة ابن أبي الصلت الأندلس إستقرأ البلاد باحثًا عن أفضلها للمقام والعيش فيها، مستأنسًا بالقول الشعبي الدارج " ليس بين بلد وبلد نسب فخير البلاد ما حملك " (١٦)، وكانت مصر اختيار ابن أبي الصلت، قدم إليها في فترة حكم الفاطميين، مؤملًا في العيش الرغيد والثراء والغنى والاستقرار (١٧)، لكنه لم يفر بشيء مما كان يؤمل به ونالته خيبة أمل (١٨)، عبر عنها في شعره الآتي: (١٩)

وكم تمنيت أن ألقى بها أحدًا	يسلى من الهم أو يعدى على النوب
فما وجدت سوى قوم إذا صدقوا	كانت مواعيدهم كالآل في الكذب
وكان لي سبب قد كنت أحسبني	أحظى به فإذا دائي من السبب
فما مقلم أظفاري سوى قلمي	ولا كتائب من السبب

تمكن أبو الصلت بفصاحة لسانه وتميزه بعلمي الفلك والطب من التعرف على مختار تاج المعالي وهو من المقربين من الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر ومن خواصه، والذي بدوره قربه من الوزير الأفضل بحيث أصبح من حاشيته، فبرزت شخصية ابن أبي الصلت بعلمه الواسع وخدماته الجليلة التي قدمها للأفضل وذاعت شهرته بكونه عالم موسوعي أديب فاضل حكيم منجم فالفتت إليه الأنظار من الأصدقاء والحساد الذين تمكنوا من حبك الدسائس للإيقاع به وأغروا به صدر الوزير الأفضل الجمالي على كاتبه تاج المعالي فاعتقله واعتقل أيضًا ابن أبي الصلت بما اختلق له من دسائس فحبسه في خزانة للكتب (٢٠)

(١٤) ابن أبي الصلت، الرسالة المصرية، ص ١١.

(١٥) ابن أبي الصلت، الرسالة المصرية، ص ١٢.

(١٦) ابن أبي الصلت، الرسالة المصرية، ص ١٢.

(١٧) ابن أبي الصلت، الرسالة المصرية، ص ١٤.

(١٨) القفطي، اخبار العلماء، ص ٦٦.

(١٩) ابن أبي الصلت، الرسالة المصرية، ص ١٣.

(٢٠) المقرئ، نفح الطيب: ١٥/٢٠.

لمدة ثلاث سنوات وشهر^(٢١)، صنف خلال هذه الفترة العديد من مؤلفاته منها رسالة العمل بالاسطرلاب^(٢٢) وكتاب الوجيز في علم الهيئة وكتاب الأدوية المفردة وكتاب تقويم الذهن وكتاب الانتصار في الرد على بن رضوان في رده على حسين بن إسحاق في مسأله^(٢٣).

وهناك قول آخر حول حبس ابن أبي الصلت ذكرها ابن أبي أصيبعة مفادها أن ابن أبي الصلت رجع إلى مصر في حدود سنة (٥١٠هـ/١١١٦ م)، وسجن في مدينة الاسكندرية بسبب إخفاقه في انتشال مركب محمل بالنحاس في عمق البحر المتوسط إذا اقترح على الأفضل بن أمير الجيوش بابتكاره وتصميمة رافعة والآلات بأشكال هندسية مختلفة لرفع المركب بما يحويه من النحاس، وما ان هيا له ما يحتاج من الآلات والحبال المصنوعة من البريسم لربط المركب بدواليب من قبل الغواصين، لكنه ما أن ارتفع المركب وأصبح قريباً من سطح الماء حتى انقطعت الحبال وهبط المركب مرة ثانية إلى قاع البحر، لذلك قبض عليه أمير الجيوش وحبسه وغرمه الأموال التي صرفت على صنع الآلات وبقي في الاعتقال مدة إلى أن شفع له بعض الأعيان وأطلق سراحه في خلافة الأمر بأحكام الله^(٢٤)، واستشهد بهذه الأبيات الشعرية في وصفه^(٢٥):

فلم استسغ إلا نداءه ولم يكن	ليعدل عندي ذا الجنب جناب
فما كل أنعام يخف احتماله	وأن هطلت منه علي سحاب
ولكن أجل الصنع ما	ولم يأت باب دونه وحجاب
وما شئت إلا أن أدل عواذل	على أن رأيي في هواك صواب
وأعلم قوما خالفوني وشرقوا	وغربت أني قد طفرت وخابوا

على أية حال غادر ابن أبي الصلت مصر والتجئ إلى مدينة المهدية حيث توفرت له الفرصة للقاء حاكمها آنذاك الأمير يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي^(٢٦). وأصبح من جملة علماء وشعراء

(٢١) ياقوت الحموي ، معجم الادباء : ٧٤٠/٢.

(٢٢) توجد نسخة مخطوطة من رسالة في العمل بالاسطرلاب في برلين وليون بودليان :ابن ابي الصلت، الرسالة المصرية ، ص ٩.

(٢٣) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٤٧/١.

(٢٤) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، ص ٥٠١؛ المقرئ، المقفى: ٢٩٧-٢٩٨.

(٢٥) ابن ابي الصلت، الرسالة، ص ١٤.

(٢٦) ابن خلكان، وفيات الاعيان: ٢٤٦/١.

مجلسه لما يتمتع به من مكانة علمية متميزة^(٢٧). وقد اشاد ابن أبي الصلت بما حضى به من حسن الضيافة والاكرام من قبل الامير يحيى بن تميم بقوله: "لم تنزل حضرته مصاد لعنة ومراد العفاة، ومجتمع الفضائل، ومنتجع الأفاضل، ومشعر الجود، ومشعر الوفود. فلما استترت بجناحه، واستظهرت باستمache، أعذب لي بسماحة الدهر جناه"^(٢٨).

ومن الجدير بالذكر أنّ حياة ابن أبي الصلت قد تحسنت في كنف الأمير يحيى بن تميم وعبر عن ذلك بقوله: "والت روي اليه من اشراقها بعد الافول وابراقها بعد الذبول"^(٢٩) وعندئذ انصرف ابن أبي الصلت إلى الاهتمام بالتأليف ومنها كتابه الرسالة المصرية موضوع دراستنا في هذا البحث اضافة لاهتمامه بالموسيقى الأندلسية وتلحين الاغاني التونسية وفق النغم الأندلسي^(٣٠).

ولما توفي الأمير يحيى بن تميم سنة (٥٠٩هـ/ م) استمرت حظوة ابن أبي الصلت لدى ابنه أبي الحسن علي^(٣١) ولف له كتابه الحديقة او ما يسمى حديقة الادب^(٣٢) على غرار اسلوب كتاب يتيمة الدهر للثعالبي وله ايضاً قصائد ومدايح للأمير أبي الحسن علي وابنه الحسن بن علي ومنها قوله:

وارغب بنفسك إلا عن ندى ووغي فالمجد اجمع بين البأس والجود^(٣٣)

منهج ابن أبي الصلت في كتابة الرسالة المصرية:

إن الثقافة المتنوعة التي اكتسبها ابن أبي الصلت برزت بصورة واضحة في مؤلفاته وقصائده والتي تعد المحصول العلمي الذي حصل عليه خلال دراسته منذ نعومة اظفاره على يد الشيوخ في الأندلس ورحلته إلى مصر، ومن ثم استقراره في مدينة المهديّة في حضرة الأمير يحيى بن هيثم بن المعز الصنهاجي الذي عرف عنه بكونه كثير المطالعة لكتب الاخبار والسير عارفاً بها اضافة إلى اهتمامه بعلم النجوم والاحكام^(٣٤).

(٢٧) الابار التكملة، ص٢٤٣، ترجمة ٥٣٩.

(٢٨) ابن ابي الصلت، الرسالة، ص١٣-١٤.

(٢٩) ابن ابي الصلت، الرسالة، ص١٤.

(٣٠) ابن سعيد، المغرب: ١/١٤٦؛ المقري، نفح الطيب: ٢/١٠٥.

(٣١) المقري، نفح الطيب: ٢/١٠٦.

(٣٢) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، ص٤٧٢/٥١٤.

(٣٣) ابن خلكان، وفيات الاعيان: ٦/٢١١.

(٣٤) ابن خلكان، وفيات الاعيان: ٦/٢١١.

وفي المهدية وفي كف ابن المعز الصنهاجي كتب ابن أبي الصلت الرسالة المصرية، وأهداه لابن المعز، تتميز الرسالة المصرية بالقيمة العلمية الكبيرة لكون المؤلف لم يعتمد في تأليفها على النقل فقط بل على الملاحظة والمشاهدة الشخصية، فكان شاهد عيان لأغلب ما دونه عن مصر فيها، وهذا ما وضحه في مقدمته بقوله: "وصف ما عانيته من أرض مصر وعانيته، والاقتصار على الذي رأيته دون ما رويته، فليس من يقول: علمت هذا من طريق العلم والسماع، كمن يقول تحققته بالمشاهدة والاطلاع" (٣٥).

ولذا نالت الرسالة المصرية مكانة مهمة في الأوساط العلمية لكون الأديب أبو الصلت شاهد عيان لأغلب ما دونه عن كتاب مصر بمختلف جوانبها الشخصية وثقافتها الموسوعية فهو كما وصف أديباً فاضلاً حكيماً منجماً إضافة إلى تميزه في دقة الملاحظة والوصف واتباع الأسلوب العلمي والتحليل الدقيق في تفسيره لمشاهداته ونقده لبعض علم الطب والفلك في عصره مقارنةً إياهم بالعلماء السابقين له.

أظهر ابن أبي الصلت مهارة فائقة في صياغة عبارات الرسالة المصرية بأسلوبه الغالب عليه السجع بشكل ممتع يوحى بتفوقه الأدبي وكثيراً ما استعان بالأبيات الشعرية التي نظمها إضافة للقوائد التي اقتبسها من الشعراء السابقين لعصره.

فضلاً عن استعانه بالأمثال الشعبية المصرية كقوله: "إذا دخل أبيب كان الماء ديبب" (٣٦)

لم يقسم ابن أبي الصلت الرسالة المصرية إلى مقالات أو فصول وإنما ابتدأها بموقع بلاد مصر وحدودها في عصره وأبرز مدنها وعواصمها على مر العصور التاريخية السابقة، ثم تحدث عن صفات نهر النيل وزيادة مياهه وفيضانه وذكر آثار مصر وعجائب الأهرامات، ومن الناحية الاجتماعية تحدث عن طبائع أهل مصر وعاداتهم وأخلاقهم كما ضمنها تراجم وانتقادات لبعض علماء الطب والفلك والأدب.

مشاهدات ابن أبي الصلت ودقة ملاحظاته:

تُعَدُّ المشاهدة والمعاينة والملاحظة الدقيقة والانطباعات الشخصية التي سجلها ابن أبي الصلت في الرسالة المصرية عن مصر السبب الرئيسي لكتابته لها، وقد وضح في المقدمة أنه اعتمد على ما عاينه وشاهده عن مصر بقوله: "الاقتصار على الذي رأيته دون ما رويته فليس من يقول علمت هذا من

(٣٥) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ١٥.

(٣٦) الذراع المصرية التي يبلغ متوسط طولها ٧٧,٥ سم: هنتس، المكابيل والاوزان، ص ٩٠-٩١.

طريق العلم والسماع كمن يقول تحققته بالمشاهدة والاطلاع^(٣٧)، وقد سجل ابن أبي الصلت العديد من مشاهداته التي تدل على قوة و دقة ملاحظته واستخدم العديد من الاشارات الواضحة للدلالة على ما شاهده وعائنه، سواء في حديثه عن نهر النيل والآثار المصرية القديمة كالأهرام وطبيعة السكان واصفاً وأدباءها وعلماءها في مختلف المجالات في الطب والهندسة التنجيم والفلك.

من الطبيعي أن يبدأ ابن أبي الصلت الرسالة المصرية في ذكر موقع مصر في المعمورة معتمداً في ذلك على ماسمعه من المهتمين بتاريخ مصر وبيئتها وإلى ما شاهده بنفسه محاولاً تعليل الظواهر التي يشاهدها ، بين حدود مصر وعدد مدنها الحدودية بينها وبين الاقاليم المجاورة^(٣٨). أما بالنسبة لنهر النيل الذي اهتم به كثيراً، ذكر منبعه وفيضانه وحدد أن منبعه من وراء خط الاستواء من جبل يعرف بجبل القمر ويبدأ الماء فيه بالتزايد في شهر أبيب مقارناً مع ما يقابلها بالرومية شهر يولية، وأوضح مقدار فيض نهر النيل ثمانية عشر ذراع^(٣٩)، معللاً زيادته لمروره بنقائع مياه أجنة، ووصف مصر في وقت الفيضان " كأنما بحرًا غامراً لما بين الجبلين المكتنفين لها^(٤٠).

ووصف ابو الصلت نهر النيل بقصيدة قدمها للأفضل في ليلة المهرجان بقوله:

أبدعت للناس منظرًا عجا

لازلت تحيي السرور والطربا

الفت بين الضدين مقتدرا

فمن رأى الماء خالط الهب

كأنما النيل والشموع به

أفق سماء تألقت شهب

قد كان من فضة فصار سما

وتحسب النار فوقه ذهباً^(٤١)

(٣٧) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ١٥.

(٣٨) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ١٥.

(٣٩) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ١٥.

(٤٠) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢٠.

(٤١) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢٢.

وتكون أرض مصر في وقت الفيضان أحسن شيء منظرًا ولا سيما منتزهاتها المشهورة ودياراتها المطروقة كالجزيرة وبركة الحبش، التي زارها برفقة زملائه ويقول عن ذلك: " افترشنا من زهرها أحسن بساط واستظلنا من دوحها بأوفى رواق وطلعت علينا من زجاجات الاقداح شمس في خلع البدر" (٤٢) وكتب في وصف بركة الحبش:

لله يومي ببركة الحبش
والأفق بين الضياء والغيش
والنيل تحت الرياح مضطرب
كصارم في يمين مرتعش
قد نسجتها يد الغمام لنا فنحن
من نسجها على فرش (٤٣)

وأشاد ابن أبي الصلت بطائفة من أهل مصر ممن لهم عناية بالمعارف والعلوم وخاصة علمي الهندسة والفلك، لما خلفوه من الأشغال البديعة المعجزة كالأهرام والمعابد المصرية القديمة التي أسماها بالبرابي (٤٤) بقوله عنها: "من الآثار التي حيرت الأذهان الثاقبة واستعجزت الأفكار الراجحة وتركت لها شغلًا بالتعجب منها والتفكير فيها" (٤٥).

وبرزت معرفة ابن أبي الصلت بعلم الهندسة والرياضيات في إشاراتهِ وتعجبه من عظمة بناء الأهرام، وألقى الضوء على الدقة المتناهية في بناءها وأحكام صناعتها وهندستها وشكلها المخروطي، متناغمًا ذلك مع قياسات دقيقة ومتساوية لأبعاد البناء، مربع القاعدة مخروطي الشكل ارتفاع عموده ثلاثمائة ذراع ونحو سبعة عشر ذراع يحيط به أربعة سطوح مثلثات متساويات الأضلاع طول كل ضلع منها أربعمئة ذراع وستون ذراع، وأشار أيضًا إلى نوعية الحجارة التي استخدمت في بناء الأهرام، وعدّ الأهرامات من عجائب الدنيا بقوله عنها: " من أعجب وأغرب بعد مقدورات الله ومصنوعاته من القدرة على بناء جسيم جسيم" (٤٦)،

(٤٢) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢٠.

(٤٣) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢١.

(٤٤) هي كلمة باللغة القبطية وتعني أماكن العبادة المقدسة: ياقوت الحموي، معجم البلدان ١/٣٦٢.

(٤٥) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢٥.

(٤٦) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢٦.

وعند زيارة ابن أبي الصلت لمدينة الفسطاط شاهد الهرمين المحاذيين لها من الجانب الغربي، ووصف بتعجب أحكام واتقان هندستهما لكونهما في غاية من حسن التقدير والبناء بحيث لم يتأثر بنيانهما بالظروف الجوية والمناخية التي مرت عليهما مع قدم وقت بنائهم^(٤٧)، كما لاحظ ابن أبي الصلت الكتابات الهيروغليفية الموجودة على سطوح هذه الأهرام من أعلى الهرم إلى الأسفل بسطور متضايقة متوازية من كتابه وذكر عدم المعرفة باللغة والحرف الذي كتبت بهم ولذا لا يستطيع توضيح معاني المكتوب^(٤٨).

ومن ضمن مشاهدات ابن أبي الصلت المعابد المصرية القديمة، مثل إخميم وسمنود ودندرا، ومما أعجبه فيها بعد أحكام عمارتها النقوش والرسومات التي كانت عليها والتي بها إشارات إلى معرفة المصريين القدماء بعلم الفلك^(٤٩)، دون أن يهتم بالروايات والخرافات السائدة على الألسنة العامة، والمسطرة في بعض كتب الجغرافية والرحلات عن تلك الأهرامات والمعابد كما ورد مثلاً لدى غيره ممن ذكرها^(٥٠).

آراء ابن أبي الصلت فيما شاهده:

من السمات الأساسية لمنهج أمية بن أبي الصلت في كتابة الرسالة المصرية إبداء رأيه لما شاهده ولاحظه عن مصر في مختلف الجوانب العلمية والجغرافية والتاريخية، وساعده على ذلك لما امتاز به من كونه عالم ماهر في علوم الأوائل رئيساً في معرفة الهيئة والنجوم والموسيقى والطبيعي والرياضي الإلهي^(٥١)، فمن الناحية الجغرافية تحدث عن نهر النيل من منبعه من وراء خط الإستواء من جبل يعرف بجبل القمر وأهم ما يتميز به من زيادة مياهه مبيئاً السبب في ذلك: "مروره بنقائع أجنة يخالطها فيجتلبها ويستخرجها معه ويصطحبها"^(٥٢).

وعند زيارته للأهرام التي تعد من أبرز الملامح الأثرية لبلاد مصر بين رأيه فيها بقوله عنها: "وأي شيء أعجب وأغرب بعد مقدورات الله ومصنوعاته من القدرة على بناء جسم جسيم من أعظم الحجارة"^(٥٣)، والوصف الدقيق الذي قدمه ابن أبي الصلت للأهرام يبين مدى إعجابه بها ولإيمانه بقدرة الباري عز

(٤٧) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢٦.

(٤٨) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢٨.

(٤٩) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢٩.

(٥٠) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ١/ ١٢٤، ٣٦٢.

(٥١) السيوطي، حسن المحاضرة: ١/ ٥٣٩.

(٥٢) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ١٧.

(٥٣) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢٥.

وجل في خلقه ومصنوعاته عدها بعد مقدورات الله تعالى، وأدرك أن من بناها لديه قدرات عظيمة علميًا وبدنيًا، لذا أشاد بالعقول التي أنتجت تلك المباني وأشار أن أصحابها لابد وأنه كانت لهم معرفة علمية بالهندسة والفلك فضلًا عن مهارات البناء بقوله: " من الآثار التي حيرت الأذهان الثاقبة واستعجزت الأفكار الراجحة وتركت لها شغلًا بالتعجب منها والتفكير فيها" ^(٥٤)، لهذا عدها ابن أبي الصلت بأنها في غاية الحسن والتقدير ولهذا لم تتأثر بعوامل الزمن مع عمقها في التاريخ وما صاحبه من أحوال جغرافية كالرياح والأمطار والأهوال كالزلازل والأعاصير ^(٥٥).

كما كان لابن أبي الصلت آراء خاصة قدمها لأطباء مصر تبعًا لمشاهداته في ممارستهم للطب، وأهله لذلك كونه طبيبًا ^(٥٦)، قدم رأيه ونصائحه لهم حتى يتقنون مهنتهم ويحصلون على المهارة التامة بها. جانب من تلك النصائح تتعلق بالصفات الشخصية للطبيب بأن يكون حكيماً وفاضلاً، وبجانب آخر أشار لهم إلى التكامل بين العلوم وأن يكون له معرفة أيضًا بالعلوم الرياضية والفلك ^(٥٧).

وأكد لهم أيضًا إلى ضرورة الالتفات إلى العلاج النفسي وإدراك أهميته، حتى أنه رأى على الطبيب أن تكون له معرفة بالموسيقى لما لها من تأثير نفسي على المريض ^(٥٨)، وكمثال على أهمية الانتباه إلى الجانب النفسي أورد ابن أبي الصلت رواية عن قيام حكواتي بعلاج شخص مريض بسرده له الحكايات المضحكة والقصص المسلية وتؤدي ذلك إلى انشراح صدر المريض وتعود إليه قوته وصحته ^(٥٩). إزاء ذلك نصح ابن أبي الصلت الأطباء بأن يولوا الجانب النفسي عناية كبيرة باعتباره بابًا للشفاء بقوله: " ليت أطباء عصرنا هذا بأسرهم قدروا على مثل هذا العلاج الذي لا مضرة فيه ولا غائلة له بل أمره على العليل هين ونفعه ظاهر بين كيف وهو ينشط النفس ويبسط الحرارة الغريزية ويقوي القوى الطبيعية ويقوي البدن على دفع الأخلاط الروية المؤذية والفضول مع الاستظهار لحفظ الأصول" وأورد أمثلة عن قدماء أطباء مصر بالترجمة لهم من أمثال هرمس الثالث وديو فنطس من الذين أكدوا على الجانب النفسي في علاج المريض وأبدى إعجابه بهم ^(٦٠).

(٥٤) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢٥.

(٥٥) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٢٦.

(٥٦) ياقوت الحموي، معجم الادباء: ٢/٧٤٠.

(٥٧) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٣٢.

(٥٨) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٣٢.

(٥٩) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٣٤.

(٦٠) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٣٤.

وأن سعة اطلاع ابن أبي الصلت بمؤلفات الأطباء اليونانيين من أمثال جالينوس وسقراط ودراسته وتمحيصه لما ورد فيها دفعه ذلك مجالسة أطباء مصر ومذاكرتهم بمعرفته الطبية ليستفيد من علمهم، إلا أنه لم يجد غير قوم طبع الله على قلوبهم وأعمى أبصارهم وطمس أفهامهم وحال بين الحكمة وبينهم^(٦١) فكانوا كما قال الشاعر:

قَوْمٌ إِذَا جَالَسْتُهُمْ

صَدَّتْ بِقُرْبِهِمُ الْعُقُولُ

لَا يُفْهِمُونِي قَوْلُهُمْ

وَيَدِقُّ عَنْهُمْ مَا أَقُولُ^(٦٢)

وتماشياً مع ذلك انتقد المشتغلين في علم الطب ممن عاصروهم فضلاً عن ذلك بين أبو الصلت رأيه في المنجمين وأن معرفتهم بالجدول الفلكية الزايجة قليلة جداً بحيث تقتصر على ظاهر العلوم دون دقائق تفاصيلها وأسبابها وعلل ذلك بقوله عنهم، لا يتعلق منهم أحد في علم النجوم بأكثر من زايجة يرسمها ومراكز يقومها فأما الإمعان والتبحر في معرفة الأسباب والعلل، والمبادئ الأولى فليس منهم من يرقى إلى هذه الدرجة ويسمو إلى هذه المرتبة ولا يخلق في هذا الجو ويستضيئ بهذا الضوء إلا أبو الحسن علي ابن النضر^(٦٣).

ويعود سبب الرؤية السلبية للأديب ابن الصلت للمنجمين في مصر لملاحظته بعض من يزاول هذه المهنة وعلمهم بها لا يتعدى القشور دون اللب، والظواهر دون البواطن والأشباح دون الأرواح^(٦٤). ومع ذلك لاحظ ابن أبي الصلت أن المصريين من أكثر الناس تصديقاً بأقوال المنجمين والعرافين وهو شاهد وتعجب من سلوك البعض منهم، وأورد مثلاً لأحد المنجمين كان محبوباً وصدر أمر بإطلاق سراحه وعندما جاء إليه السجناء وطلب منه مغادرة السجن رفض ذلك لأن تلك الساعة كانت ساعة نحس وطالعتها سيء حسب اعتقاده^(٦٥) فكانوا يلجأون إلى من يعمل بهذه المهنة من أمثال رزق الله بن بقوله عنهم: فقد دثر

(٦١) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٣١.

(٦٢) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٣١.

(٦٣) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٣٧-٣٨.

(٦٤) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٣٨.

(٦٥) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٣٩-٤٠.

منها كل علم وأمحي رسمه وجهل اسمه ولم يبق إلا رعا ع و غثاء وجهلة دهاء وعامة عمياء وجلهم أهل رعانة ولهم خبرة في الكيد والمكر^(٦٦).

الخاتمة:

تعد رحلة ابن أبي الصلت إلى مصر من الرحلات المهمة في التاريخ الأندلسي لأنها تختلف عن الرحلات الأخرى المشهورة لأندلسيين إلى المشرق كرحلة ابن جبير، كانت الظروف الداعية إليها شخصية ترتبط بسير حياة ابن أبي الصلت نفسه، ولكن شخصيته العلمية بقيت حاضرة معه في مصر، فرضت عليه أن يدون بعضًا مما شاهده وعائشه في رحلته والذي كان مغايرًا عما موجود في موطنه الأندلس. فترك لنا الرسالة المصرية وهي بالرغم من حجمها الصغير إلا أنها على درجة كبيرة من الأهمية لأنها قدمت لنا انطباعات أندلسي عن مصر، وسردًا عن مشاهدات عيانية وبهذا تعد وثيقة تاريخية مهمة يستفاد منها الباحثين في تاريخ مصر في عصر ابن أبي الصلت والباحثين في تاريخ الأندلس من خلالها يتم تلمس الخيط الرابط بين الأندلس والمشرق والذي لم ينقطع مع اختلاف العصور وبرغم كل التقلبات السياسية وتغير السلطات الحاكمة، ومازال هناك المزيد في الرسالة المصرية مما يستحق البحث بشكل معمق وتناوله بالدراسة والتحليل.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن الأبار، محمد بن عبد الله (ت ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠ م)
- ١_ التكملة لكتاب الصلة. عني بنشره وصححه عزت العطار الحسيني. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٥٥.
- ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩ م)
- ٢_ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة - بيروت.
- ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٢ م).
- ٣_ كتاب الصلة. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٦.
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩ م)
- ٤_ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. القاهرة: دار الكتب.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢ م).

(٦٦) ابن أبي الصلت، الرسالة، ص ٣٠-٣١.

- ٥_ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان. تحقيق احسان عباس. بيروت: دار صادر، ١٩٦٨.
- ابن سعيد، المغربي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)
- ٦_ المغرب في حلى المغرب. تحقيق شوقي ضيف. القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٥.
- السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)
- ٧_ حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة. تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم. مصر، دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٧.
- ابن أبي الصلت، امية بن عبدالعزيز (ت ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م)
- ٨_ الرسالة المصرية. مطبوع ضمن كتاب نوار المخطوطات. تحقيق عبدالسلام هارون. مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٢.
- القفطي، علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م).
- ٩_ اخبار العلماء باخبار الحكماء. تحقيق ابراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥.
- المقري، احمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)
- ١٠_ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٩٧.
- المقريزي، تقي الدين (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٠م)
- ١١_ المقفى الكبير. تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ٢٠٠٦.
- هنز، فالتر
- ١٢_ المكابيل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري. ترجمة كامل العسلي، عمان، مطبعة القوات المسلحة الاردنية، ١٩٧٩
- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)
- ١٣_ معجم الادباء. تحقيق احسان عباس، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٣.
- ١٤_ معجم البلدان. بيروت، دار صادر، ١٩٩٥.

برسي كوكس وأثره في السياسة العراقية

Percy Cox and Its Impact on Iraqi Politics

رواء خليل مرعي*

م. د. ميساء صباح حامد*

Rawaa Khalil Maraee
Dr. Maysaa Sabah Hamid

الملخص:

شهد العراق أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) احتلالاً بريطانياً مباشراً وخلال ذلك ظهرت شخصيات بريطانية لعبت دوراً سياسياً بارزاً على الساحة العراقية فكان برسي كوكس أحد هذه الشخصيات السياسية التي كان لها تأثير كبير على المشهد السياسي في العراق، فقد أقنع العراقيين بأن الحكم العثماني رجعي وبأن من خلال خطاب ألقاه عند وصول القوات البريطانية إلى البصرة، وأثبت لهم أن البريطانيين ليسوا محتلين بل محررين لهم. وفي سياق الدراسة تبين أن (برسي كوكس) كان له دور في الإدارة البريطانية في العراق من خلال تعيين الموظفين البريطانيين، حيث عينهم كمستشارين ثم كخبراء في كافة دوائر الدولة وحتى الدوائر العسكرية، وخصص لهم رواتب ضخمة كلفت ميزانية العراق الكثير وامتيازات خاصة، وعمل بعدة طرق من أجل أن يبقى العراق تابعاً اقتصادياً وإدارياً لبريطانيا، فضلاً عن علاقاته الدبلوماسية وإقناع الملك فيصل الذي كان له دور في تنصيبه ملكاً على عرش العراق في فرض معاهدة ١٩٢٢ التي قيدت العراق بالعديد من القيود. وكشفت الدراسة أيضاً عن محاولات الملك فيصل والحكومات العراقية المتعاقبة خلال الأعوام ١٩٢١-١٩٣٢ التخلص من نفوذ البريطانيين من خلال التشريعات التي نصت على تقليص صلاحياتهم تحديداً بعد تصاعد الأصوات المعارضة من قبل بعض أعضاء مجلس النواب.

الكلمات المفتاحية: برسي كوكس، الحرب العالمية الأولى، الإدارة العسكرية، العراق، بريطانيا.

* كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل - العراق.

Email: rawaa.20eh1663@student.uomosul.edu.iq

College of Education for Human Sciences/ University of Mosul - Iraq.

* كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل - العراق.

Email: dr.maysaa.sabah2010@uomosul.edu.iq

College of Education for Human Sciences/ University of Mosul - Iraq.

Abstract:

During World War I (1914-1918), Iraq witnessed a direct British occupation, during which British figures emerged who played a prominent political role in the Iraqi arena, Percy Cox was one of these political figures who had a great influence on the political scene in Iraq. He convinced the Iraqis that the Ottoman rule was reactionary and obsolete through a speech he gave upon the arrival of British forces in Basra, and proved to them that the British were not occupiers but rather liberators. In the context of the study, it became clear that (Percy Cox) had a role in the British administration in Iraq through the appointment of British employees, as he appointed them as advisors and then as experts in all government departments and even military departments, and allocated them huge salaries that cost the Iraqi budget a lot and special privileges, and worked in several ways to keep Iraq economically and administratively subordinate to Britain, in addition to his diplomatic relations and convincing King Faisal, who played a role in his installation as king on the throne of Iraq, to impose the 1922 treaty that bound Iraq with many restrictions. The study also revealed the attempts of King Faisal and successive Iraqi governments during the years 1921-1932 to get rid of the influence of the British through legislation that stipulated the reduction of their powers, specifically after the rise of opposition voices from some members of the House of Representatives.

Keywords: Percy Cox, World War I, Military Administration, Iraq, Britain.

المقدمة:

شهد العراق أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) احتلالاً بريطانياً مباشراً ومن خلال ذلك ظهرت شخصيات بريطانية لعبت دوراً سياسياً بارزاً على الساحة العراقية ومن بينهم (برسي كوكس). جاء هذا البحث ليعلم الضوء على الأثر السياسي لبرسي كوكس في العراق حتى عام ١٩٣٢ وهو العام الذي شهد دخول العراق إلى عصبة الأمم المتحدة. قسم البحث إلى ثلاثة مباحث: جاء المبحث الأول منه تحت عنوان (نشأته وتكوينه الاجتماعي)، وتناول نشأة برسي كوكس ودراسته فضلاً عن جهوده السياسية في الجزيرة العربية. فيما تطرق المبحث الثاني إلى (دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى واحتلال بريطانيا للعراق ومن ثم وصول برسي كوكس إلى البصرة، ثم إلى بغداد ولقاءه ب ألمس بيل، ومن ثم الإدارة العسكرية البريطانية في العراق بعد احتلال ولاية الموصل.

في حين تناول المبحث الثالث (إعلان الانتداب البريطاني على العراق والمقاومة الوطنية العراقية للاحتلال الانكليزي ودور برسي كوكس في تنظيم العمل الاداري في العراق وتنصيب الأمير

فصل ملكاً على عرش العراق، كما تضمن البحث برسي كوكس وعلاقته الدبلوماسية وفرض معاهدة ١٩٢٢ بين العراق وبريطانيا).

اعتمد البحث على مجموعة من المصادر المتنوعة والتي في مقدمتها كتاب صفحات في تاريخ العراق الحديث لمؤلفيه برسي كوكس وهنري دوبس، وكتاب لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث لمؤلفه علي الوردي، و كتاب برسي كوكس و السياسة البريطانية إزاء امراء نجد الكويت حائل (١٩١٥ - ١٩٢٣) لمؤلفه صبري فالح الحمدي.

كما اعتمد البحث على مجموعة من الرسائل الجامعية، والتي في مقدمتها: رسالة الماجستير الموسومة " السياسة البريطانية تجاه الكويت ١٨٩٦ - ١٩١٥ " للباحث عبد المجيد عبد الحميد العاني، فضلاً عن البحوث والمقالات التي رفدت البحث بمعلومات قيمة.

واجهت الباحثة صعوبة في الحصول على المصادر التي تتناول نشأة برسي كوكس وتكوينه الثقافي والسياسي، فضلاً عن تناثر المعلومات في بطون الكتب وندرتها في المكتبة المركزية لجامعة الموصل بعد تعرضها للحرق على يد تنظيم داعش.

المبحث الأول:

نشأة برسي كوكس:

ولد برسي كوكس (Percy Zochriehehr Cox) في ٢٠ تشرين الثاني ١٨٦٤^(٣) في مدينة هيرون كيت (Heron gate) في مقاطعة إسكيس (Essex) في بريطانيا وكان قد تلقى علومه العسكرية في الأكاديمية الملكية العسكرية في سانت هيرت (Sent Hirt) ثم خدم في الجيش البريطاني بالهند في عام ١٨٩٠^(٤).

بعد تخرجه من الأكاديمية العسكرية التحق برسي كوكس بالخدمة السياسية الهندية (Political service Indi) ثم تولى وظائف مختلفة في منطقة الخليج العربي منها وكيلاً سياسياً لبلاده في مسقط (١٨٩٩ - ١٩٠٤) ومقيماً في الخليج العربي^(٥).

(٣) ينظر: الملحق رقم (١).

(٤) صبري فالح الحمدي، برسي كوكس والسياسة البريطانية إزاء أمراء نجد الكويت حائل (١٩١٥-١٩٢٣)، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، (٢٠١٦): ١٩.

(٥) الحمدي، برسي كوكس والسياسة البريطانية إزاء نجد الكويت حائل: ١٩.

مذكراته الشخصية:

كتب برسي كوكس مذكراته في كتاب بلغ عدد الصفحات فيه (١٠٤) صفحة ذكر من خلاله تعرفه بالمش بيل وكيف أتت المش بيل إلى العراق للعمل السياسي وأعماله العسكرية والمدنية وتحدث فيه عن الحكم البريطاني في العراق وكيف ألقى أول بيان عسكري بريطاني في العراق وتطرق في مذكراته أيضًا عن فترة الانتداب البريطاني في العراق وكيف رفض الشعب العراقي الانتداب^(٦).

جهوده في الجزيرة العربية:

على أثر تأسيس شركة الهند الشرقية الإنكليزية في كانون الأول عام ١٦٠٠ بموجب مرسوم أصدرته ملكة بريطانيا اليزابيث الأولى (Elizabeth) (١٥٥٨-١٦٠٣) وتوجه نشاطها صوب التجارة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ومعظم سنوات القرن التاسع عشر ولا سيما التجارة في الخليج العربي^(٧).

إذ كان الخليج واحدًا من أهم المعابر التجارية في آسيا وعن طريقه كانت تمر منتجات الهند والصين إلى الأسواق في إيران والشام والعكس من ذلك^(٨).

وعلى أثر تخلص بريطانيا من مقاومة القواسم الذين كانوا قد عارضوا وجود بريطانيا في الخليج العربي في عام (١٨١٩-١٨٢٠) على أثر معركة رأس الخيمة وما تبع ذلك عقد معاهدات غير متكافئة مع شيوخ المنطقة، فقد منحها ذلك الإشراف على شؤون الدفاع عن تلك المناطق فضلًا عن إدارة العلاقات الخارجية^(٩).

وبسبب الدعم الذي قدمته فرنسا بواسطة ممثلها السيد بوتافي (Pouloottavi) (١٨٩٤-١٩٠١) القنصل الفرنسي في مسقط إلى فيصل بن تركي (١٨٨٨-١٩١٣) سلطان مسقط في مواجهة الاضطرابات الداخلية التي وقعت ضده عام ١٨٩٥ فقد توثقت العلاقات الفرنسية العمانية ولم تقتصر على حصول

(٦) برسي كوكس، هنري دويس، تكوين الحكم الوطني في العراق، تعريب: بشير فرجو، ط١، مطبعة الإتحاد الجديدة، (الموصل، ١٩٥١)، ٣٥.

(٧) صالح محمد العابد، دور القواسم في الخليج العربي (١٧٤٧-١٨٢٠)، مطبعة العاني، (بغداد، ١٩٨٠): (٦٩ - ١٥٩).

(٨) جون كيلي، بريطانيا والخليج (١٧٩٥-١٨٧٠)، ج١، ترجمة: محمد أمين عبد الله، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، (لندن، ١٩٦٥): ٧.

(٩) العابد، دور القواسم في الخليج العربي (١٧٤٧-١٨٢٠): ٦٩ - ١٠٩.

فرنسا على إمتياز الحماية للسفن التي ترفع العلم الفرنسي بل إمتد في حصولها على إمتياز إقامة مستودع للذخيرة ومحطة فحم في مسقط تتزود منه السفن الفرنسية بالوقود^(١٠).

حيث أصبح أيضًا عدد الذين يرفعون الأعلام الفرنسية (٢٣) شخصًا ومنهم (١١) من قبيلة بني جنابة و(١٢) من قبيلة بنو علي^(١١).

إذ أثار الأمر قلق بريطانيا الذي عدته خرقًا للمعاهدة السرية المعقودة مع السلطان عام ١٨٩١ وتعهد بموجبها عدم التنازل عن أي جزء من أراضيها إلى دولة أجنبية ما عدا بريطانيا^(١٢).

مما دفع هذا الأمر اللورد كرزون (Lord Curzon) نائب الملك في الهند (١٨٩٩-١٩٠٤) إلى اختيار برسي كوكس (Percy Cox)^(١٣) ليكون وكيلًا سياسيًا لبريطانيا في مسقط في الأول من تشرين الأول (١٨٩٩) بدل من فاجان (Fagan) الوكيل السياسي السابق الذي فشل في مهمته هناك بتوثيق صلات بريطانيا بسلطان مسقط وفي مواجهة تزايد النفوذ الفرنسي في بلاده^(١٤).

وبشأن اختيار كوكس وكيلًا سياسيًا في مسقط إن كرزون تحدث مع كوكس إن يتناقش مع سلطان مسقط بشكل يجعله يفهم كل اعتبار للسياسة والآمال المستقبلية ويحاول أن يشجعه على التعاون مع بريطانيا^(١٥).

وقد برز دور برسي كوكس ممثلًا لبريطانيا واضحًا في مسألة إنشاء مستودع للفحم في بندر جصة فعلى الرغم من إلغاء السلطان اتفاهه مع فرنسا في (١٦ شباط ١٨٩٨) الخاص بالمستودع الذي سبق أن وقع بينهما وعدته بريطانيا خرقًا لاتفاقها عام (١٨٩١) مع فيصل بن تركي، لكن كوكس بوصفه الوكيل السياسي في مسقط، سارع في آب ١٩٠٠ لعقد إتفاق مع توفالي القنصل الفرنسي هناك تضمن أن تكون محطة الفحم في ميناء المكلا على ساحل حضرموت^(١٦).

(١٠) فرح باسم إبراهيم، اللورد كرزون ودوره في توجيه السياسة البريطانية في الخليج العربي حتى عام ١٩٠٥، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، (جامعة المستنصرية، ٢٠٠٦): ٧٣٠.

(١١) جون غوردين لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٢، ترجمة: قسم الترجمة بمكتب صاحب سمو أمير دولة قطر، (الدوحة، ١٩٨١): ٥٣.

(١٢) إبراهيم، اللورد كرزون ودوره في توجيه السياسة البريطانية في الخليج العربي حتى عام ١٩٠٥: ٤٢.

(١٣) إبراهيم، المصدر السابق: ٤٢.

(١٤) لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، (٢ / ٨٥٦).

(١٥) جمال زكريا قاسم، الخليج العربي، دراسة لتاريخ الإمارات العربية (١٩١٤-١٩٤٠)، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٩٧٣): ٣٦٨.

(١٦) ، Philip Graes, Life of Sir Percy Cox, London, (N.D.) ، : 189 نقلاً عن الحمدي، المصدر السابق.

وإن هذه العلاقات وإن لم تكن في يوم من الأيام أكثر ودية وتعاونًا مما كانت عليه في الفترة التالية المباشرة لتمرّد عام ١٨٩٥ إلا أنها كانت علاقات يتزايد فشلها مع الوقت لقد كان السلطان يزداد تباعدًا كما أدى إلى تراكم الخلافات الصغيرة إلى قطيعة شاملة^(١٧).

كما إن برسي كوكس قد اقترح في أوائل ١٩١٤ مشروعًا لتنظيم الإدارة في حكومة مسقط المتصدعة وكان مما اقترحه تزويد السلطنة بمستشار إداري وإداري وبضباط من الجيش الهند للإشراف على تنظيم قواتها^(١٨).

لقد كان الخليج هو المعبر الذي تمر منه تجارة الرقيق إلى أسواق المناطق الشرقية في شبه الجزيرة والعراق وفارس والحبشة وإن الاستغلال على نطاق واسع لتجارة الرقيق لم يبدأ إلا بعد استيلاء عمان على منطقتي زنجبار والجزيرة الخضراء في أفريقيا أواخر القرن السابع عشر^(١٩).

حيث أعربت السلطات البريطانية في الخليج العربي عن رفضها لتجارة العبيد التي ازدهرت على ساحل عمان إذ طلب كوكس من فيصل بن تركي أمير مسقط منع هذه التجارة فأصدر مرسومًا تضمن منع تجارة العبيد^(٢٠).

وبتأثير من كوكس فقد عد كرزن رسو سفينة فرنسية في مسقط وعلى متنها ما يزيد على (١٠٠٠) من العبيد الإفريقيين في منتصف آب ١٨٩٩ انتهاكًا للوعود الفرنسية^(٢١).

ومن جهة أخرى استمرت السياسة البريطانية بالعمل على حماية الكويت من التهديد الذي يمثله التحالف الذي حصل بين أمير حائل عبد العزيز بن متعب (١٨٩٧-١٩٠٦) والعثمانيين لكي يقضي الأول على أية محاولة لدى شيخ الكويت مبارك الصباح (١٨٩٦-١٩١٥) في مساعدة ابن سعود لأن أمير حائل أدرك أن حملته على الكويت لم يكتب لها النجاح دون إسناد من الأسطول العثماني وقد انتهت استعدادات الحليفيين في بداية عام ١٩٠١ غير أن الهجوم المشترك لم يقدر له أن يتم لأن سفينة حربية لبريطانيا احتلت الخليج العربي^(٢٢).

(١٧) لوريمر، المصدر السابق، القسم التاريخي، (٢ / ٨٤٤).

(١٨) جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، تطور النفوذ البريطاني في إمارات الخليج العربي والمنافسات الإقليمية والدولية، (١٨٤٠-١٩١٤)، مج ٢، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٩٧٣)، (٢ / ٣١٨).

(١٩) كيلي، بريطانيا والخليج (١٧٩٥-١٨٧٠)، (٢ / ٧).

: نقلاً عن ١٩٦٩، David. Dilksi Curzon in India, Vol, Printik by Ebozzer Baylix and Sou LTD London (20)

الحمدى، المصدر السابق . ٣١ :

(٢١) لوريمر، المصدر السابق، (٣ / ٣٤٨).

(٢٢) ألكسندر آدموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة: هاشم صالح التكريتي، دار الوداق، (لندن، ٢٠٠٩): ٥١٤.

وتزايد الاهتمام البريطاني بالكويت وعموم الخليج العربي في خضم التنافس مع الدولة العثمانية على مناطق النفوذ منذ مطلع القرن العشرين، ففي ٢٤ آيار ١٩٠٠ وافق شيخ الكويت على حظر استيراد الأسلحة إلى بلاده أو تصديرها (٢٣).

ومع أوائل عام ١٩٠٨ وصلت أرض الجزيرة السيارة الأولى وكان مالكاها ولیم شكسبير ومساعدته المقيم السياسي البريطاني في الكويت وكان ولیم شكسبير العسكري الذي يحمل كل الصفات التقليدية في أصل الطبقة البريطانية الحاكمة تلك الأيام واستطاع أن يلتقي الملك عبد العزيز في الكويت (٢٤).

ولم يكن كوكس بعيداً عن تلك التطورات التي كانت السلطات البريطانية في الخليج العربي وحكومة الهند توليها الاهتمام المطلوب قبل ضم الإحساء إلى نجد إذ كوكس بوصفه المقيم السياسي في الخليج العربي قد إدعى إلى شكسبير الوكيل البريطاني في الكويت إلى لقاء ابن سعود في مخيمه قرب الكويت وتناول الاجتماع أحداث المنطقة ثم رفع شكسبير تقريره في شباط في العام نفسه إلى كوكس موضحاً فيه رغبة ابن سعود في التخلص من الحكم العثماني (٢٥).

كما يلاحظ أيضاً دور كوكس بوصفه المقيم البريطاني في الخليج العربي في تعزيز علاقة بلاده مع الكويت ففي ٢٤ نيسان ١٩١١ طلب مبارك الصباح شيخ الكويت من كوكس حماية أملاكه في أم قصر وصفوان فضلاً عن تقديمه اقتراحاً إلى كوكس تضمن أن توجر بريطانيا ميناء الكاظمة أو أن يسمح شيخ الكويت بتأجيرها أو يقدم البريطانيون وعوداً بحمايتها وكانت إجابة كوكس إيجابية (٢٦).

أوعزت الحكومة البريطانية إلى كوكس أن يتصل بالشيخ مبارك الصباح ويفاوضه بشأن السماح له بالتنقيب عن النفط في الكويت بعد الاستعانة بجهود الاختصاصيين في هذا المجال وعدم السماح لأي دولة أخرى للقيام بهذه المهمة (٢٧).

وفي منتصف تموز ١٩١٣ تمكنت بريطانيا من الحصول على إمتياز النفط وعلى أثر تلك المناقشات التي جرت في مجلس العموم البريطاني حول حاجة بريطانيا الشديدة إلى النفط وهو الأمر الذي دفع كوكس إلى أن يبعث إلى شيخ مبارك الصباح طالباً منه تقديم ضمان مكتوب يتعهد فيه بعدم التنازل عن حق التنقيب

(٢٣) سيد نوفل، الخليج العربي او الحدود الشرقية للوطن العربي، دار الطليعة، (بيروت، ١٩٦٩): ١٧٨.

(٢٤) سمير عطا الله، قافلة الحبر والرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج (١٧٦٢-١٩٥٠)، ط١، دار السافي، (بيروت، ١٩١٤): ٩٩.

(٢٥) الحمدي، المصدر السابق: ٣٠.

(٢٦) سلوت مبارك الصباح، مؤسس الكويت الحديث (١٩١٥-١٨٩٩)، ترجمة: عسيوي أيوب، مركز الدراسات والبحوث الكويتية، (الكويت، ٢٠٠٨): ٤٥٨.

(٢٧) عبد المجيد عبد الحميد العاني، السياسة البريطانية تجاه الكويت (١٨٩٦-١٩١٥)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة بغداد، ١٩٨٤): (١٣٣-١٣٤).

عن النفط في بلاده إلا لمن تعينه الحكومة البريطانية فبعث إليه مبارك بهذا الضمان فيما يعرف بإسم (اتفاقية الزيت) في ٢٧ تشرين الأول ١٩١٣^(٢٨).

أما قطر فلم يكن كوكس بعيداً عن الاهتمام البريطاني بها مثل بقية الإمارات العربية إذ عبر كرزن نائب الملك في الهند برسالة بعثها إلى كوكس عن رأيه في الطريقة الوحيدة للحصول على تأييد عبد الله بن قاسم آل ثاني (١٩١٣-١٩٤٩) شيخ قطر الذي وصف موقفه بأنه كان متأرجحاً ما بين التحالف مع العثمانيين أو البريطانيين حتى قيام الحرب العالمية الأولى وجاء بالرسالة ويأتي "نعطيهِ تأكيدات أن وضعه وامتيازاته كشيخ لقطر تلقي اعترافاً وحفاظاً عليها أيضاً من قبلنا"^(٢٩).

وفي المقابل تنازل العثمانيون عن حق السيادة على قطر والبحرين بموجب اتفاقية عام ١٩١٣ بشرط ألا تغير بريطانيا وضعها ولم تلبث أن أجليت الحماية العثمانية عن قطر في عام ١٩١٥ وفي العام التالي وقعت بريطانيا مع قطر اتفاقية جعلتها تحت الحماية البريطانية في أثناء نشوب الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية ولم يعني ذلك أن قطر أصبحت تحت الأهمية نفسها مثل الإمارات المجاورة التي طبقت فيها نفس النظام فقد ظلت قطر تتوارى خلف البحرين فقد وصف عهد الشيخ عبد الله بن قاسم بأنه عصر العزلة والدليل على ذلك أن بريطانيا لم تجد ضرورة لتعيين وكيل لها في الدوحة إلا في عام ١٩٤٩ وهي السنة نفسها التي بدأ بها تصدير النفط^(٣٠).

وبعد قيام الحرب العالمية الأولى رأى كوكس، المقيم السياسي في الخليج العربي إن أفضل وسيلة للتخلص من حركة الجهاد الديني^(٣١) المؤيدة من الدولة العثمانية للوقوف ضد النفوذ والوجود البريطاني في الخليج العربي في، إحكام السيطرة على المنطقة واستغلال الخلافات المذهبية والطائفية القائمة بين فارس والدولة العثمانية في منع تدفق القوات العثمانية في المقاطعات الفارسية في الجنوب^(٣٢).

إذ إن الدولة العثمانية لم تدخل الحرب إلا بعد ثلاثة أشهر من قيامها في أوروبا وخلال تلك المدة لم تغفل حكومة الهند في بحث الإجراءات التي يجب اتخاذها في منطقة الخليج العربي وكان رأي كوكس هو ألا

(٢٨) بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الكويت الاجتماعي والاقتصادي في العصر الحديث، منشورات ذات السلاسل، (الكويت، ١٩٨٣): ٢٩٢.

(٢٩) جون ولينكسون، حدود الجزيرة العربية، قصة الدور البريطاني في رسم الحدود عبر الصحراء، ترجمة: مجدي عبد الكريم، مكتبة مدبولي (القاهرة، ١٩٩٤): ١٦٦.

(٣٠) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة، ١٩٨٢): (٢٢٩-٢٣٠).

(٣١) قاسم، الخليج العربي، دراسة لتاريخ الإمارات العربية: (١٢١-١٢٢).

(٣٢) المصدر نفسه: ٦.

ترسل بريطانيا قوات عسكرية إلى المنطقة إلا بعد وقوع الحرف فعلاً وهدفه من ذلك هو ألا تظهر بريطانيا أمام السكان بمظهر المتعدي (٣٣).

كما أصدرت الحكومة البريطانية بناء على اقتراح كوكس بعد إعلان الحرب العالمية تعهداً ضامناً لاستقلال شيخي المحمرة والكويت وعبد العزيز آل سعود أمير نجد والإحساء (٣٤).

حيث لعب كوكس دوراً مهماً في الخليج العربي إذ اتخذ من بوشهر مركزاً له إذ أسهم أيضاً في إدامة علاقة بريطانيا مع عمان والبحرين (١٩٠٤-١٩٠٥) وتسوية الخلافات بين شيوخ ساحل عمان بعقد اتفاق بينهما عام ١٩٠٧ وفي عام ١٩٠٩ عين قنصلاً عاماً في بوشهر وأشرف على محاربة تجارة الأسلحة في مسقط (١٩١٠-١٩١٢) (٣٥).

المبحث الثاني:

دخول الدولة العثمانية الحرب واحتلال بريطانيا للعراق:

مع ضعف الدولة العثمانية تنامت مصالح عدد من الدول الاستعمارية في العراق ومنها المصالح البريطانية ولا سيما في القرن التاسع عشر وأشاد اللورد كرزن صراحة عام ١٨٩٢ إلى أن بغداد يجب أن تدخل ضمن منطقة سيطرة بريطانيا العظمى (٣٦).

في صباح ٣ آب عام ١٩١٤ فوجئ العراقيين بالطبول تدق على غير العادة وشاهدوا على الجدران إعلانات رسم فيها صورة مدفع وبندقية وكان القصد من هذا الإعلان البدء بالتعبئة العامة دون الاشتراك في الحرب إذ أن تركيا لم تدخل الحرب إلا بعد ثلاثة أشهر (٣٧).

إذ أن عامة الناس في العراق لم يميزوا بين إعلان الحرب والنفي العام والدخول إلى الحرب فسيطر الخوف على الكثير منهم واعتبروا الأمر من قبيل البلاء أنزل الله عليهم (٣٨).

(٣٣) الحمدي، المصدر السابق: ١٤.

(٣٤) حميد أحمد حمدان التميمي، البصري في عهد الاحتلال البريطاني (١٩١٤-١٩٢١)، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، مطبعة الإشادة، (بغداد، ١٩٧٩): ١٠٨.

(٣٥) الحمدي، المصدر السابق: ١٩.

(٣٦) أسامة عبد الرحمن نعمان الدوري، أحوال بغداد الاجتماعية في سنوات الاحتلال البريطاني (١٩١٧-١٩٢٠) المؤتمر الدولي بغداد (مدينة السلام) في الحضارة الإسلامية، دار الشرق للطباعة والنشر، مجلة كلية الآداب (جامعة بغداد، ٢٠١٩): ٥١٧.

(٣٧) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث من (١٩١٤ إلى ١٩١٨)، ط ٢، دار مكتبة دجلة والفرات، (بغداد، ٢٠٠٩)، (٤ / ٨١).

(٣٨) الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، من (١٩١٠ إلى ١٩١٨)، ط ٢، (٤ / ٨١).

وعندما أعلنت تركيا حالة النفير العام بدأت الأخبار تتسرب إلى القناصل البريطانيين في البصرة وبوشهر والمحمرة بأن الأتراك عازمون على دخول الحرب إلى جانب ألمانيا قريباً وإنهم يعدون العدة لذلك^(٣٩).

وفي مساء ٣١ تشرين الأول تلقى قائد المركب برقية مفادها أن الحرب أعلنت على تركيا وأوعز إليه بأن يقوم بحماية المصالح والممتلكات البريطانية في المحمرة وعبادان وبعد يومين إنساب المركب نحو شط العرب فألقى مراسيه تجاه قرية سيحان الواقعة على بعد ثلاثين ميلاً من الفاو. وفي ٦ تشرين الثاني إنساب المركب نحو شط العرب حيث التقى هناك بعد يومين بالحملة القادمة لغزو البصرة فساعدتها بمدافعه^(٤٠).

وفي ٦ تشرين الثاني ١٩١٤ نزلت إلى شط العرب القوات البريطانية الهندية التي كانت متحشدة في البحرين واستولت على الفاو^(٤١).

وفي ٢٣ تشرين الثاني وصل الجنرال باريت إلى البصرة إلى رأس قواته ومعه مستشاره السياسي السيد برسي كوكس وقد جرى احتفالاً أمام سراي الحكومة حضره وجهاء البلدة وألقى كوكس بإسم القائد خطاباً^(٤٢).

حيث رافق كوكس الحملة بصفته (رئيساً للحكام السياسيين) وألقى بياناً كرر فيه أسف الحكومة البريطانية لإضطرارها إلى معاداة الحكومة التركية، أن يعلم الشعب العراقي بأن بريطانيا لا تخاصمهم ولا تعترض أموالهم ما داموا لا يبدون موقفاً معادياً لها^(٤٣).

دخل القوات البريطانية إلى البصرة بغية القضاء على النهب والسلم والحرائق التي أصابت المدينة بناءً على الرسائل المستعجلة من الوجوه المحليين والقنصل البريطاني تتأشد الجيش المتقدم الإسراع في المسير وفي يوم الاحتلال أصدر البيان بانتهاء الحكم التركي في المنطقة^(٤٤).

أكد برسي كوكس في خطابه عندما دخل البصرة حيث قال: "أصدرت الأوامر المشددة لجنودي بأن يعاملوا السكن عموماً بودٍ وتقدير تامين عند قيامهم بالواجبات الملقاة على عاتقهم"^(٤٥).

(٣٩) الوردي، المصدر السابق، (٤ / ٨١) .

(٤٠) المصدر نفسه، (١٠٥-١٠٦) .

(٤١) مذكرات المس بيل، ترجمة: جعفر الخياط، ط١، دار المجتبى، مطبعة البرهان، (النجف، ٢٠٠٦): ١٢.

(٤٢) الوردي، المصدر السابق، (٤ / ١١٩) .

(٤٣) المس بيل، المصدر السابق، ١٢.

(٤٤) المصدر نفسه: ١٥.

(٤٥) الوردي، المصدر السابق، (٤ / ١١٩) .

وكان الشيخ عجمي السعدون قد بعث إلى برسي كوكس بعد احتلال البصرة بعدة رسائل مشوشة بواسطة بعض الأصدقاء مفادها أنه يرغب في بناء العلاقات مع الحكومة البريطانية كما عبر عن رغبته في اللقاء بـ كوكس^(٤٦).

أجاب كوكس بأن بريطانيا لا تبغي الشر للعرب وشيوخهم وجرى مراسلات عديدة أعرب كوكس عن استعداده لملاقاة العجمي في أي مكان ممكن^(٤٧).

وفي ٢٣ حزيران احتلت القوات البريطانية مدينة العمارة ثم قامت بعدها القوات البريطانية باحتلال الناصرية لتأمين البصرة من أي هجوم آخر في المستقبل في هجوم الشعبية وفي معركة صفوان خسر الأتراك جميع قواتهم البالغة ستة آلاف بين قتيل وجريح وأسير إضافة إلى خسارة مدافعهم كلها^(٤٨).

ولم تنته السنة الأولى من الحرب حتى كانوا على مقربة من بغداد وكادوا يحتلون لولا الخطأ الذي وقعوا فيه من جراء غرورهم واستهانتهم بقوة عددهم وكانوا الأتراك عندئذ قد بدأوا يتلافون أخطائهم فجاءوا بإعدادات كثيرة وأنزلوا بالإنكليز ضربة قاصمة^(٤٩).

وفي يوم الأحد ١١ آذار سنة ١٩١٧ فوجئ الشعب العراقي بخبر سقوط بغداد على أيدي الجيوش الإنكليزية فوق وقع الصاعقة عليه وبعد ساعات ظهرت طائرات في سماء سامراء^(٥٠).

وما ان سقطت بغداد بأيدي المحتلين البريطانيين حتى أصبحت شؤون البغداديين الاجتماعية والاقتصادية في اسوء حال بعد ثلاث سنوات من اندلاع الحرب التي أضرت كثيراً بأوضاعهم^(٥١).

واصل بعد ذلك البريطانيون احتلال باقي المدن العراقية فقد تمكنوا من احتلال خانقين في عام ١٩١٧ وكذلك الرمادي في العام نفسه وواصلوا تقدمهم باتجاه الشمال^(٥٢).

وفي ٣٠ أكتوبر ١٩١٨ وقعت معاهدة موندروس التي حققت بريطانيا من خلالها ما عجزت عن تحقيقه في ساحات القتال أثناء الحرب العالمية الأولى^(٥٣).

(٤٦) المس بيل، المصدر السابق، ١٧.

(٤٧) المصدر نفسه: ١٧.

(٤٨) المس بيل، المصدر السابق، (١٨ - ١٩).

(٤٩) الوردي، المصدر السابق، (٤ / ١١٩).

(٥٠) عبد الكريم العلاف، بغداد القديمة، ط٢، الدار العربية للموسوعات، (بيروت، ١٩٩٩): ٢٦٠.

(٥١) الدوري، "أحوال بغداد الاجتماعية في سنوات الاحتلال البريطاني ١٩١٧-١٩٢٠": ٥٦٥.

(٥٢) إيناس خالد الجيلوي، "الموظفون البريطانيون في العراق خلال فترتي الاحتلال والانتداب ١٩١٤-١٩٣٢"، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد ٧، (جامعة بابل، ٢٠٢٢)، ١٩٧.

(٥٣) خالد الدل، الهاشميون من حكم الإمارة العثمانية إلى تأسيس الممالك العربية، ط١، دار الأهلية للنشر والتوزيع، (عمان، ٢٠١١)، ٦٩.

ولا شك أن احتلال بريطانيا للعراق قد أدخل العراق وشعوبه لأول مرة في تاريخه الحديث في مرحلة الحداثة والتخلص من أوضاع القرون الوسطى التي عاشها في ظل سيادة الدولة العثمانية^(٥٤).

وصول برسي كوكس إلى بغداد:

وكان المستشار السياسي للحملة البريطانية في العراق السير برسي كوكس قد وصل إلى بغداد بصحبة الجنرال مود فخصصت له دار القنصلية النمساوية لتكون دائرة له وهي تقع على النهر بالقرب من دار القنصلية البريطانية التي نزل فيها مود^(٥٥).

ولم يكن مع كوكس عند وصوله بغداد سوى ضابط واحد يعاونه في عمله فاستدعى إليه من البصرة عددًا من الموظفين والضباط الذين لهم خبرة بالبلاد العربية ومن بينهم جون فيليبي بونهام، كارتر، غاربيت^(٥٦). وقد باشر كوكس بتشكيل جهاز الإدارة المدنية من العسكريين البريطانيين والهنود وقد برر كوكس ذلك العمل بقول "إن البلاد بحاجة إلى خبرة إدارية تتطلب الإستعانة بالموظفين البريطانيين والهنود"^(٥٧). حيث صدرت أوامر القيادة العسكرية باستبدال عنوان وظيفة كوكس من الضابط السياسي الأول إلى رئيسًا للحكام السياسيين (Chief political officer) ووضع عددًا من ضباط الجيش تحت أمرته للعمل في الشؤون الإدارية والمدنية^(٥٨).

واختيار برسي كوكس عدد من الموظفين البريطانيين بالتشاور مع قائد القوات البريطانية في العراق لتشكيل جهاز الإدارة المدنية وأوكلت إليهم المهام التالية:

- أ- مهام أمنية وإدارية للحد من حالة الفوضى المتمثلة في مهاجمة المؤسسات الحكومية.
- ب- توفير احتياجات القوات العسكرية.
- ت- تقديم خدمات أساسية للمواطنين وحل مشاكلهم وتأمين العلاقة بين السكان والمحتلين البريطانيين^(٥٩).

(٥٤) كاظم حبيب، لمحات من عراق القرن العشرين، الكتاب الثالث، ١١٠٣، العراق الملكي، بداية الاحتلال البريطاني للعراق ونهاية الانتداب (١٩١٤ - ١٩٣٢)، ج١، ط١، دار اراس للطباعة والنشر، (أربيل، ٢٠١٣)، ٦٠.

(٥٥) الوردي، المصدر السابق، (٤ / ٣٥٦).

(٥٦) المصدر نفسه، (٤ / ٣٥٦).

(٥٧) كوكس ودوبس، تكوين الحكم الوطني في العراق، ٣٥.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٥٩) عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ط٧، مطبعة العرفان، (بيروت، ٢٠٠٨)، (٣ / ١١٤).

وباشر كوكس بتدريب ملاك من الموظفين البريطانيين والهنود على مؤسسة الشرطة التي تشكلت في ضمن جهاز الإدارة المدنية وعهد بإدارتها إلى الرائد براون (Brown Low) الذي منح صلاحيات واسعة لتحقيق الأمن في البلاد وضمان سلامة القوات البريطانية في العراق^(٦٠).

وبعد احتلال بغداد إهتمت سلطات الاحتلال البريطاني في العراق بتشكيل الإدارة المدنية فيه إذ قسمت البلاد على خمس عشر وحدة إدارية، أطلق عليها اللواء (Derisory) يرأس هذه الألوية حكام سياسيون (Political officers) ويرتبط بها أربعون قضاء ويدير كلاً منها مساعد حاكم سياسي وتم تعيين حكام عسكريين في المدن الرئيسية^(٦١).

وأصبحت إدارة مناطق العراق المحتلة بيد مندوب مدني يرتبط بوزارة شؤون الهند وله مساعدان أحدهما للشؤون القضائية والآخر للشؤون المدنية^(٦٢).

إذ زاد عدد الموظفين البريطانيين في العراق حيث وصل في بغداد وحدها (٢٧٨١) موظفًا بينهم حوالي (١٨٩) عراقياً فقط^(٦٣).

وبلغ عدد موظفي دائرة الحاكم السياسي خمسين موظفًا بريطانيًا، إذ وصل إلى العراق ومن مختلف المستعمرات البريطانية عدد من هؤلاء الموظفين العمل في المؤسسات الإدارية في البلاد ومنهم ماي (Mai) في المالية وبونهام كارتر (Bonham) وبيل ونورتن (Norton) للقضاء وكونس (Cons) لجهاز الشرطة وويدز (Weidz) للعقار والأراضي^(٦٤).

كما أنشأت السلطات في كل منطقة من المناطق العشائرية مجلسًا عشائريًا يتكون من ثلاثة رجال من رؤوساء العشائر ومدني واحد ويجتمع هذا المجلس مرة واحدة كل أسبوع وخصص لأعضائه راتب (٣٠٠) روبية^(٦٥).

(٦٠) لوريير، المصدر السابق، (٢ / ١) .

(٦١) المصدر نفسه، ١: .

(٦٢) كوكس ودويس، المصدر السابق: ٣٧.

(٦٣) وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، ط٢، (بغداد، ١٩٨٥): ٢٠٤.

(٦٤) ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث (١٩٠٠-١٩٥٠)، ط١، ترجمة: سليم طه التكريتي، (بغداد، ١٩٨٨): ١٧٨.

(٦٥) كوكس ودويس، المصدر السابق: ٣٧.

ويقول كوكس "حالما انتشر خبر احتلالنا لمدينة بغداد أخذت الوفود المختلفة من جهات العراق تتوافد إلى بغداد لزيارتي والترحيب بمقدمنا وفي مقدمتهم أشرف المدينة ثم شيوخ القبائل القريبة والبعيدة عن بغداد" (٦٦).

وكان الإنكليز يحاولون إقناع الوجهاء ورجال الدين وأبناء الأسر المعروفة بدخول الوظائف بغية جعلهم واجهة حسنة لحكمهم وصاروا يغرونهم بالمرتبات العالية والإميازات الخاصة لكن أكثرهم لم يستجيبوا لرغبة الإنكليز (٦٧).

حيث كان الكثير من الناس في بغداد لا يزالون تحت تأثير حركة الجهاد نفسيًا فكانوا يعتبرون قبول الوظيفة في أيام الاحتلال الإنكليزي أمرًا محرّمًا من الناحية الشرعية إذ هو بمثابة التعاون مع الكفار (٦٨).
إذ أن بريطانيا بعد احتلالها المدن العراقية فرضت حكمًا عسكريًا عليها من جهة وأخذت تضع الخطط الكفيلة لتثبيت أقدامها من جهة أخرى، كما إنها أخذت تفرض القوانين والأنظمة المعمول بها في الهند على العراقيين وتطبقها عليهم بالقوة دون مراعاة لظروف البلدين المختلفين (٦٩).

لقاء السير برسي كوكس بالمس بيل:

يذكر السير برسي كوكس في مذكراته قائلًا: "تعرفت لأول مرة بالمس بيل في دار أصدقاء الطرفين السير ريشموند القنصل البريطاني في بغداد آنذاك السيدة ريتش وذلك في شتاء سنة ١٩٠٩ حيث مكثت ضيفًا رسميًا عندها لمدة بضعة أسابيع موفدًا بمهمة من قبل إدارة النفوذ البريطاني في الخليج العربي" (٧٠).

حيث أن شيموند قد دبر أمر التعاون بيني وبين المس بيل ليتسنى له فرصة المباحثة معي في امكانية قيامها في السنة التالية بمشروع طالما كانت تصبو إليه وهو أن تقوم برحلة برية تخترق بها جزيرة العرب عرضًا (٧١).

(٦٦) الوردي، المصدر السابق، (٤ / ٣٥٧).

(٦٧) المصدر نفسه، (٤ / ٣٥٨).

(٦٨) المصدر نفسه: ٣٥٩.

(٦٩) أحمد رفيق البرقاوي، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢-١٩٣٢، دار الطليعة، (بغداد، ١٩٨٠)، ١٦.

(٧٠) كوكس ودوبس، المصدر السابق، ٢.

(٧١) المصدر نفسه: ٢.

أصبحت المس بيل الساعد الأيمن لكوكس في إتصاله بالأهالي وبالوفود التي جاءت تهنيئ الإنكليز بالنصر من مختلف أنحاء العراق^(٧٢).

كانت المس بيل تعمل كغريبال يقوم بتصفية الزائرين، إذ كانت ترسل إلي كل فرد من الشخصيات المختلفة ويده ورقة من عندها توضح لي القبيلة التي ينتمي إليها والمنطقة التي يمثلها ثم غايته في مواجهتي وهكذا بفضل المس بيل تمكنت من توفير الوقت^(٧٣).

حيث أصبحت المس بيل محور أحاديث الناس في المقاهي والدواوين ومجالس الناس فلم يكن مألوفاً لدى الناس أن تكون امرأة على مثل هذا السلوك أو تملك مثل هذا النفوذ والمقام الرفيع^(٧٤).

الإدارة البريطانية في العراق بعد احتلال الموصل:

ظهرت نوايا الإنكليز تجاه العراق بصورة واضحة وذلك بعد إحتلال الموصل إذ عقد أعضاء (جمعية العلم) اجتماعاً لمعرفة نوايا بريطانيا تجاه العراق فقابل رئيس الجمعية (مكي الشربتي) الحاكم السياسي ليجمن (Leach Man) في ٦ تشرين الثاني ١٩١٨ مذكرة بتحالف الإنكليز مع العراق ووعودهم التي قطعوها لهم فكان جواب الحاكم: "إن احتلال العراق من أولها إلى آخرها هو احتلال بريطاني محض لا علاقة له بالشريف حسين ملك الحجاز" وهكذا انكشفت نوايا الإنكليز على لسان الحاكم السياسي فظهر بمظهر المستعمر للبلاد^(٧٥).

إذ قام الإنكليز بإحداث الفتن والشقاق بين أبناء البلاد وفق سيادتهم المعروفة (فرق تسد) وإفسادهم الأخلاق وعبث جنودهم في البلاد وسوء إدارتهم وتعديات شرطتهم وشتتهم أهل البلاد^(٧٦).

كما استحدث البريطانيون نظاماً قضائياً يهدف إلى استبدال القوانين الموجودة قوانين هندية بصورة جذرية وشاملة في الشؤون المدنية والتجارية وتشكيل المحاكم^(٧٧)، إذا كانت الإدارة البريطانية في العراق تقوم على الأسس التالية:

(٧٢) الوردي، المصدر السابق، (٤ / ٣٥٧).

(٧٣) المصدر نفسه: ٣٥٧.

(٧٤) المصدر نفسه، (٤ / ٣٥٨).

(٧٥) عبد المنعم الغلامي، أسرار الكفاح الوطني في الموصل، مطبعة شفيق، (بغداد، ١٩٦٨)، (٢ / ١٢٥ - ١٢٦).

(٧٦) الغلامي، أسرار الكفاح الوطني في الموصل، (٢ / ١٨٨ - ١٨٩).

(٧٧) سهيل حسين الفتلاوي، تاريخ العلاقات الدبلوماسية في الوطن العربي، دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر، ط١، دار الفكر العربي، مؤسسة ثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ٢٠٠٢)، ٣٦٧.

❖ تأمين حاجياتها بالاستيلاء على بعض الأراضي والممتلكات وتشغيل العراقيين بالإكراه لخدمة المجهود الحربي البريطاني.

❖ التخطيط لجعل الجزء الجنوبي من العراق مستعمرة هندية.

❖ محاولة التقرب من العشائر لضمان ولائها.

❖ العمل على إيجاد نظام اداري تكون المشاركة العراقية فيه من الوظائف الثانوية.

❖ وضع نظام قضائي جديد يهدف إلى استبدال القوانين العثمانية بقوانين هندية في الشؤون المدنية والتجارية والعقارية^(٧٨).

كما إن البريطانيين واجهوا في بداية الاحتلال الرفض حيث أن غالبية الذين استشارتهم بريطانيا ضد العثمانيين هم من المسلمين ورغم الرعاية البريطانية التي لم تحصل على قبول العراقيين للأمر الواقع^(٧٩). كل هذا وغيره أثار الحماسة الوطنية لدى العراقيين فأخذ كثير منهم يعلنون استيائهم وسخطهم من تلك الأفعال ويتنمرون مما أصابهم من ويلات الاحتلال فشرعوا يفكرون في كيفية الخلاص من هذا الاحتلال الجديد^(٨٠).

حيث عمل الحكام السياسيون على إغداق العطايا والأموال على بعض الشيوخ والتقرب إليهم بشتى الوسائل وذلك لمنعهم من المشاركة بالثورة ضدهم^(٨١).

مارست بريطانيا أيضًا سياسة محاربة حرية الأفكار إذ منعت إصدار أية صحيفة سياسية غير الصحف الرسمية فلم يكن آنذاك أثر لحرية المطبوعات ولا لحرية الاجتماعات لذلك نهض الوطنيون يطالبون بمنح الشعب العراقي حقوقه الطبيعية في الاستقلال^(٨٢).

حيث بدأت حركة المقاومة في العراق عام ١٩١٤ عندما كانت البصرة مهددة بخطر الغزو البريطاني وصلت برقية من البصرة إلى علماء الدين في العتبات المقدمة ومختلف المدن العراقية جاء فيها: "نفر البصرة الكفار محيطون به الجميع تحت السلاح تخشى على باقي بلاد الإسلام، ساعدونا بأمر العشائر

(٧٨) جعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر ١٩١٤-١٩٦٨، ط١، دار مكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، (بغداد، ٢٠١٥)، (٢٢ - ٢٣).

(٧٩) عماد محمد ذياب الحفيظ، الصراع الطائفي وتأثيره على البيئة، ط١، دار الصفاء لنشر والتوزيع، (عمان، ٢٠٠٦)، ٣٨.

(٨٠) الغلامي، المصدر السابق، ج٢، ص١٨٨-١٨٩.

(٨١) أحمد علي الصوفي، أرض السواد، مطبعة الاتحاد الجديدة، (الموصل، ١٩٥٥)، ١٠٤.

(٨٢) صالح محمد حاتم، صحيفة الاستقلال في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٣٢، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، (جامعة بغداد، ١٩٨٥)، ٢١.

بالدفاع^(٨٣) وهذا ما يدل على مدى تأثير علماء الدين المسلمين على اثاره الشعور الوطني السياسي لدى السكان^(٨٤).

المبحث الثالث:

إعلان الانتداب البريطاني على العراق:

بعد أن تمكنت بريطانيا من السيطرة على العراق بأكمله عقدت مع الحلفاء مؤتمراً في سان ريمو في نيسان ١٩٢٠ وبموجب قرارات هذا المؤتمر خضع العراق للانتداب البريطاني^(٨٥). ووفق المادة (٢٢) من ميثاق عصبة الأمم وهي المادة التي تخص الانتداب التي جاء فيها: "إن بعض الشعوب التي كانت تعود سابقاً إلى الإمبراطورية العثمانية وصلت إلى درجة من التطور بحيث يمكن أن يعترف بوجودها كأمم مستقلة بشرط أن توجه حكمها نصائح ومساعدة الدول المتقدمة إلى الوقت الذي تصبح فيه أهلاً لأن تقود نفسها يجب أن تؤخذ رغبات هذه الشعوب بنظر الاعتبار قبل أي شيء آخر عند اختيار الدولة المنتدبة^(٨٦)."

تمثلت المقاومة الوطنية للاحتلال البريطاني في الموصل بأساليب عدة لكنها تركزت في مجالين أساسيين، هي: إتباع الأسلوب السياسي السلمي والثاني تبين الصيغة العسكرية والكفاح المسلح واتخاذ طريقاً لمقاومة المحتلين البريطانيين^(٨٧). ففي المجال الأول اضطلعت جمعية العلم^(٨٨) التي تأسست عام ١٩١٤ بدور فعال فأنشأت المدارس والمكتبات مثل مكتبة الخضراء ومدرسة النجاح والمدرسة الإسلامية وكان لهذه المؤسسات دور مهم في إثارة شعور القلق لدى الإنكليز^(٨٩).

(٨٣) الورد، المصدر السابق، (٤ / ١٢٧) .

(٨٤) أياد طارق خضير العلواني، "علماء الدين وموقفهم من الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٤-١٩٢١"، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد ٥٠، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٥، ٧٩٩.

(٨٥) مجيد خدوري، تحرير العراق من الانتداب، مطبعة العهد، (بغداد، ١٩٣٥)، ٤٠.

(٨٦) البرت منتشا شيفلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة: هاشم صباح التكريتي، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد، ١٩٨٧)، (١٥٧ - ١٥٨) .

(٨٧) الصوفي، أرض السواد، (٢٠٩ - ٢١١) .

(٨٨) جمعية العلم: تأسست أوائل عام ١٩١٤ وقد اختار مؤسسوها هذا الاسم ليستطيعوا أن يأولوه من العلم (بفتح العين واللام) إلى العلم (بكسر العين) عند الضرورة خوفاً من بطش السلطات الاتحادية وترجح فكرة تأسيس هذه الجمعية إلى شاب مسيحي موصلبي اسمه ثابت عبد النور وكان هدفها الكفاح المسلح ضد الأتراك وضمت عدد من القوميين والشباب المتحمسين، الصوفي، المصدر السابق، (٢٠٩ - ٢١١) .

(٨٩) غانم محمد الحقو، "الحركة الوطنية في الموصل منذ ١٩٢١ حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية"، ج٥، موسوعة الموصل الحضارية، مطبعة ابن الاثير (جامعة الموصل، ١٩٩٢)، (٥ / ٦٤) .

كما كان لجمعية العهد السرية أيضًا التي تأسس فرعها في الموصل في آذار ١٩١٤، دور مهم في تصعيد العمل الوطني والقومي بدعوتها إلى استقلال العراق التام وإنهاض الشعب العراقي والأمة العربية كما أعربت الجمعية عن غايتها بأن يكون نظام الحكم في العراق (ملكياً دستورياً) ويكون أحد أنجال الشريف حسين ملكاً على العراق^(٩٠).

مارست جمعية العلم والعهد دوراً فعالاً في مواجهة الاحتلال البريطاني خاصة بعد أن عقد الحلفاء مؤتمر سان ريمو في نيسان ١٩٢٠ والذي أقر وقوع العراق وفلسطين تحت الانتداب البريطاني لذلك خابت آمال العراقيين في تحقيق الاستقلال التام^(٩١).

المقاومة الوطنية للاحتلال الإنكليزي:

أدى الضغط السياسي والاقتصادي والعسكري الذي مارسه الإنكليز في العراق أثناء مرحلة الاحتلال وتذكروهم الوعود التي قطعوها للشعب العراقي بالاستقلال وتكوين حكومة وطنية^(٩٢). إلى تبني المقاومة المسلحة ضدهم واتخاذ طريقاً ثانياً للكفاح^(٩٣).

لذلك اندلعت الثورات ضد الإنكليز في معظم مناطق الموصل في ٤ حزيران ١٩٢٠ قامت حركة تلغفر^(٩٤).

وبتأييد ودعم فرع جمعية العهد^(٩٥) بالموصل والتي كانت غايتها تحرير الموصل من الاحتلال البريطاني إذ كانت هذه الحركة مقدمة لشرارة ثورة العشرين في أنحاء العراق كافة^(٩٦).

(٩٠) فاضل حسين، الفكر السياسي في العراق المعاصر ١٩١٤-١٩٥٨، مؤسسة الخليج للطباعة، (بغداد، ١٩٤٨)، (٥٢ - ٥٣) .
(٩١) أدبت واي بيروز، العراق دراسة في علاقاته الخارجية وتطورات الداخلية ١٩١٥-١٩٧٥، ج ١، ط ١، ترجمة: عبد المجيد حسين القيسي، الدار العربية للموسوعات، (بيروت، ١٩٨٩): ١٠٦.

(٩٢) حاتم، المصدر السابق: ١١٠.
(٩٣) عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى، ط ١، مطبعة الانتشار، (بغداد، ١٩٦٣)، ٢٠٧.
(٩٤) قحطان أحمد عبوش التلعفري، ثورة تلغفر ١٩٢٠ والحركات الوطنية الأخرى في منطقة الجزيرة، مطبعة الأزهر، (بغداد، ١٩٦٩)، (٣٦ - ٣٧).

(٩٥) جمعية العهد: تأسست في ٢٨ تشرين الأول ١٩١٣ بزعامة عزيز علي المصري وبعض الضباط المتحمسين للقضية العربية في الاستانة وسميت بالعهد لأن إنتماء أي عضو إليها بمثابة عهد بينه وبين الله على خدمة الأمة العربية وكان هدفها الحصول على الاستقلال الداخلي للأقطار العربية. بيروز، العراق دراسة في علاقاته الخارجية وتطورات الداخلية ١٩١٥-١٩٧٥، ١٠٦.

(٩٦) الحفو، الحركة الوطنية في الموصل منذ ١٩٢١ حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية، موسوعة الموصل الحضارية، (٥ / ٦٤) .

أما الجمعية الثالثة فهي جمعية حرس الاستقلال التي تأسست في بغداد في نهاية شهر شباط ١٩١٩^(٩٧) وقد انتخب هيئة إدارتها من طرف جلال بايار وشكر محمود وناجي شوكت وعارف حكمت وجعفر أبو التمن وتضمن برنامجها أموراً متعددة، منها:

١- استقلال العراق استقلالاً تاماً.

٢- تشكيل مملكة عراقية يسند فيها العرش إلى أحد أنجال الملك حسين على أن يكون ملكاً دستورياً ديمقراطياً.

٣- العمل على ضم المملكة العراقية إلى لواء الوحدة العربية.

٤- توحيد كلمة العراقيين وبذل أقصى الجهود للقضاء على كل بواعث الاعتراف في الدين والمذهب^(٩٨).

قامت جمعية حرس الاستقلال بنشاط واسع بين مختلف أوساط المواطنين مما جعلها تتمتع بمركز قوي كما إنضمت إليها منظمة سرية تدعى (جمعية الشبيبة العربية) كما نجحت في تأسيس فروع عديدة لها في بغداد والنجف والحلة وغيرها من مدن العراق^(٩٩).

لكن سرعان ما بدأ الخلاف والتنازع بين التنظيمين حيث ذهب البعض إلى القول أن النزاع بينهما كان مبعثه بعض القضايا الشخصية والبعض الآخر يرى أن سبب النزاع فقره وردت في منهاج حزب العهد تنص قبول مساعدة بريطانيا الفنية والإقتصادية للحصول على استقلال العراق وقد اعترض حزب الحرس على هذه الفقرة^(١٠٠).

لقيت الحركة الوطنية المقاومة من سلطات الاحتلال التي عمدت إلى الشدة والعنف للوقوف بوجه الانتفاضات الشعبية التي شملت مناطق العراق المختلفة خلال الفترة بين عام ١٩١٨-١٩٢٠ فقد انتفضت السليمانية وتلعفر وأربيل وسرعان ما تحولت هذه الانتفاضات إلى ثورة شاملة^(١٠١).

وكنتيجة لقرارات مؤتمر سان ريمو في ٢٥ نيسان ١٩٢٠ بوضع العراق تحت الانتداب البريطاني استنكر العراقيون هذا استنكاراً شديداً وأخذت مقاومتهم لكل هيمنة أجنبية تتخذ شكلاً خطيراً^(١٠٢).

(٩٧) حميدي، تاريخ العراق المعاصر (١٩١٤-١٩٦٨)، ط١، (٢٦ - ٢٧) .

(٩٨) زهير عبد الجبار الدوري، الفكر والسياسة لدى الجمعيات والمنتديات والأحزاب العربية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط١، الأوائل للنشر والتوزيع، (دمشق، ٢٠٠٥)، ٦٧.

(٩٩) حميدي، المصدر السابق: ٢٧ .

(١٠٠) الوردي، المصدر السابق، (٤ / ٩٥) .

(١٠١) حميدي، المصدر السابق، ٢٨.

(١٠٢) الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ط٧، (٣ / ٩٢) .

وتوتر الجو السياسي في العراق وعقد زعماء الحركة الوطنية سلسلة من الاجتماعات عرفت بإسم المواليين وقوبلت تلك الاجتماعات بسياسة الشدة من قبل السلطات البريطانية وقد حدثت مظاهرة جماهيرية واسعة في ٢ حزيران ١٩٢٠ عندما قابلوا ممثلو الحركة الوطنية وكيل الحاكم الملكي وطالبوا بإجابة المطالب التالية:

١- إنشاء مجلس تأسيس.

٢- إطلاق حرية الصحافة^(١٠٣).

وكرر فعل على المطالب التي رفعتها الحركة الوطنية أصدرت الحكومة البريطانية بلاغاً في ١٠ حزيران من نفس السنة أدعت فيه إنها ستسعى إلى العمل على تحسين أوضاع العراق السياسية بواسطة تشكيل حكومة مستقلة وسيخول برسي كوكس صلاحية تنظيم مؤقت ل:

١- مجلس شوري تحت رئاسة عربي.

٢- مؤتمر عراقي يمثل أهالي العراق ينتخب أعضائه باختيارهم ويكون واجبه الأول إعداد القانون الأساسي وكان ويلسن يأمل من هذا البيان وقف نشاط الحركة الوطنية لكن بيانه لم يحقق أهدافه^(١٠٤).

تضافرت الأسباب والدوافع لدى العراقيين والوطنيين لرفض الانتداب والاحتلال خاصة ما حصل من حركات تحريرية لدى بعض الدول المجاورة والأقطار التي كانت تابعة للدولة العثمانية وانفصلت عنها بالإضافة إلى انتشار الأفكار التحريرية من طرف الأحزاب والجمعيات السرية وقيام الثورة البلشفية في روسيا وتنصيب فيصل بن الحسين ملكاً على سوريا وقيام الثورة المصرية بزعامة سعد زغلول وتصريحات رؤساء الدول الأوروبية ومناداتهم بتحرير الشعوب كلها كانت عوامل مباشرة ساعدت في إشعال الثورة^(١٠٥). إن المؤرخين العراقيين يعتبرون ٣٠ تموز ١٩٢٠ بداية الثورة لأن ذلك اليوم اعتقلت سلطات الاحتلال في الرميثة^(١٠٦) شيخ قبيلة الظوالم شعلان أبو الجون فحرره رجاله من السجن بعد قتلهم لأثنين من الحراس^(١٠٧).

(١٠٣) حميدي، المصدر السابق: ٣١.

(١٠٤) المصدر نفسه: ٣١.

(١٠٥) سلمان هادي آل طعمة، كربلاء في ثورة العشرين، ط١، نيسان للنشرة التوزيع، (بيروت، ٢٠٠٠): ١٣.

(١٠٦) الحسني، المصدر السابق، (٣ / ٤٢) .

(١٠٧) كمال مظهر أحمد، صفحات من تاريخ العراق المعاصر، ط١، منشورات البرليس، (بغداد، ١٩٨٧): ٥٣.

حيث عد إخراج الشيخ شعلان من السجن بمثابة الشرارة الأولى للثورة التي إتخذت نمط المقاومة الشعبية بوجه المحتل البريطاني^(١٠٨).

إذ امتد لهيبها شيئاً فشيئاً من بعقوبة إلى كفري ثم إلى أربيل أما المناطق الكردية الأخرى فلم تسهم بثورة العشرين وذلك لما كانت تعانيه من الضربات العسكرية التي ألحقها الإنكليز بهم^(١٠٩).

كما قام شيوخ العشائر في المناطق العراقية بحث رجالهم على مواجهة قوات الاحتلال والتصدي لها من خلال الهجمات المباغته عن طرق المواصلات ومناطق وجود الجيش المحتل وقطع أسلاك التلغراف بهدف شل حركة التموين والإمدادات البريطانية وقطع الإتصال بين وحدات الجيش وقياداتهم كما استطاع أبناء العشائر من قتل عدد من الضباط البريطانيين الذين أساءوا التصرف مع عشائر المنطقة^(١١٠).

تميز الثوار بروح نضالية عالية خلافاً لقوات الاحتلال التي رغم كل الجهود التي بذلتها عجزت عن المواجهة واضطرت في نهاية الأمر إلى التراجع نحو مدينة الرميثة حيث حاصرها الثوار من كل مكان وأدى تجاوب الجماهير الشعبية معهم إلى فقدان قوات الاحتلال لسيطرتها على مناطق الفرات الأوسط حيث جرى حصارها في مدينتي الرميثة والسماوة من قبل رجال المقاومة^(١١١).

مما جعل قوات الاحتلال تعلن رغبتها في مفاوضات عاجلة لتحقيق مطالب الحركة الوطنية العراقية التي تتمثل في إطلاق سراح المساجين السياسيين ومنح العراق الاستقلال التام وعلى هذا الأساس وافق رؤساء العشائر الثائرة ورجال الدين في ٩ تموز ١٩٢٠ على إعلان الهدنة لمدة ٤ أيام قصد الشروع في هذه المفاوضات لكن سرعان ما تبين الخداع من طرف العدو لكسب الوقت مما تراجع حصارهم الثوار لقوات الاحتلال حتى نكثت بريطانيا وعودها مما جعل الثوار يستأنفون المعارك في منطقة الرميثة وكبدوا العدو خسائر فادحة^(١١٢).

(١٠٨) محمد حسين زبون الساعدي، أهالي العمارة وثورة ١٩٢٠ دراسة في ضوء التحدي والإستجابة، مج ٨، العدد ١٥، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، (العراق، ٢٠٠٩)، (٨ / ٣٣).

(١٠٩) عمار يوسف عبد الله، بريطانيا والانتفاضات الكردية في العراق ١٩١٩-١٩٣٢، مج ٧، العدد ٣، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، (جامعة الموصل، ٢٠١٢)، (٧ / ٦).

(١١٠) الساعدي، أهالي العمارة وثورة ١٩٢٠ دراسة في ضوء التحدي والإستجابة، مج ٧، ص ٣٣.

(١١١) علي المحجوي، العالم العربي الحديث، تخلف فاستعمار فمقاومة، ط ١، دار الانتشار العربي، دار محمد علي للنشر، (بيروت، ٢٠٠٩)، (١٦٩ - ١٧٠).

(١١٢) المحجوي، المصدر السابق، ط ١، (١٦٩ - ١٧٠).

تواصلت المواجهات البريطانية العراقية وشملت حينئذ المناطق الجنوبية لنهر الفرات وامتد نشاطها إلى منطقة البصرة واقتصر النفوذ البريطاني على بعض القواعد العسكرية أهمها بغداد والبصرة والموصل إضافة إلى حوض نهر دجلة جنوبي شرقي البلاد (١١٣).

ولعرقلة وصول المواد الأساسية للعدو قاموا بنسف السكك الحديدية وقطع طرق النقل الأخرى ولهذا لجأت قوات الاحتلال إلى الطائرات لمد حامياتها العسكرية بالمؤن والذخيرة التي كثيرًا ما كانت تقع بيد الثوار حتى أصبحت مصدر تموينهم (١١٤).

لم يكن لدى العراقيين حين ثاروا في وجه الإنكليز غير الأسلحة البدائية كالفالّة والخنجر والسيف والقليل من البنادق القديمة وعدد ضئيل من الرشاشات والمدافع المعطلة التي غنموها من المعارك بعد قيام الثورة بشهر أو أكثر في حين أن الجيوش البريطانية كانت مجهزة بأحدث الأسلحة من المدافع والدبابات والقنابل والطائرات والتكافؤ بين الجانبين المتحاربين مفقود سواء في السلاح أو في الأموال والرجال (١١٥).

اقترح لورنس وكان عندئذ أبرز مخططي السياسة البريطانية في الشرق الأوسط تفويض المندوب السامي في العراق تنفيذ برنامج من شأنه تهدئة الأوضاع وإطفاء لهيب الثورة وذلك بتأليف حكومة وطنية واعتبار اللغة العربية لغة رسمية (١١٦).

وفي ١١ تشرين الأول ١٩٢٠ وصل إلى بغداد السير برسي كوكس بعد فشل السياسة التي اتبعها أرنولد ولسن التي كانت قائمة على التجاهل التام للعراقيين في مطالبهم لإقامة حكم وطني لهذا انتشرت في الصحف البريطانية مقالات ركزت على القول بوضع حد لحكم العراق حكمًا استبداديًا مباشرًا ومن هنا تم اختيار برسي كوكس خلفًا لولسن ليمارس سياسة أكثر لينًا ومستهدف بصورة أساسية تشكيل حكومة عصرية تبعًا لنصوص الانتداب (١١٧).

ذكر السير برسي كوكس قائلًا: "قررت الحكومة البريطانية إجراء تعديل في سياستها في العراق وتسمية منصبي بصفتي أكبر موظف سياسي بريطاني تابع للقيادة العامة فيه وصرت أعرف منذ ذلك التاريخ بإسم

(١١٣) المصدر نفسه: ١٧١.

(١١٤) المصدر نفسه: ١٧١.

(١١٥) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ط١، مطبعة سرو، (قم ٢٠٠٠)، ٣٥٨.

(١١٦) المحجوي، المصدر السابق: ١٧٤.

(١١٧) حامد محمود عيسى، القضية الكردية في العراق من الاحتلال البريطاني إلى الغزو الأمريكي (١٩١٤-٢٠٠٠) ط١، مكتبة مدبولي للطباعة والنشر، (القاهرة، ٢٠٠٥)، ٦٠.

(المندوب المدني السامي) وأعطى لي الإتصال المباشر بإدارة قسم الهند من وزارة الخارجية البريطانية فصارت تصدر بإسمها بعد ذلك جميع الأوامر والتعليمات في القضايا غير العسكرية^(١١٨). وعند وصول برسي كوكس إلى بغداد عام ١٩٢٠ ليكون أول مندوب في العراق لتنفيذ هذه المهمة عمل على تهدئة الأوضاع وأفلح في تكوين حكومة مؤقتة برئاسة عبد الرحمن الكيلاني نقيب أشرف بغداد^(١١٩). حيث قابل الشعب العراقي وصول السير برسي كوكس كأول ممثل سياسي بريطاني في العراق إلى بغداد بشيء من الإرتياح وكان قادة الرأي في البلاد يعلقون على سياسته يومئذ من أجل إنهاء الثورة التي كبدت الشعب ضحايا كثيرة في الأموال والأنفس وركون البلاد إلى الهدوء والسكينة بعد ذلك الهيجان العظيم فأعدت لأستقباله العدة اللازمة واشترك في الاحتفال بقدمه كثير من رجالات العاصمة وبعض رؤساء القبائل غير الثائرة^(١٢٠).

وبعد إنتهاء حفلة الاستقبال انصرف المندوب السامي إلى دراسة التقارير المنوعة عن الحالة العامة في العراق كما اجتمع بلفيف من الوجوه والأشراف ورؤساء القبائل الموالية ليقرر الخطة الرامية إتباعها^(١٢١).

دور السير برسي كوكس في تنظيم العمل الإداري:

ومن أجل تنظيم العمل الإداري في العراق إعتد برسي كوكس على خمسة من الموظفين بصفة أمناء سر وهم:

١- العقيد سلاتر (Slater) مسؤولاً عن أوجه النفقات والأشراف على الميزانيات والعملة والكمارك والقضايا والصحف والمطابع.

٢- العقيد هويل (Howell) مسؤولاً عن الإيرادات وتسجيل الأراضي والبلدية والزراعة.

٣- السكرتير القضائي السير بونهام كارتير مشرفاً على المحاكم والقوانين.

٤- السكرتير الصحي العقيد باتاي (Batty) مشرفاً على الشؤون الصحية والحجر الصحي ونقل رفات الموتى.

(١١٨) دويس وكوكس، المصدر السابق، (٢١-٢٢).

(١١٩) عبد الكريم العلوجي، الصراع على العراق منذ الاحتلال البريطاني إلى الاحتلال الأمريكي، ط١، الدار الثقافية للنشر، (القاهرة، ٢٠٠٧)، ١٥٠.

(١٢٠) الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، (٣ / ٧٠٦).

(١٢١) المصدر نفسه: ٧.

٥- سكرتير الأشغال العامة العميد أتكينسون (Atkinosol) ويشرف على مشاريع السكك الحديدية وميناء البصرة ووسائل النقل^(١٢٢).

ولقد بلغ عدد الموظفين البريطانيين حتى عام ١٩٢٠ حوالي (٦٤١٠) كان من بينهم (١٠٢٢) من البريطانيين و (٢٢١٦) من الهنود والباقي من العراقيين الذين كانوا يشغلون الوظائف الدنيا التي ليس لها دور مؤثر في الحياة السياسية إذ أصبح الموظفين البريطانيون يهيمنون على المناصب المهمة في الدولة^(١٢٣).

ولكن ثورة العشرين في العراق أجبرت السلطات البريطانية على ضرورة منح العراقيين جزء من حقوقهم في إدارة شؤون بلادهم بأنفسهم لذلك تشكلت الحكومة العراقية المؤقتة في ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠ برئاسة عبد الرحمن النقيب وتألفت من ثمانية وزراء^(١٢٤).

ومن أجل أن تكتسب الوزارة صفتها العربية لا البريطانية طلب الحاكم المدني برسي كوكس من رئيس الوزراء عبد الرحمن النقيب توجيه الدعوة إليه بنفسه^(١٢٥).

وبدورها عينت بريطانيا إلى جانب كل وزير عراقي في الحكومة المؤقتة مستشاراً بريطانياً جون فيليبي لوزارة الداخلية ولايونييل سميث لوزارة المعارف وبونهام للعدل وسيلتر للمالية والتجارة وسنت جون للمواصلات وايدي للدفاع ونورتن للصحة^(١٢٦).

دور برسي كوكس في تنصيب الأمير فيصل على عرش العراق:

حيث دعت بريطانيا الأمير فيصل بن الحسين إلى انكلترا بعد فقدانه عرش سوريا للتداول معهم في استلام عرش العراق وذلك في كانون الأول ١٩٢٠ ورشحته ليكون ملك العراق المقبل^(١٢٧). استطاع فيصل أن يذلل الصعوبات التي قامت في سبيل نجاحه مهما تنوعت أو تعددت واقترح أن يتم تنويجه في يوم ٢٣ آب ١٩٢١^(١٢٨).

(١٢٢) لوكريك، المصدر السابق: ١٧٩

(١٢٣) المصدر نفسه: ١٧٩.

(١٢٤) نظمي، المصدر السابق: ٢٠٤.

(١٢٥) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ط٢، مطبعة العرفان، (صيدا، ١٩٥٣)، (٤ / ١٦ - ١٧).

(١٢٦) المصدر نفسه، (١ - ١٧).

(١٢٧) العلوجي، الصراع على العراق منذ الاحتلال البريطاني إلى الاحتلال الأمريكي، ط١: ١٠.

(١٢٨) الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، (٤ / ٣٩ - ٤٠).

ووصل الأمير فيصل إلى العراق في ٢٩ حزيران ١٩٢١ ونودي به ملكاً وأعلن ذلك كونها مملكة دستورية ونيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون وتم إجراء استفتاء عام وجاءت نتيجته تأييد تنصيب فيصل ملكاً حيث توج في ٢٣ آب ١٩٢١ (١٢٩).

إذ يصادف هذا التاريخ ٢٣ آب ١٩٢١ في الحساب الهجري يوم ١٨ ذي الحجة ١٣٣٩ وهو يوم ذكرى عيد الغدير الذي بويع فيه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بولاية العهد عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ونص عليه بالخلافة ليجمع بين عهدين تاريخيين وعيدين ساميين عيد التنويع وعيد الغدير فلم ير المندوب السامي برسي كوكس مانعاً في قبول هذا الاقتراح (١٣٠).

ولعل أولى بوادر الخلاف بين الملك فيصل الأول والبريطانيين كانت خلال المفاوضات التي جرت بين الجانبين لعقد المعاهدة العراقية-البريطانية في العام ١٩٢٢ وقد لاحظ الملك إصرار الحكومة البريطانية على فرض سيطرتها الفعلية على العراق من خلال سيطرتها على الوظائف المهمة وكذلك إقرار الامتيازات والصلاحيات لهم وعلى هذا الأساس لم يبق للملك والحكومة إلا التبعية الكاملة ويصبح وجودها مجرد دمية بيد الإنكليز (١٣١).

برسي كوكس وعلاقاته الدبلوماسية وفرض معاهدة ١٩٢٢:

لقد فرض البريطانيون ملحق خاص بالموظفين البريطانيين حيث ضمت المعاهدة العراقية-البريطانية لعام ١٩٢٢ آلية تعاقد الموظفين البريطانيين مع الحكومة العراقية من خلال استثمار تسمى استثمار المقولة تبين الامتيازات التي يحصل عليها الموظف البريطاني بموجب هذه الإستثمار:

١- الدرجة الوظيفية: يتحدد في استثمار العقد الدرجة الوظيفية.

٢- الراتب: تتعهد الحكومة العراقية بدفع نصف راتب للموظف البريطاني قبل وصوله إلى العراق وراتباً تاماً بعد دخوله إلى العراق.

٣- السكن: تقوم الحكومة العراقية بتوفير المساكن للموظفين البريطانيين.

(١٢٩) العلوجي، المصدر السابق: ١٥.

(١٣٠) الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، (٤ / ٣٩ - ٤٠).

(١٣١) الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ط٧، (٣ / ٤٦).

٤- الإجازات: حيث كان الموظف البريطاني يمنح عدة إجازات مختلفة فهناك الرخصة المحلية والتي لا تتجاوز ٢١ يوم من كل سنة تقويمية^(١٣٢).

حيث كان كبار الموظفين البريطانيين يتصرفون بشكل يدل على عدم اكتراثهم بأحوال العراق الاقتصادية وقد حصل الموظفون البريطانيون على ضمانات لحماية مصالحهم في العراق ومنها الإعفاء من الضرائب وسلطة القوانين المحلية^(١٣٣).

وقد بذل الملك فيصل جهوده الحثيثة للحد من نفوذ البريطانيين وتخفيف أعدادهم فقد أكد ضرورة نقل الوظائف من البريطانيين إلى العراقيين إذ طلب بأن يكون مدير البريد عراقياً لا بريطانياً لكن برسي كوكس اعترض على طلب الملك بحجة قلة كفاءة الموظف العراقي وعدم معرفته باللغات الأجنبية^(١٣٤). إصرار الملك فيصل الأول حال دون تحقيق هدف المندوب السامي وقد عين حكمت سليمان أول مدير عام للبريد العراقي في الأول من نيسان عام ١٩٢٣ بعد أن كان يدار من قبل الموظفين البريطانيين منذ أولى سنوات الاحتلال البريطاني في العراق^(١٣٥).

كما إن السلطات البريطانية قد عمدت إلى تعيين رؤساء عشائر مواليين لها على رأس كل عشيرة لضمان وقوفهم إلى جانبها لذلك وضع الملك فيصل خطة سرية تهدف إلى ضرب مراكز القوة المنافسة له والمدعومة من قبل بريطانيا من رؤساء العشائر فوضع شيوخ معادين للشيوخ الذين وضعتهم قوات الاحتلال وعلى رأس كل عشيرة في الفرات الأوسط وكلف الملك فيصل الشيخ عبد الواحد الحاج سكر ومتصرف لواء الحلة علي جودت الأيوبي لتنفيذ هذه الخطة^(١٣٦).

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى أن الملك فيصل بذل جهوداً كبيرة للحد من نفوذ وتأييد الموظفين البريطانيين إلى درجة أثار استياء البريطانيين في العراق ومنهم (كيهان كورونواليس) مستشار وزارة الداخلية الذي قال عن الملك فيصل الأول: "أنه شخص متعب كثيراً فهو باستمرار يتدخل بالتعيينات والمسائل الأخرى مما يجعل وضعي حرجاً لقد قل صبري معه حيث أنه في بعض الأحيان يرفض النصائح التي يقدمها المندوب السامي بريس كوكس"^(١٣٧).

(١٣٢) فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية- البريطانية وأثرها في السياسة الداخلية، (١٩٢٢-١٩٤٨)، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٨٨): ٣٢.

(١٣٣) مظهر، صفحات من تاريخ العراق المعاصر، ط١، (٩٧ - ٩٨).

(١٣٤) العمر، المعاهدات العراقية- البريطانية وأثرها في السياسة الداخلية ١٩٢٢-١٩٤٨: ٢٤٣.

(١٣٥) المصدر نفسه: ٢٤٣.

(١٣٦) حنا بطاطو، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، عفيف الرزاز، (بيروت، ١٩٩٠): ١٢٧.

(١٣٧) العمر، المصدر السابق، ص ٣٠٩.

موقف مجلس النواب للحد من صلاحيات الموظفين البريطانيين:

أخذت تصفية صلاحيات الموظفين البريطانيين وامتيازاتهم حيزاً كبيراً من مناقشات مجلس النواب العراقي ومحاضره وقد اتسمت بعض مناقشات المجلس بشدة لهجتها في بعض الأحيان تحديداً في الاجتماع الاعتيادي للمجلس في الجلسة الحادية والأربعين في الخامس عشر من تشرين الأول عام ١٩٢٥ جرت مناقشة حادة جداً بين ياسين الهاشمي نائب بغداد وعبد المحسن السعدون رئيس الوزراء حينما تطرق الهاشمي نائب بغداد إلى كثرة أعداد الموظفين البريطانيين في وزارة المالية^(١٣٨). حيث ناقش مجلس النواب في الجلسة الاعتيادية لعام ١٩٢٨ الرواتب التي يتقاضاها المستشارون البريطانيون ألف روبية والثاني ألف وثمانمائة روبية والثالث ألف وثلاثمائة روبية وأكد أن هذه الرواتب التي تستخرج من مالية العراق باهظة جداً^(١٣٩). وحينما وصل برسي كوكس إلى ساحة الاحتفال الذي أقامه حزب النهضة والحزب الوطني في ساحة القشلة في بغداد بمناسبة الذكرى الثانية لتتويج الملك فيصل الأول حيث تعرض إلى إهانة مباشرة من المتظاهرين إذ رددوا شعارات تندد بالحكم البريطاني وممثليه في العراق^(١٤٠).

موقف الأحزاب الوطنية من الموظفين البريطانيين:

وفي الوقت نفسه هاجمت الأحزاب الوطنية العراقية سياسة الحكومة البريطانية من خلال البيانات التي كانت تنشرها في الصحف العراقية كما جاء في بيان الحزب الوطني العراقي الذي أكد بأن من واجبه أن يدعو أبناء البلاد إلى التكاثر والوقوف بوجه المسؤولين البريطانيين الذين عملوا على زيادة صلاحيات وامتيازات الموظفين البريطانيين في العراق ويقابل ذلك زيادة معاناة وقلة امتيازات الموظفين العراقيين^(١٤١). كما هاجم حزب النهضة، الحكومة العراقية في بيان وصفها بالتساهل والتواطؤ مع الحكومة البريطانية مشيراً إلى تذمر الرأي العام من الوجود البريطاني بصفة عامة والموظفين بصورة خاصة مؤكداً أن العراقيين لديهم القدرة والكفاءة على إدارة شؤون بلادهم بعيداً عن التدخل الأجنبي^(١٤٢).

(١٣٨) محمد مظهر الأدھمي، الصراع السياسي على السلطة بين الملك فيصل الأول وبريطانيا، (بغداد، ١٩٩٠)، (٧٦ - ٧٧).

(١٣٩) الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ط٢، (٤ / ١٦ - ١٧).

(١٤٠) محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، مطبعة الفلاح، (بغداد، ١٩٢٣)، (١ / ٥٥).

(١٤١) البصير، تاريخ القضية العراقية، (١ / ٥٦).

(١٤٢) الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، (٤ / ١١٩).

وفي العاشر من آذار ١٩٣٠ ألقى رئيس الوزراء ناجي السويدي خطاباً في الاجتماع الذي عقده حزب التقدم أشار فيه أنه اضطر إلى تقديم استقالته بسبب فشل وزارته في تنفيذ منهاجها المعلن ومن بين هذا المنهاج إنهاء عقود بعض الضباط البريطانيين المستخدمين في شرطة العراق وخمسة مفتشين إداريين بريطانيين في حكومة العراق^(١٤٣).

كما أقامت جمعية عمال المطابع اجتماعاً في فندق دار السلام في الثاني من آب عام ١٩٣١ دعت ما يقارب ثلاثمائة شخصاً ألقى فيه سكرتير الجمعية خطاباً طلب فيه من العمال العراقيين بطرد الأجانب لأنهم أصبحوا ينافسون العامل العراقي على خير بلاده^(١٤٤).

وهكذا استمرت الحكومة العراقية والملك فيصل في بذل الجهود للحد من نفوذ الموظفين البريطانيين وتخفيض أعدادهم وصولاً إلى الاستقلال ودخول العراق إلى عصبة الأمم في الثالث من تشرين الأول عام ١٩٣٢ الذي يعد إنجازاً سياسياً للملك فيصل الأول حينما خرج العراق ولو بالاسم في مجموعة الدول المحتلة^(١٤٥).

دخول العراق في عصبة الأمم:

وبمناسبة دخول العراق في عصبة الأمم في عام ١٩٣٢ الذي أنهى سياسة الموظفين البريطانيين وجعلهم يتعاملون مع دولة ذات كيان سياسي وليس مستعمرة من مستعمرات التاج البريطاني أصدر الحزب الوطني العراقي بياناً بهذه المناسبة أكد فيه حالة الرفض للموظفين البريطانيين في العراق^(١٤٦). كما أقر مجلس النواب العراقي بإجماع الآراء قبول العراق في العصبة وأصبح العراق الدولة السابعة والخمسين في أعضاء الجمعية وانتهى عندئذ مهام المعتمد السامي برسي كوكس وحل محله السفير البريطاني لتمثيل دولته^(١٤٧).

حيث أحيل برسي كوكس على التقاعد عام ١٩٣٢ وتوفي في شباط عام ١٩٣٤ في بريطانيا^(١٤٨).

(١٤٣) البصير، المصدر السابق، (١ / ٥٨).

(١٤٤) قيس جواد علي الغريزي، رشيد عالي الكيلاني ودوره في السياسة العراقية ١٨٩٢-١٩٦٥، شركة الحوراء للطباعة والنشر، (بغداد، ٢٠٠٦)، (٧٠ - ٧١).

(١٤٥) علي جودة، ذكريات ١٩٠٠-١٩٥٨، مطابع الوفاء، (بيروت، ١٩٦٧): ٤.

(١٤٦) الغريزي، رشيد عالي الكيلاني ودوره في السياسة العراقية ١٨٩٢-١٩٦٥: ٨٢.

(١٤٧) العلوجي، المصدر السابق: ٨٢.

(١٤٨) الحمدي، المصدر السابق، (١٩ - ٢٠).

الخاتمة:

من خلال تتبعنا لشخصية (برسي كوكس) تبين لنا أن هذه الشخصية السياسية قد لعبت دوراً بارزاً في رسم الحياة السياسية العراقية، وذلك من خلال إقناعه الشعب العراقي بأن الحكم العثماني كان حكماً رجعيّاً ومتخلّفاً، وذلك من خلال خطاباً ألقاه عند دخول القوات البريطانية إلى البصرة، وكما بين للعراقيين بأن البريطانيين "ليسوا بمحتلين وإنما جاءوا محررين لهم".

وفي سياق الدراسة تبين أن (برسي كوكس) كان له دوراً في الإدارة البريطانية في العراق، بتعيينه الموظفين البريطانيين حيث عينهم كمستشارين ثم كخبراء في دوائر الدولة كافة وحتى الدوائر العسكرية منها وخصص لهم رواتب ضخمة كلفت ميزانية العراق الشيء الكثير وامتيازات خاصة وأخذ العمل بعدة أساليب من أجل أن يبقى العراق تابعاً اقتصادياً وإدارياً لبريطانيا، فضلاً عن علاقاته الدبلوماسية وإقناعه الملك فيصل الذي كان له دور في تنصيبه ملكاً على عرش العراق في فرض معاهدة ١٩٢٢ التي كبلت العراق بقيود كثيرة.

كما كشفت الدراسة أيضاً عن محاولات الملك فيصل والحكومات العراقية المتعاقبة للأعوام ١٩٢١م-١٩٣٢ لتخلص من نفوذ البريطانيين من خلال التشريعات التي نصت على تقليص صلاحياتهم تحديداً بعد أن تصاعدت الأصوات المعارضة من قبل بعض أعضاء مجلس النواب.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الرسائل الجامعية غير المنشورة:

١. إبراهيم، فرح باسم، اللورد كرزون ودوره في توجيه السياسة البريطانية في الخليج العربي حتى عام ١٩٠٥، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، (جامعة المستنصرية، ٢٠٠٦).
٢. حاتم، صالح محمد، صحيفة الاستقلال في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٣٢، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة بغداد، ١٩٨٥).
٣. العاني، عبد المجيد عبد الحميد، السياسة البريطانية تجاه الكويت (١٨٩٦-١٩١٥)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة بغداد، ١٩٨٤).

ثانياً: الكتب:

أ- الكتب العربية:

١. صفحات من تاريخ العراق المعاصر، أحمد، كمال مظهر، ط١، منشورات البد ليسي، (بغداد، ١٩٨٧).

٢. الصراع السياسي على السلطة بين الملك فيصل الأول وبريطانيا، الأدهمي، محمد مظهر، (بغداد، ١٩٩٠).
٣. العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢-١٩٣٢، البرقاوي، أحمد رفيق، دار الطليعة، (بغداد، ١٩٨٠).
٤. تاريخ القضية العراقية، البصير، محمد مهدي، مج ١، مطبعة الفلاح، (بغداد، ١٩٢٣).
٥. العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، بطاطو، حنا، ترجمة: عفيف الرزاز، (بيروت، ١٩٩٠).
٦. ثورة تلعفر ١٩٢٠ والحركات الوطنية الأخرى في منطقة الجزيرة، التلعفري، قحطان أحمد عبوش، مطبعة الأزهر، (بغداد، ١٩٦٩).
٧. البصرة في عهد الاحتلال البريطاني (١٩٢١-١٩١٤)، التميمي، حميد أحمد حمدان، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، مطبعة الإشادة، (بغداد، ١٩٧٩).
٨. لمحات من عراق القرن العشرين، حبيب، كاظم، الكتاب الثالث، العراق الملكي، بداية الاحتلال البريطاني للعراق ونهاية الانتداب ١٩١٤-١٩٣٢، ج ١، ط ١، دار اراس للطباعة والنشر، (أربيل، ٢٠١٣).
٩. تاريخ العراق السياسي الحديث، الحسني، عبد الرزاق، ج ٣، ط ٧، مطبعة العرفان، (بيروت، ٢٠٠٨).
١٠. تاريخ الوزارات العراقية، الحسني، عبد الرزاق، ج ٤، ط ٢، مطبعة العرفان، (صيدا، ١٩٥٣).
١١. الثورة العراقية الكبرى، الحسني، عبد الرزاق، ط ١، مطبعة سرو، (قم، ٢٠٠٠).
١٢. الفكر السياسي في العراق المعاصر ١٩١٤-١٩٥٨، حسين، فاضل، مؤسسة الخليج للطباعة، (بغداد، ١٩٤٨).
١٣. الصراع الطائفي وتأثيره على البيئة، الحفيظ، عماد محمد ذياب، ط ١، دار الصفاء لنشر والتوزيع، (عمان، ٢٠٠٦).
١٤. برسي كوكس والسياسة البريطانية إزاء أمراء نجد الكويت حائل (١٩١٥-١٩٢٣)، الحمدي، صبري فالح، ط ١، الدار العربية للعلوم ناشرون، (بيروت، ٢٠١٦).
١٥. تاريخ العراق المعاصر (١٩١٤-١٩٦٨)، حميدي، جعفر عباس، ط ١، دار مكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، (بغداد، ٢٠١٥).
١٦. تحرير العراق من الانتداب، خدودي، مجيد، مطبعة العهد، (بغداد، ١٩٣٥).
١٧. دراسات في تاريخ الكويت الاجتماعي والاقتصادي في العصر الحديث، الخصوصي، بدر الدين عباس، منشورات ذات السلاسل، (الكويت، ١٩٨٣).
١٨. الهاشميون من حكم الإمارة العثمانية إلى تأسيس الممالك العربية، البول، خالد، ط ١، دار الأهلية للنشر والتوزيع، (عمان، ٢٠١١).
١٩. الفكر والسياسة لدى الجمعيات والمننديات والأحزاب العربية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، الدوري، زهير عبد الجبار، ط ١، الأوائل للنشر والتوزيع، (دمشق، ٢٠٠٥).
٢٠. مؤسس الكويت الحديث (١٨٩٩-١٩١٥)، الصباح، سلوت مبارك، ترجمة: عسيوي أيوب، مركز البحوث والدراسات الكويتية، (الكويت، ٢٠٠٨).

٢١. أرض السواد، الصوفي، أحمد علي، مطبعة الإتحاد الجديدة، (الموصل، ١٩٥٥).
٢٢. كربلاء في ثورة العشرين، آل طعمة، سلمان هادي، ط١، نيسان للنشر والتوزيع، (بيروت، ٢٠٠٠).
٢٣. دور القواسم في الخليج العربي (١٧٤٧-١٨٢٠)، العابد، صالح محمد، مطبعة العاني، (بغداد، ١٩٨٠).
٢٤. قافلة الحبر والرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج (١٧٦٢-١٩٥٠)، عطا الله، سمير، ط١، دار الساقبي، (بيروت، ١٩٩٤).
٢٥. التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، العقاد، صلاح، (القاهرة، ١٩٨٢).
٢٦. بغداد القديمة، العلاف، عبد الكريم، ط٢، الدار العربية للموسوعات، (بيروت، ١٩٩٩).
٢٧. الصراع على العراق منذ الاحتلال البريطاني إلى الاحتلال الأمريكي، العلوجي، عبد الكريم، ط١، الدار الثقافية للنشر، (القاهرة، ٢٠٠٧).
٢٨. المعاهدات العراقية- البريطانية وأثرها في السياسة الداخلية، ١٩٢٢-١٩٤٨، العمر، فاروق صالح، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٨٨).
٢٩. القضية الكردية في العراق من الاحتلال البريطاني إلى الغزو الأمريكي (١٩١٤-٢٠٠٠)، عيسى، حامد محمود، ط١، مكتبة مدبولي للطباعة والنشر، (القاهرة، ٢٠٠٥).
٣٠. رشيد عالي الكيلاني ودوره في السياسة العراقية ١٨٩٢-١٩٦٥، الغريزي، قيس جواد علي، شركة الحوراء للطباعة والنشر، (بغداد، ٢٠٠٦).
٣١. أسرار الكفاح الوطني في الموصل، الغلامي، عبد المنعم، ج٢، مطبعة شفيق، (بغداد، ١٩٦٨).
٣٢. تاريخ العلاقات الدبلوماسية في الوطن العربي، الفتلاوي، سهيل حسين، دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر، ط١، دار الفكر العربي، مؤسسة ثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ٢٠٠١).
٣٣. الثورة العراقية الكبرى، الفياض، عبد الله، ط١، مطبعة الانتشار، (بغداد، ١٩٦٣).
٣٤. الخليج العربي، دراسة لتاريخ الإمارات العربية (١٩٤٠-١٩١٤)، قاسم، جمال زكريا، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٩٧٣).
٣٥. تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، تطور النفوذ البريطاني في إمارات الخليج العربي والمنافسات الإقليمية والدولية، ١٨٤٠-١٩١٤، قاسم، جمال زكريا، مج٢، ج٢، دار الفكر العربي، (القاهرة، د. ت).
٣٦. العالم العربي الحديث، تخلف فاستعمار فمقاومة، المحجوي، علي، ط١، دار الانتشار العربي، دار محمد علي للنشر، (بيروت، ٢٠٠٩).
٣٧. ثورة ١٩٢٠، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، نظمي، وميض جمال عمر، ط٢، (بغداد، ١٩٨٥).
٣٨. الخليج العربي والحدود الشرقية للوطن العربي، نوفل، سيد، دار الطليعة، (بيروت، ١٩٦٩).
٣٩. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث من (١٩١٤ إلى ١٩١٨)، الورد، علي، ج٤، ط٢، دار مكتبة دجلة والفرا، (بغداد، ٢٠٠٩).

الكتب المعربة:

١. أدموف، ألكسندر، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة: هاشم صالح التكريتي، دار الوراق، (لندن، ٢٠٠٩).
٢. بيروز، أديت واغي، العراق دراسة في علاقاته الخارجية وتطوراته الداخلية ١٩١٥-١٩٧٥، ج ١، ط ١، ترجمة: عبد المجيد حسين القيسي، الدار العربية للموسوعات، (بيروت، ١٩٨٩).
٣. بيل، جريترود مذكرات المس بيل، ترجمة: جعفر الخياط، ط ١، دار المجتبى، مطبعة البرهان، (النجف، ٢٠٠٦).
٤. شيفلي، ألبرت منتشا، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة: هاشم صباح التكريتي، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد، ١٩٨٧).
٥. كوكس، ودوبس، برسي، هنري، تكوين الحكم الوطني في العراق، تعريب: بشير فرجو، مطبعة الإتحاد الجديدة، (الموصل، ١٩٥١).
٦. كلي، جون، بريطانيا والخليج (١٧٩٥-١٨٧٠)، ج ١، ترجمة: محمد أمين عبد الله، مطبعة عيسى البازي الحلبي وشركائه، (لندن، ١٩٦٥).
٧. لوريمر، جون غوردن، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج ٣، ترجمة: قسم الترجمة بمكتب صاحب سمو أمير دولة قطر، (الدوحة، ١٩٨١).
٨. لونكريك، ستيفن همسلي، العراق الحديث (١٩٠٠-١٩٥٠)، ج ١، ط ١، ترجمة: سليم طه التكريتي، (بغداد، ١٩٨٨).
٩. ولينكسون، جون، حدود الجزيرة العربية قصة الدور البريطاني في رسم الحدود عبر الصحراء، ترجمة: مجدي عبد الكريم، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٩٤).

ج- الكتب الاجنبية :

1. David. Dilksi Curzon in India, Vol, Printik by Ebenozzer Baylix and Sou LTD London, 1969,
2. Philip Grares, Life of Sir Percy Cox, London, (N.D.)

ثالثاً: البحوث والمقالات:

١. الجيلاوي، إيناس خالد، "الموظفون البريطانيون في العراق خلال فترتي الاحتلال والانتداب ١٩١٤-١٩٣٤"، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد ٧، (جامعة بابل، ٢٠٢٢).
٢. الحفو، غانم محمد، "الحركة الوطنية في الموصل منذ ١٩٢١ حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية"، موسوعة الموصل الحضارية، مطبعة ابن الأثير، (جامعة الموصل، ١٩٩٢)، (٥ / ٦٤).

٣. الدوري، أسامة عبد الرحمن نعمان، " أحوال بغداد الاجتماعية في سنوات الاحتلال البريطاني (١٩١٧-١٩٢٠) المؤتمر الدولي بغداد (مدينة السلام) في الحضارة الإسلامية"، دار الشرق للطباعة والنشر، مجلة كلية الآداب، (جامعة بغداد، ٢٠١١).
٤. الساعدي، محمد حسين زيون، " أهالي العمارة وثورة ١٩٢٠ دراسة في ضوء التحدي والإستجابة"، مج ٨، العدد ١٥، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، (العراق، ٢٠٠٩).
٥. عبد الله، عماد يوسف، " بريطانيا والانتفاضات الكردية في العراق ١٩١٩-١٩٣٢"، مج ٧، العدد ٣، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، (جامعة الموصل، ٢٠١٢).
٦. العلواني، أياد طارق خضير، "علماء الدين وموقفهم من الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٤-١٩٢١"، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد ٥٠، كلية الآداب، (جامعة بغداد، ٢٠١٥).

النظام النقدي للدولة العربية الإسلامية في كتاب تاج العروس من جواهر

القاموس للزبيدي (ت ١٢٠٥ هجري / ١٧٩٠ ميلادي)

Monetary System of The Arab Islamic State in The Book Taj Al-Arous from Jawaher Al-Qamoos by Al-Zubaidi (1205 AH / 1790 AD)

م. م. منير صباح فالج*

Mounir Sabah Faleh *

الملخص:

شكل النظام النقدي عبر التاريخ عصب الحياة للمجتمعات الإنسانية، لذا حاول الكثير من أبناء هذه المجتمعات الكشف عن معاملاته وصياغة نظريات تتسجم مع حاجاتهم، بهدف خلق تكافل اقتصادي يضمن حقوق الفقراء ويقدم لهم ما يحتاجونه، فضلاً عن تنظيم عملية المضاربة الاقتصادية في الأسواق وأنواع النشاطات الأخرى في سوق العمل. إلا أن هذه النظريات وعلى الرغم من كل الجهود المبذولة فيها ظلت قاصرة عن تحقيق مبتغاها. وجاء الإسلام لينعم الناس بخيره، مقدماً لهم نظريات ناضجة في ميادين الحياة كافة، ويأتي نضجها من كونها نظريات ربانية، أرادت أن تكفل موازنة حاجات الإنسان ليس الإنسان فحسب، وإنما الكون بأسره. وتعرض البحث الحالي لبيان نظم الائتمان المالي في الدولة الإسلامية، كالحالة والرهن والسلف والشركة والصيرفة.

الكلمات المفتاحية: المجتمعات الإنسانية، تكافل اقتصادي، نظم الائتمان المالي.

Abstract:

The monetary system has been the lifeblood of human societies throughout history, so many of the people of these societies have tried to uncover its transactions and formulate theories that are consistent with their needs, with the aim of creating economic solidarity that guarantees the rights of the poor and provides them with what they need, in addition to organizing the process of economic speculation in markets and other types of activities in the labor market. However, these theories, despite all the efforts made in them, remained incapable of achieving their goal. Islam came to bless people with its goodness, providing them with mature theories in all areas of life, and their maturity comes from being divine theories that wanted to ensure the balance of human needs, not only human beings, but the entire universe.

* كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة واسط - العراق.

* tofe.iraq2003@gmail.com

College of Education for Human Sciences/ University of Wasit – Iraq.

The current research presents the statement of the financial credit systems in the Islamic state, such as transfer, mortgage, advance, company, and banking.

Keywords: Human Societies, Economic Solidarity, Financial Credit Systems.

المقدمة:

شكل النظام النقدي عبر التاريخ عصب الحياة الاقتصادية للمجتمعات الإنسانية لذا حاول الكثير من أبناء هذه المجتمعات الكشف عن معاملاته وصياغة نظريات تتسجم مع حاجاتهم بهدف تنظيم عملية المضاربة الاقتصادية في الأسواق وأنواع النشاطات الأخرى في سوق العمل.

وإنسجاماً مع هذا الاتجاه وقع اختيارنا على كتاب هو ليس من كتب الاقتصاد، بل هو معجم من معاجم اللغة وهو "تاج العروس من جواهر القاموس" للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠ م)، لكنه تضمن في مادته أخبار اقتصادية ومالية، وهو ما دفعنا إلى دراسته والوقوف على النظام النقدي الوارد فيه على وجه الخصوص، تحت عنوان: (النظام النقدي للدولة العربية في كتاب تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م).

أولاً: التعريف بالزبيدي ومكانته العلمية:

صرحت المصادر بأن اسمه محمد بن محمد بن عبدالرزاق المعروف بالسيد المرتضى الحسيني اليماني (القمي، د. ت: ص ٩٧٦، أليان سركيس، ١٤١٠هـ: ص ١٧٢٦)، ويعتقد أن أصله عربياً لعدم ورود اسم اعجمي في سلسلة اجداده ولد سنة (١١٤٥هـ / ت ١٢٠٥ م) أصله من واسط (العراق) ونشأ في زبيد (اليمن) واستمر في زبيد فترة طويلة حتى عرف بالزبيدي (المازندراني، ١٣٨٢هـ: ص ٣٧٠)، اهتم بالعربية والرجال والأنساب واللغة، ويعد من كبار المصنفين (الزركلي، د. ت: ص ٧٠)، له العديد من المؤلفات منها كتاب الروض المعطار في نسب السادة آل جعفر الطيار، كتاب لغة الغريب في مصطلح آثار الحبيب، كتاب عقد الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة (كحالة، د. ت: ص ٢٨٢).

ثانياً: مفهوم النقود وأهميتها:

تعد النقود واحدة من المجالات الهامة في دراسة التاريخ الإسلامي بصورة عامة، لأنها تكشف عن جوانب مهمة من مراحل حياة المجتمع الإسلامي، كتحديد تاريخ قيام الممالك وتعيين الولاة ونوع الحكم

فيه، كما إنها تزود الباحث بمعلومات وافية عن ألقاب الحكام والامراء وتاريخ الضرب (ريتشاد، ١٩٩٤: ص ٤٣)، ولها دور مهم في تصحيح أو اثبات معلومات تاريخية كانت مثار جدل بين المؤرخين، أو الكشف عن معلومة أخرى غير معروفة (محمد، ٢٠٠٩: ص ٥)، فضلاً عن إنها وسيلة من وسائل التعامل وتبادل السلع والخدمات وهذا ما أشار إليه الزبيدي (كنقد السوق خذ مني وهات) (الزبيدي، ١٩٩٤: ص ٥٤٦)، لاتساع حجم المبادلة بما فيها المعاملات الاقتصادية والمالية والخدمية، فلولا وجودها لصعب التعبير عن ثمن السلع المعروضة في الأسواق (عبد الجبار، ٢٠٠٦: ص ٢٦٢)؛ لذلك فهي تعد وثيقة تاريخية اقتصادية دقيقة يصعب الطعن فيها.

وقد مرت وسائل التعامل التجاري بمراحل تاريخية متعددة قبل أن تصل إلى ما هي عليه، إذ تعامل الناس قديماً في مبادلاتهم التجارية بالمقايضة التي عرفها الزبيدي بما مفاده: "قايضة مقايضة إذ عاوضه أي يمتاع وبإدلة وذلك إذا اعطاه سلعة، وأخذ عوضها سلعة" (الزبيدي، ١٩٩٤: ص ٣٩)، ولعله اشار في ذلك إلى أول خطوات الاقتصاد والتجارة كانت تتم بالمقايضة. ويمكننا القول: أنّ المقايضة قد سادت بنسبة كبيرة في المعاملات، لقلة النقد وليس لعدم وجوده.

وقد ترتب على هذا النظام الاقتصادي الشائع فيما مضى مشاكل كثيرة تمثلت بصعوبة تحقيق التوافق بين رغبات المتعاملين وصعوبة تقدير النسب المقدرة للمقايضة، وعدم قابلية بعض السلع للتجزئة.

وتعامل العرب قبل البعثة بالنقود التي ضربتها الأمم المجاورة، واستخدموها في عملية التبادل والخدمات "فالدرهم الفضية" (المصدر نفسه: ص ١٤٢)، (الدنانير الذهبية) هما النقدان اللذان قدرت بهما السلع آنذاك. وهو ما أشار إليه المؤرخ (البلاذري ت ٢٧٩هـ) صراحة بقوله: "كانت دنانير هرقل ترد على أهل مكة في الجاهلية وترد عليهم دراهم الفرس البغلية" (البلاذري، ١٤٠٣هـ: ٤٥٢)، وبالمعنى نفسه قال (الماوردي ت ٤٥٠هـ) بأن: (الدرهم الفارسية هي حميرية) (الماوردي، ٢٠٠٦: ص ١٩٦).

وقد حملت العملات النقدية خلال مسيرة تطورها أسماء عديدة، ذكر الزبيدي بعض منها، (العين) (الزبيدي، ١٩٩٤: ص ٩٦)، والورق، وهو لفظ أطلق على الدراهم الفضية (الأزهرى، ٢٠٠١: ص ١٣٢).

وبعد البعثة أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) التعامل بهذه العملات مع الأوزان السائدة، لعدم وجود مسكوكات خاصة بهم ولم يكن أمام الدولة الإسلامية حديثة العهد والنشأة خيار سوى ذلك، خدمة لشؤونها المالية والاقتصادية، وحرصاً على مصالح الناس، لاسيما أن الهدف الأول للمسلمين في تلك

المرحلة، كان نجاح الدعوة الإسلامية وتثبيت أركان الدولة، بدليل فرض رسول الله (ص) الجزية والخراج بالأموال التي كانت سائدة (أبو عبيد، ١٩٨٩: ص ٥٢٥)، وتزويجه بنته فاطمة (عليها السلام) من الإمام علي (عليه السلام) بمهر قدره أربعمئة وثمانين درهماً (ابن المغازلي، ١٤٢٦هـ: ص ٢٧٥)، وفي رواية الزبيدي أن الصدقة أخذت بالدرهم الفضة ويستدرك على ذلك: "قول خالد بن الوليد في يوم مسيلمة: عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة" (الزبيدي، ١٩٩٤: ص ٤٥٩) يريد الفضة والدرهم المضروبة.

وقد مر مصطلح (المال) بمراحل عديدة، لاسيما أيام المقايضة، وانتقل معناها من عصر إلى عصر حتى استقرت على مفهوم "النقود الذهبية" (الزبيدي، ١٩٩٤: ص ٤٨٥)، و"النقود الفضية" (المصدر نفسه: ص ٢٧٦).

كما أن مصطلح (المال) أخذ يطلق على الأرض، ثم امتد هذا المفهوم يشمل خيولهم وأبلهم وسائر حيواناتهم) وهو ما أكدته ابن الأثير (ابن الأثير، ١٩٩٦: ص ٢٦) وابن أبي الحديد (ابن أبي الحديد، ١٩٥٩: ١٦٠)، ونستنتج من ذلك أنه لم يكن المقصود بها النقود فقط، إنما الأصل في مدلول كلمة المال، هو المال الصامت كالذهب والفضة والجوهر، والناطق من الحيوانات والرقيق.

ونظرًا لأهمية النقود في حياة العرب الاقتصادية، إلا أن سكها كان يعتمد على الخبرة والأيادي العاملة المتخصصة، في عمل ونقش قوالب سك العملات، وعرف الزبيدي بقوله: "السكة حديدية منقوشة كتب عليها يضرب عليها الدرهم" (الزبيدي، ١٩٩٤: ص ٢٠١). ونستنتج من ذلك أن مصطلح السكة حمل معنيين، الأول أنه ضرب بآلة تقوم بتحويل المعادن من خام إلى عملة متداولة، والآخر أنه الحديد المخصصة لضرب الدراهم، ومما يؤيد رأينا ما ذكره العلامة ابن خلدون بحديثه عن السكة حيث أشار إليها قائلاً: (السكة وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها من الناس بطابع حديد ينقش عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يعتبر عيار النقد عن ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه فيكون التعامل بها عددًا وإن لم تقدر أشخاصًا يكون التعامل بها وزنًا... ولفظ السكة كان اسمًا للطابع وهي الحديدية المتخذة لذلك ثم نقل إلى أثرها وهي النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم) (ابن خلدون، ١٩٨٤: ص ٢٦١).

وقد شاع بين الصيارفة ثلم وكسر أطراف الدرهم والدينار للتأكد من صحة النقود وسلامتها (ابن خلدون، ١٩٨٤: ص ٢٦١)، وذلك لأن من النقود ما يحتوي على نسبة عالية من المعادن الرخيصة كالرصاص

والنحاس، ونسبة قليلة من الفضة والذهب (الزبيدي، ١٩٩٤: ص ٢٩٢)، الأمر الذي يؤدي إلى فقدان قيمتها الذاتية، لذلك نهى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (أَنْ تُكْسَرَ سِكَّةُ الْمُسْلِمِينَ الْجَائِزَةُ بَيْنَهُمْ إِلَّا مِنْ بَأْسٍ) (ابن ماجه، د. ت: ص ٧٦١)، وأكد هذا شيوخ ظاهرة تزيف النقود عن العرب، ولعل ذلك بسبب اضطراب الوضع السياسي وتفكك المؤسسات الحكومية والإدارية لإمبراطورية الفرس، وهو ما نفهمه من تصريحات بعض المؤرخين ونصها: (لما أخذ أمر الفرس يضمحل، ودولتهم تضعف وسلطانهم يهن، وتدابيرهم تفسد، وسياستهم تضطرب، فسدت نقودهم، فقام الإسلام ونقودهم من العين والورق غير خالصة) (ابن جعفر، ١٩٨١: ص ٥٩، الماوردي، ٢٠٠٦: ص ١٩٦).

وذكر (الماوردي) أن النقود (كانت تقوم في المعاملات مقام الخالصة، وكان غشها عفوا لعدم تأثيره بينهم إلى أن ضربت الدراهم الإسلامية) (الماوردي، ٢٠٠٦: ص ١٩٦)، وهو رأي فيه نقاش، لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نهى بصورة صريحة عن غش النقود؛ لأثرها في اقتصاد الدولة والأفراد، وعزز ذلك ما ورد عن عمر بن الخطاب أنه قال: (هممت أن أجعل الدراهم من جلود الإبل، ف قيل له: إذن لا بعير، فأمسك حينئذ) (البلاذري، ١٤٠٣: ص ٤٥٦)، وهذا يدل على انتشار ظاهرة التزيف في العملة، ووجود إجراءات لتحجيمها، لأثرها السلبي في الحياة الاقتصادية.

ثالثاً: أنواع النقود:

تعامل العرب والمسلمين بـ"الدرهم" و"الدينار" على حد سواء، وقد حصل تطور كبير على هاتين العملتين، لذلك لا غرور إذا وجدناهما في تاريخنا الإسلامي بتسميات مختلفة، وأحجام متباينة، وبعضها كان خاصاً لمناسبة معينة، كما سيتبين من الاستعراض الآتي لها في ضوء المعطيات التاريخية لاسيما ما أورده الزبيدي.

فما يخص الدرهم فقد عرفه علماء اللغة أنه فارسي الأصل معرب (ابن منظور، د. ت: ص ١٩٩، الزبيدي، ١٩٩٤: ص ٢٩٨)، أشق اسم من الدراخمة اليونانية (الكرمي، ١٩٣٩: ص ٢٤)، ونجد استعماله في المعاملات عن تعامل الأقاليم الشرقية من العالم الإسلامي به، إذ اتبعت قاعدة الفضة باعتبار الفضة هو نقدها الرئيسي (الأبيض، ١٩٩٤: ص ١١٨). وأورد الزبيدي تسميات عديدة أطلقت على الدراهم، منها "الورق" (الزبيدي، ١٩٩٤: ص ٧٥-٤٥٨)، والرقعة ويؤكد (الزبيدي) رأيه بما قاله خالد بن الوليد أنه قال في يوم مسلمية: (إن السهام بالردى مفوقه، والحرب ورهاء العقال مطلقة وخالد

من دينه على ثقة، لا ذهب ينجيكم ولا رقة.... أعطاه ألف درهم رقم لا يخالطها شيء من المال غيرها (المصدر نفسه: ص ٤٥٩)، وهو تعبير دل على الدراهم الخالصة، وهذا ما أكدته الشرع الإسلامي بحسب ما ورد في قوله تعالى: (فأبعثوا أحداكم بورقكم هذه إلى المدينة) (سورة الكهف: ١٩)، وحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا بلغت الرقة مائتين ففيها ربع العشر) (أبو عبيد، ١٩٨٩: ص ٥٢٤). وصنف الزبيدي الدراهم تبعا لجودتها إلى رديئة وجيدة، وكانت هذه العملة على وجه التحديد عرضة منذ وقت مبكر من عمر الدولة إلى التزييف؛ لذلك فكر عمر بن الخطاب (رض) باستبدالها قوله: (هممت أن أجعل الدراهم من جلود الإبل، فقليل له: إذن لا بعير، فأمسك حينئذ) (البلاذري، ١٤٠٣هـ: ص ٤٥٦)، ولعل سبب ذلك هو ضعف الرقابة المالية واتساع نطاق استعمال الدرهم دون غيره.

ومن أنواع الدراهم التي ذكرها الزبيدي "البهرج" ووصفه بأنه (درهم بهرج أي باطل زيف... لا يباع به لردائته) (الزبيدي، ١٩٩٤: ص ٤٣٢)، وفصل بهذا النوع من الدراهم أن: (درهم بهرج إذا ضرب في غير دار الأمير)، وفصل ابن خلدون بهذا النوع من الدراهم، أضاف أن كل درهم يضرب في غير دار السكة فهو بهرج (ابن خلدون، ١٩٨٤: ص ٢٢٦)، ولم يكن هذا النوع من الدراهم مقبولا في المعاملات الاقتصادية (المقريزي، ٢٠٠٧: ص ١٤٢). ولجأ بعض المسؤولين أحيانا إلى التلاعب بالنقد، لاسيما عند حصول الأزمات المالية، ففي سنة (٣١٧ هـ / ٩٣٨م) ضرب الأمير بجكم البويه (ابن الجوزي، ١٩٩٢: ص ٩ وما بعدها) دنانير بهرج حاوية على نسبة عالية من المعاون الرخيصة (الصولي، ٢٠٠٤: ص ١٣٦).

ومن الأنواع الأخرى (الستوق)، وهي: (درهم زيف لا خير فيه ملبس بالفضة... ما كان النحاس أو الصغر هو الغالب والأكثر) (الزبيدي، ١٩٩٤: ص ٤٣٣)، وجاء عن المفضل بن عمر الجعفي (ابن داود، د. ت: ص ٢٨٠).

قوله: (كنت عند أبي عبدالله الصادق (ع) فألقى بين يديه دراهم فألقى إلي منها فقال: أيش هذا؟ فقلت: ستوق، فقال: وما الستوق؟ فقلت: طبقتين فضة وطبقة نحاس وطبقة منه فضة) (الطوسي، د. ت: ص ١٠٩)، ورأى أحد الباحثين إن: (هذا النوع من الدرهم مركب من ثلاث جواهر: الفضة والنحاس والحديد، أو ما يشبه الحديد من المعادن) (الكرملي، ١٩٣٩: ص ١٤٧).

ومن أنواع الدراهم الأخرى التي أوردها الزبيدي قسي، وقيل: (درهم قسي ضرب من الزيوف أي فضته حلبة رديئة ليست بلينة) (الزبيدي، ١٩٩٤: ص ٢٩٨)، احتوت على نسب عالية من المعادن الرخيصة

كالرصاص والنحاس (الغزالي، د. ت: ص ٣٨٢)، كما وذكر (الزبيدي) أنواع أخرى، منها: (المفرغ) والذي: (أفرغ الذهب والفضة وغيرهما من الجواهر الذائبة صبها في قالب ودرهم مفرغ مصبوب في قالب ليس مضروب) (الزبيدي، ١٩٩٤: ص ٥٥١)، وعرفه أحد الباحثين بأنه: (ما حفر وأخذت برادته، ووضع في الحفرة معدن آخر، غير متقدم، ثم يموه لمحضفور لكي لا ينته إليه أخذه) (الكرملي، ١٩٣٩: ص ١٥٦)، وهي دراهم فضتها رديئة لا احتوائها على نسبة من المعادن الأخرى (الزبيدي، ١٩٩٤: ص ٣٠٣)، فضلاً عن الضريجي: (درهم زائف الاصل أنه من ضرب مدينة جَي (أصبهان حالياً) لكون فضتها صلبت من طول الضياء وأسودت ثم جمعه على ضرب جيات) و(النمي) الفلّس بالرومية وذكر (الزبيدي) إن تزيف العملة كانت من الجرائم الخطيرة التي اهتم المسؤولين بمكافحتها ومعاقبة المسببين بها والمروجين لها، مستشهداً بالعديد من الأحكام التي صدرت من القضاة أتجاه المزيفين بالسجن وتجريدهم من أموالهم وإعلان إفلاسهم (الزبيدي، ١٩٩٤: ص ٣٤٤).

وجاء في الرواية أن أبن مسعود (الذهبي، ١٤١٣هـ —: ص ٤٦١)، حين (باع نفاية بيت المال وكانت زيوفاً وقسياناً بدون وزنها، فذكر ذلك لعمر فنهاه وأمره أن يردّها) (الزمخشري، ١٩٩٦: ص ٩٧)، كما اصدر أبان بن عثمان أثناء ولايته على المدينة (٧٦هـ / ٦٩٥م) أمراً بمعاقبة كل من يقطع الدراهم ويزيفها، بضربه ثلاثين سوطاً والطواف تشنيعاً لعمله (الماوردي، ٢٠٠٦: ص ١٩٧). وروي (أن ابن الزبير حين قدم مكة وجد رجلاً يقرض الدراهم فقطع يده) (ابن حزم، د. ت: ص ٣٦٣، الماوردي، ٢٠٠٦: ص ٢٨٣، ابن عبد البر، ٢٠٠٠: ص ٣٥٩)، وأشار البلاذري إلى اجراءات الحجاج بن يوسف الثقفي أثناء ولايته على العراق (٧٥هـ / ٦٩٤م) بقوله: (فاتخذ دار ضرب وجمع فيها الطبايعين، فكان يضرب المال للسلطان مما يجتمع له من التبر وخلصه الزيوف وستوقة والبهرجة) (البلاذري، ١٤٠٣هـ —: ص ٤٥٤)، وأتخذ عمر بن هبيرة أثناء ولايته على العراق زمن يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥هـ / ٧١٩ - ٧٢٣م) إجراءات مشددة لتخليص الدراهم الفضية من الشوائب ومحاسبة المزيفين.

ولم يقتصر الزبيدي على ذكر الدراهم المزيفة فحسب، بل ذكر أيضاً الأنواع الجيدة من الدراهم، وهي المضروبة على عيار صحيح من فضة نقية، وكانت على أنواع عديدة منها العراش: ويعرفها: (وهي الجياد الخشن الحديثة العهد بالسكة التي عليها خشونة النقش) (الزبيدي، ١٩٩٤: ص ١٣٨)، و(الأبيض)، أي الصافي البياض وقد ضرب هذا النوع من الدراهم زمن الحجاج بن يوسف، ونقش علي (عليه السلام) قول (هو الله أحد)، وقد كرهها الناس، فقليل لها (المكروهة) فعرفت بذلك، وعليه قبل للخليفة

الأموي عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١هـ / ٧١٧-٧١٩م): (هذه الدراهم البيض فيها كتاب الله تعالى، يقلبها اليهودي والنصراني والجنب والحائض، فإن رأيت أن تأمر بمحوها، فقال: أردت أن تحتج علينا الأمم أن غيرنا توحيد نبينا واسم نبينا...) (ابن عساكر، ١٤١٥هـ: ص ١٩٣، المقرئ، ٢٠٠٧: ص ١٦٤).

أما بخصوص الدينار، فقد عرفه الزبيدي بأن "دينار مدنر مضروب"، أصل دينار (دنار)، لذلك جمع على دنانير (الزبيدي، ١٩٩٤: ص ٣١٦)، وهو مشتق من كلمة رومية هي (denariu) بتقدير (hum mus) ومعناها ذو عشر آسات والآس من النقود النحاسية عندهم (الكرمل، ١٩٣٩: ص ٢٥).

وورد ذكر الدينار في قوله تعالى: (ومن أهل الكتاب من آمن إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك) (سورة آل عمران: ٧٥).

وأشارت المصادر التاريخية أن دنانير العرب كانت تسمى (هرقلية رومية) (البلاذري، ١٤٠٣هـ: ٤٥٢، الماوردي، ٢٠٠٦: ص ١٩٦)، وبين (الزبيدي) سبب ذلك، بأن: (الدنانير القوقية من ضرب قيصر ملك الروم لأنه كان يسمى قوقاً) سبب ذلك بأن هرقل أول من ضربها (الزبيدي، ١٩٩٤: ص ٣٤٣)، وكثرة التداول الناشيء عن التجارة والحزبة وغنائم الحرب وكانت بعض الدنانير تمتاز بجمال ضربها ونقوشها، حتى ضرب المثل بجمالها، بدليل ان امرأة: (عجوز رأت طلحة يوم الجمل فقالت: من هذا الذي وجهه كأنه الدينار الهرقلي) (الدوري، ١٩٩٥: ص ٢٣٦)، ومن أنواع الدنانير (الاحرش)، وسميت كذلك لما فيه من الخشونة لجذته (الزمخشري، ١٩٩٦: ص ٢٠٣). فضلاً عن (موه) (الزبيدي، ١٩٩٤: ١٢٧)، وهو الدينار الذي كان يضرب بقصبتى البصرة وفارس (الزبيدي، ١٩٩٤، ١٢٩).

رابعاً: نظم الائتمان المالي:

كان للائتمان دور مهم في التجارة إذ انه وفر المال للتجارة عند الحاجة، ويهيئ السبيل لتشغيل رأس المال الزائد بصورة منتجة، ويساهم عموماً في توسيع النشاط التجاري، وكان التعامل بالائتمان شائعاً في الفعاليات التجارية، وخاصة في التجارة البعيدة، لأختلاف الأوضاع العامة في البلدان الإسلامية (الدوري، ١٩٩٥: ص ١٥٠).

ونستعرض في هذا البحث نظم الائتمان المالي التي ذكرها (الزبيدي) وبحسب الآتي:

أولاً: الحوالة:

قدم (الزبيدي) تعريفاً لغوياً واضحاً، قال فيه: (إحالتك غريماً وتحول من في نهر الى نهر ويقال أحتل فلاناً بالمال الذي له علي..... حيله احالة فأحتال بها عليه وضمنها له)(الزبيدي، ١٩٩٤: ص١٥٩).

أما اصطلاحاً: فهي تحويل المال من ذمة إلى ذمة مشغولة بمثل، فأحتال بها عليه وضمنها له والحوالة من المعاملات التي اقرها الإسلام وأجازها للحاجة إليها، وعدها (الزبيدي) من المعاملات الثابتة في السنة النبوية لورودها في حديث النبي (صلى الله عليه واله وسلم): (وإذا أحيل أحدكم على ملئ فليحتل)(الكليني، ١٩٨٢، ص١٥٩)، والمراد به انه أراد شخص أن يحيل دينه إلى آخر أستحب له أن يجيب إليه لما فيه من قضاء حاجة مسلم.

ثانياً: الرهن:

ورد تعريف (الرهن) لغة في (تاج العروس): (رهننت فلاناً داراً رهناً وأرتهنه إذا أخذه رهناً، والرهن والرهان والرهن جماعة الرهن...) (الزبيدي، ١٩٩٤، ج٦: ص١٤٧)، وقيل هي (الحبس)، ومنه قوله تعالى، (كل امرئ بما كسب رهين) (سورة الطور: ٢١)، وقوله الكريم: (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) (سورة المدثر: ٣٨).

أما اصطلاحاً: هو جعل المال تحت يد المرتهن بملك وثوقه لدينه، ويقال للعين الرهن والرهان والمرهون، ولدافعهن الراهن، ولأخذها المرتهن (الزبيدي، ١٩٩٤، ج٨: ص٣١٧، المشكيني، ١٩٩٩: ص٢٧٧-٢٧٨)، وقد أقر الإسلام الرهن واعتبره عملية شرعية سداً للحاجة، أو لقاء عمل، وهو ما وضعه الزبيدي (الزبيدي، ١٩٩٤، ج٩: ص٣٣٩) مستنداً إلى قوله المولى عز وجل (فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ) (سورة البقر: ٣٣٩)، والسنة الشريفة، (الرهن لمن رهنه له غنمه وعليه فرمه غنمه) أي زيادته ونماؤه وفاضل قيمته (الزبيدي، ١٩٩٤: ص٣٣-١٨٨)، وقد ورد في الرواية ان النبي (صلى الله عليه واله وسلم): (رهن درعه عند يهودي في مقابل شعيراً افترضه منه)، وعن عائشة أنها قالت: (أشترى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) من يهودي طعاماً بنسيئة ورهنه درعه) (البخاري، ١٩٨١: ص١١٦)، ولم يجوز (الزبيدي) غلق الرهن، إذ كان من عادة العرب ان الراهن إذا عجز عن اداء ما عليه من دين خرج عن ملكه واستولى عليه المرتهن، واستناداً لحديث رسول الله (ص): (لا يغلق الرهن) (الزبيدي، ١٩٩٤، ج٢٦:

ص ٢٦٠)، كما رأى عدم استحقاق المرتهن، إذا لم يرد الزاهن ما رهنه فيه وهو أمر متفق عليه بين الفقهاء (مالك، د. ت: ص ٧٢٨، الشافعي، ١٩٨٣: ص ١٧٣، الحلي، ١٤١٤هـ: ص ٢٤٧).

ثالثاً: السلف:

عرف (الزبيدي) لفظ (السلف) لغة بقوله: (السلف القرض، كل مال قدمته في ثمن سلعة مضمونة اشتريتها لصفة فهو سلم وسلف) (الزبيدي، ١٩٩٤، ج ٢٣: ص ٤٥٤) بمعنى ان يعطى مالاً في سلعة إلى أجل معلوم ولربح بينهما على ما يشترطان والوصفية على المال.

اما اصطلاحاً: بيع موصوف في الذمة إلى أجل ليجازى عليه (المصدر نفسه، ج ١٩: ص ١٧)، وهو من البيوع المحللة استناداً إلى قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ) (سورة البقرة: ٢٩٢)، واشترط (الزبيدي) في صحتها ضبط الكيل الوزن مستنداً إلى حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (من سلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم) (الزبيدي، ١٩٩٤، ج ٢٣: ص ٤٦٢)، وعن ابن عباس أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لما قدم المدينة، وهم أهل زروع وثمار، وهم يسلفون بأن يقدموا الثمن ويؤجلوا في الثمار مدة سنة وستين، فافقه النبي على ذلك، وبين لهم الضوابط التي لا تدع مجالاً للمنازعات فيما بينهم، فأمرهم بضبط الكيل والوزن في السلف (البخاري، ١٩٨١: ص ٤٣)، وهو امر اصبح محط اتفاق الفقهاء فيما بعد (الشافعي، ١٩٨٣: ص ٨٩، ابن ماجة، د. ت: ص ٧٦٥، ابن ادريس، ١٤١٠هـ: ص ٣٠٦)، (والزبيدي) رأي مفاده: عدم جواز السلف في النخل حتى يبدو ثمره استند فيه إلى رواية ابن عباس ونصها ان الرسول (ص): (نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله عن بيع النخل حتى يؤكل منه وحتى يوزن؟ قلت وما يوزن فقال رجل عنده حتى (يحزر) (الزبيدي، ١٩٩٤، ج ٣٦: ص ٢٥١) وهو رأي موافق فيه أغلب فقهاء المذاهب الإسلامية (البخاري، ١٩٨١: ص ٤٣، ابن حزم، د. ت: ص ١٦٥، البيهقي، د. ت: ص ٣١٠).

رابعاً: الشركة:

قدم (الزبيدي) مفهوماً لغوياً واضحاً لمفردة (الشركة)، بأنها: (مخالطة الشريكين، يقال اشتركنا وتشاركنا وشارك أحدهما الآخر الاشتراك هنا بمعنى التشارك) (الزبيدي، ١٩٩٤، ج ٢٧: ص ٢٢٣).

أما اصطلاحاً؛ فهي ثبوت الحق في الشيء الواحد المتعدد واجتماع حقوق الملاك في شيء واحد على سبيل أشياع (المشكيني، ١٩٩٩: ص ٣١٥)، لتحصيل الربح والنفع (الحلي، ٢٠٠١: ص ٣٥٧) في رأس المال والربح، أو في العمل والربح (أيوب، ٢٠١٠: ص ٢١٧).

وأقر الإسلام هذا النوع من المعاملات المالية، اذا ادلت العديد من الايات القرآنية والاحاديث النبوية على مشروعيتها، كقوله تعالى: (فهم شركاء في الثلث) (سورة النساء: ١٢)، وقوله الكريم: (وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ) (سورة ص: ٢٤).

وحدث الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) على الشركة، وشارك البعض في التجارة قبل المبحث وبهذا الصدد قال السائب ابن أبي السائب (ابن الأثير، ١٩٩٦: ص ٢٥٣): (أتيت النبي (صلى الله عليه واله وسلم) فجعلوا يثنون علي، ويذكروني وفي، فقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أنا أعلمكم به فقال صدقت بأبي أنت وأمي، كنت شريكي فنعمة الشريك كنت لا تداري ولا تماري) (الطبراني، ٢٠١٠: ص ١٤٠)، كما روي عن ابن الأرقم (ابن سعد، د. ت: ص ١٨)، وابن عازب (ابن سعد، د. ت: ص ١٧)، (أنهما كانا شريكين فأشترى فضة بنقد ونسيئة فبلغ ذلك النبي فأمرهم، فقال: أما ما كان بنقد فأجيزوه، وما كان نسيئة فردوه) (الطوسي، د. ت: ٢٤٢، ابن قدامة، د. ت: ص ١٠٩). وذكر (الزبيدي) إن الشركة على أنواع، منها: (شركة العنان)، (وهو ان يعطر كل واحد من الشريكين دنانير او دراهم مثل ما يخرج صاحبه ويخطاها ويأذن كل واحد منهما لصاحبه ان ينجر فيه) (الزبيدي، ١٩٩٤، ج ٣٥: ص ٤١٥)، وأن ربحا فالربح بينهما، وأن وصفا فعلى رؤوس أموالهم وسميت كذلك لمعارضة كل واحد منها صاحبه بمال مثل مال صاحبه (المصدر نفسه: ص ٤١٦)، وتقسم الارباح والخسائر على الشركاء حسب ما اتفق عليه (الغزالي، د. ت: ص ٦٢)، وهو أمر جوزه أغلب فقهاء الإسلام (ابن حزم، د. ت: ص ١٢٣، السيوطي، ١٩٩٦: ص ١٥٢).

ومنها أيضاً (شركة المفاوضة)، وهي (ان يشترك الرجلان، فيتساويان في ماليها، وكل شيء يملكانه أو يتفديانه من بعد) (الزبيدي، ١٩٩٤، ج ٣٥: ص ٤١٥) وسميت بهذا الاسم لتفاوض الشركاء في كل ما لديهم وما عليهم (الزبيدي، ١٩٩٤، ج ١٨: ص ٤٩٧)، وكل منهم يفوض التصرف إلى صاحبه وأبطل (الزبيدي) هذا النوع من الشركة متفقاً في ذلك مع الشافعية (الرافعي القزويني، د. ت: ص ٤١٣)، والحنابلة (ابن قدامة، د. ت: ص ١٣٩)، والإمامية (الطبرسي، د. ت: ص ٥٨٩)، وسبب بطلانها أنها عرر، كونه يدخل شريكاً في كل ما يحصل عليه الشريك (ابن زهرة الحلبي، ١٤١٧هـ: ص ٢٦٣).

في حين أجازها المالكية (الرعي، ١٩٩٥: ص ٧٨)، وأتباع أبو حنيفة إذا كان الشريكان مسلمين حرين بالغين عاقلين لتساويهما في أهلية الكفالة، وانفقا قدر المال في الجنس والغنيمة، وشارك كل واحد منهما

في كل ما كسب (السمرقندي، د. ت: ص ٩)، ويمكن ترجيع بطلان هذه الشركة لاتفاق أغلب فقهاء المذاهب على ذلك (السمرقندي، د. ت: ص ١١).

خامساً: الصيرفة:

عرف (الزبيدي) الصيرفة لغة: (الصراف صراف الدراهم ونفادها من المصارفة وهو من التصرف صيارفة صيارف) (الزبيدي، ١٩٩٤، ج ٢٤: ص ١٩). ويقال صرفت الدراهم بالدنانير وبين الدرهمين صرف، أي فضل لجودة فضة أحدهما (ابن منظور، د. ت: ص ١٩٠)، ويعبر عن الصرف بأنه: (فضل الدرهم على الدرهم في القيمة، فسميت من قولهم صرفت الدينار دراهم) (ابن فارس، ١٩٩٩: ص ٧٤١)، والصراف بيع الدراهم (الزبيدي، ١٩٩٤، ج ٢٤: ص ٢٧٤).

أما اصطلاحاً: فهو بيع جنس الاثمان بعض ببعض (ابن مولود، ٢٠٠٩: ص ٣٣٣)، أو من يتولى قبض الاموال وصرفها، وهو صرف الذهب والفضة في الميزان سواء كانا مسكوكين أو غير مسكوكين واشترط في اتمامه التقابض في المجلس (القلقشندي، د. ت: ص ٤٣٨).

وأقر الإسلام العمل المصرفي لما له من أهمية، إذ عمل بعض الصحابة بالصرافة، فقد ورد ان البراء بن عازب سئل عن الصرف فقال: (كنا تاجرين على عهد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فسألنا رسول الله (ص) من الصرف فقال: ان كان يداً بيد فلا بأس، وأن كان نساءً فلا يصلح) (البخاري، ١٩٨١: ص ٧٢٦).

ويعد الصرف من المعاملات المهمة في النشاط الاقتصادي؛ لما يوفره من أموال يحتاجها السوق والأفراد، ومن مهام الصيرفي، تميز الدراهم من حيث الجودة والرداءة والوزن، وهذا ما يتطلبه تعدد العملات، وهي ضرورية لما تقدمه من صرف لها، فضلاً عن القضاء على حالات الغش والتزوير والتلاعب بالعملات، وكان الصيارفة حذرين في تعاملهم بالدراهم والدينار، فأذا اشتروه أو باعوه أو صرفوه فحصوه فحصاً دقيقاً، لذا فنقوم العملات ونقدتها أحد أهم اعمالهم (الزبيدي، ١٩٩٤، ج ٢٤: ص ٢٧٤)، وتسمى هذه العملية بـ(التناقد أي تميز الدرهم والدينار، جيدة عن رديئة، ولا تقل عليه تحويل الاموال من فئة إلى فئة اخرى شأناً عما ذكرناه، وهي ضرورية في التعامل المالي وعمل الصيارفة هنا تبديل عملة باخرى، أو تحويل العملة من مكان إلى آخر، وظهر هذا النوع من التعامل مبكراً منذ قيام الدولة الإسلامية وروي: (ان ابن الزبير كان يأخذ بمكة الورق من التجار فيكتب لهم إلى البصرة وإلى الكوفة فيأخذون أجود من ورقهم) (السرخسي، د. ت: ص ٣٧)، وكانت عملية الائتمان موجودة ومنتشرة، وعمل بها المسلمون، وكان الزبير

ابن العوام أحد من عمل بذلك فقد كان الرجل يأتيه بالمال فيستودعه إياه، فيقول الزبير: (لا ولكنه سلف، إني أخشى عليه ضيعة) (ابن أبي شيبه، ١٩٨٩: ص ٧١٧)، ويعد منح القروض للمحتاجين والتجار الذين يلجأون اليهم في تسهيل معاملاتهم التجارية، جزءاً هاماً من أعمال الصيارفة، ووصلت إلينا روايات عن وجود مثل هذه المعاملات لاسيما اقراض التجار، كأقراضه على بن جعفر، وكان أحد تجار الكرخ ببغداد قسط يدفعه إلى ابن عيدان الصيرفي، فأخر دفع المبلغ لضرورة ألتم بالتاجر (التنوخي، د. ت: ص ٢١٥)، كما كانوا يقومون بصرف الصكوك مقابل ضمانات مالية، وأخذ نسبة من قيمة الصك، وذلك بأن يسلم التاجر مال يعطيه للصراف ويأخذ منه صكاً يشتري كل ما يلزمه، ويحول الثمن على الصراف فلا يستخدم المشتري غير صك الصراف (ناصر خسرو، ١٩٨٣: ص ١٤٦).

واستخدم الصرافون طرق عديدة في معرفة النقود والتأكد منها، ومنها ما أورده المؤرخ الجاحظ (ت ٢٥٥/ ٨٦٨م) في قوله: (يمتنح الدينار بلصوقه الشعر واللحية وصعوبة استمراره فيها) (الجاحظ، ١٩٣٥: ص ١١)، وقدم الدمشقي (ت بعد ٥٧٠هـ / ١١٧٤م) توضيحاً لطرق أخرى مفاده ان يحمي الدينار في النار، فإذا كان مغشوشاً بالفضة أو النحاس أسود أو اخضر، وكذلك عن طريق تميز صوته، فإذا كان الدينار خالص الذهب كان صوته رخيماً معتدلاً، وإذا غش بالنحاس أو الفضة ظهر صوته دقة واحدة تدل على صلابته، وإذا لبس الذهب على الفضة اختلف صوته عند نقره، فضلاً عن قطع بعض الصيارفه الدينار الذي يشك في اصلته بواسطة ثغره يطلق عليها (الكاز)، الا ان هذه الطريقة غير مأمونة (الدمشقي، ١٩٧٧: ص ١٥)، كما أشار الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ / ١٦٨٠) إلى طريقة أخرى نصها: (لمس العملة وفركها باليد) (الكاشاني، ١٣٤٢هـ: ٣٤).

وعلى الرغم من الأهمية الكبيرة، والدور الاقتصادي المهم لمهنة الصيرفة في الاقتصاد الإسلامي، إلا أن النظرة إلى الصيارفة بشكل عام كانت نظرة حذرة وريبة وشك، وبرزت بعض حالات الغش تلك لاسيما التلاعب بنوعية الذهب والفضة، ومزج المعادن الرخيصة فيها، فضلاً عن استخدام بعض مقصات يقطعون بها الدراهم المنحوسة والذهب المغشوش، ويبيع ولان اليهود والموردين لدور الضرب بسعر المصاغ ليعاد جديد (الجبرتي، د. ت: ٧٩)، وأن من شروط صحة الصرف والوزن و(الكيل) أن يباع وزناً بوزن، وهو إن تلقي ديناراً فتوازن به ديناراً ديناراً، وهذا ما أكدته الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في الحديث الشريف: (الفضة بالفضة مثلاً بمثل، وزناً بوزن، والذهب بالذهب، وزناً بوزن، مثلاً بمثل، فمن زاد فهو ربا) (ابن حنبل، د. ت: ص ٢٦٢).

كما تعامل الصيارفة مع الحكام والسلاطين، إذ أن تعاملهم معهم كان أقل من معاملاتهم مع الشعب (الدوري، ١٩٩٥: ص ١٩٣)، إلا أن ذلك لم يمنع أن يكون أثرهم في الجانب السياسي، لاسيما تمويلهم للحركة العباسية في خراسان (الذهبي، ١٤١٣هـ: ص ٤٠١).

سادساً: القرض:

عرف (الزبيدي) لفظ (القرض) لغة بأنه: (القطع وقرض الشيء بمعنى قطعة) (الزبيدي، ١٩٩٤، ج ١٩: ص ١٤)، وقرض الشيء بمعنى قطعة (المصدر نفسه: ص ١٧)، والقرض (ما تعطيه غيرك ليقضيك، وكل أمر يتجازى به الناس فيما بينهم فهو من القروض).

أما اصطلاحاً، فالقرض: هو دفع المال إلى الغير ينتفع به ويرده كما استقرضه عند قدرته عليه بدون فائدة تقريباً إلى الله ويتحقق بكل لفظ دال على المقصود. والقرض ثوابه كبير، حتى عده (الزبيدي) أفضل من الصدقة بمثله في الثواب والجزاء عند الله (الزبيدي، ١٩٩٤، ج ١٨: ص ٤٤٩)، داعماً رأيه بقوله عز وجل: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً) (سورة البقرة: ٢٤٥)، الذي فسره بأن القرض في هذه الآية إنما هو تانيس وتقريب للناس، والله عز وجل لا يتقرض من عوز لكن يبلى عباده بما مثل لهم من خير يقدمونه وعمل صالح يعملونه (الزبيدي، ١٩٩٤، ج ١٩: ص ١٧).

وقد نظمت السنة النبوية الشريفة، عملية القرض، فشجعت عليه، وبنيت أسسه وآدابه وأصوله، إذ تعامل رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بالقرض، إذ ورد إنه (صلى الله عليه واله وسلم): (استقرض من رجل بعير فجاء يتقاضاه بعيره، فقال: اطلبوا له بعيراً فادفعوه إليه، فلم يجدوا الا سنا فوق سن بعيره، فقال: اعطوه فأنا خياركم إحسانكم قضاء) (ابن حنبل، د. ت: ص ٥٠٩).

الخاتمة:

خلاصة البحث وأهم الاستنتاجات التي تم التوصل إليها، قال تعالى: (خَتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ). في ختام رحلتنا البحثية، نسجل بالنقاط الآتية خلاصتها وما أسفرت عنه من نتائج:

١. امتاز كتاب تاج العروس بأسلوب سلس، وعبرة مشرقة ودقة في تأدية المعنى وموضوعية في عرض الآراء، وسلاسة التعبير من التعقيدات اللفظية.

٢. أفصح البحث أن (الزبيدي) في كتابه، كان واسع الأفق شامل النظرة ربط بين الجوانب اللغوية والتاريخية والفقهية والاقتصادية في آن واحد مما دل على موسوعيته وسعة أفق معارفه.

٣. أثبتت الروايات الاقتصادية الواردة في كتاب (تاج العروس) أن الجانب الاقتصادي اتسم بالشمول في أحكامه والتي شرعت على أسس علمية مما يضمن ثباتها وديمومة التعامل بها.
٤. احتوى الكتاب على كم كبير من المعلومات الخاصة بالنقود وأنواعها فضلاً عن أثرها في مواقع الاقتصاد الإسلامي.
٥. بين دور الصيارفة والذي لم يقتصر على عملية البيع والشراء والتحويل المالي، بل هي ضرورية في القضاء على حالات الغش والتزوير والتلاعب بالعملات.
٦. بينت لنا البحث الحالي مدى التطور في مجال التعامل الاقتصادي والمالي والذي ينطبق مع الشريعة الإسلامية والسنة النبوية الشريفة.
٧. النظام النقدي نظام مهم ظهر وتطور مع تطور المجتمع الإسلامي ليواكب تطورات المجتمع على مر العصور والأزمنة، ذلك التطور الذي تمخض عنه نظام نقدي متكامل وضع وتطور إلا أنه لم يبتعد عن الشريعة والسنة.

قائمة المصادر والمراجع:

١. ابن أبي الحديد، محمد أبو الفضل ابراهيم (ت٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط١، دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٩.
٢. ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد (٢٣٥هـ / ٨٤٩م)، مصنف بن أبي شيبة، تحقيق: سعيد اللحام، ط١، دار الفكر بيروت ١٩٨٩.
٣. ابن ادريس الحلي، أبي عبدالله محمد بن أحمد (ت٥٩٨هـ / ١٢٠١م)، السرائر، تحقيق: لجنة تحقيق، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٠.
٤. ابن الاثير، علي ابن أبي الكرم محمد الشيباني (ت٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار أحياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٦.
٥. ابن الجوزي، جمال الدين عبدالرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد بعدالقادر عطاء مصطفى عبدالقادر عطاء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢.
٦. ابن المغازلي، ابي الحسن علي بن محمد (ت٤٨٣هـ / ١٠٩٠)، مناقب علي بن ابي طالب، ط١، انتشارات سبط النبي (ص)، ١٤٢٦هـ.
٧. ابن جعفر، أبو الفرج قدامة (ت٣٣٧هـ / ٩٤٨م)، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨١.
٨. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ / ١٠٦٣)، المحلى، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الفكر د.ت.

٩. أبْن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، مسند أحمد، دار صادر، بيروت. د.ت.
١٠. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)، المقدمة، ط٥، دار القلم، بيروت ١٩٨٤.
١١. ابن داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)، رجال ابن داود، تحقيق: محمد صادق، منشورات الرضي، قم. د.ت.
١٢. ابن زهرة الحلبي، حمزة بن علي بن زهرة (ت ٥٨٥هـ / ١١٨٩م)، غنية النزوع إلى علمي الاصول والفروع، تحقيق: ابراهيم البهادري، ط١١، مؤسسة الامام الصادق، قم ١٤١٧هـ.
١٣. أبْن سعد، محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت. د. ت.
١٤. ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله بن محمد (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)، الاستنكار، تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠.
١٥. ابن عساكر، علي بن الحسن ابن هبة الله (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شبري، دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ.
١٦. ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد، ط٢، دار جبل، بيروت ١٩٩٩.
١٧. ابن قدامة، عبدالله بن أحمد بن محمد (ت ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م)، المغني، دار الكتب العربي، بيروت. د. ت.
١٨. ابن ماجه، أبي عبدالله محمد بن يزيد (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر. د. ت.
١٩. ابن منظور، أبو الفضل بن مكرم (٧١١هـ / ١٣١١م)، لسان العرب، تحقيق: امين محمد ومحمد صادق، دار أحياء التراث العربي، بيروت. د. ت.
٢٠. ابن مولود، عبدالله محمد محمود الحنفي (ت ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م)، الاختيار لتعليل المختار، تحقق: عبد المنشاري، دار الحديث للنشر، القاهرة، ٢٠٠٩.
٢١. أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م)، الاحوال، تحقيق: د. محمد عمارة، ط١، دار الشروق، بيروت ١٩٨٩.
٢٢. الابيض، د. أنيس. بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط١، جروس بروس، طرابلس ١٩٩٤.
٢٣. الازهري، محمد بن أحمد بن طلحة (ت ٣٧٠هـ / ٩٨٠م)، تهذيب اللغة، تعليق: عمر سلامي وعبدالكريم حامد، ط١، دار أحياء التراث، بيروت ٢٠٠١.
٢٤. ايوب، حسن، فقه المعاملات المالية، ط٤، منشورات دار السلام، القاهرة ٢٠١٠.
٢٥. البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، صحيح البخاري، دار الفكر، ١٩٨١.
٢٦. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣.

٢٧. بلانت، ريتشارد، النقود العربية الإسلامية، ترجمة: بسام نوح وإبراهيم سروج، ط١، مكتبة السائح متى. مملو، سوريا ١٩٩٤.
٢٨. البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥)، السنن الكبرى، دار الفكر. د.ت.
٢٩. التتوخي، أبي علي المحسن بن علي (ت ٣٤٨هـ / ٩٥٩م)، مشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة. تحقيق. عبود الشالحي. د.ت.
٣٠. الجبرتي، عبدالرحمن بن حسن (١٢٣٧هـ / ١٨٢١م). عجائب الآثار، دار الجبل للنشر، بيروت. د.ت.
٣١. الحلفي، عبدالعزيز بن بدوي. الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز، ط٣، دار ابن رجب المنصورة ٢٠٠١.
٣٢. الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي (ت بعد ٥٧٠هـ / ١١٧٤م)، الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق: البشري الشورنجي، ط١، مطبعة الغد للنشر والتوزيع، الاسكندرية ١٩٧٧.
٣٣. الدوري، عبدالعزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٥.
٣٤. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٣.
٣٥. الرافعي، عبد الكريم بن محمد القزويني، فتح العزيز بشرح الوجيز، دار الفكر، د.ط، د.ت.
٣٦. الرعيني، أبي عبدالله محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٥٤هـ / ١٥٤٧م)، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ضبط: زكريا عميرات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥.
٣٧. الزبيدي، محب الدين أبي فيض محمد (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م). تاج العروس من جواهر النفوس، تحقيق: علي بشري، دار الفكر، بيروت ١٩٩٤.
٣٨. الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م)، الفايق في غريب الحديث، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦.
٣٩. السرخسي، شمس الدين، كتاب المبسوط، دار المعرفة، بيروت- لبنان، د.ن
٤٠. السمرقندي، علاء الدين (٥٣٥هـ / ١١٤٠م)، تحفة الفقهاء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت. د.ت.
٤١. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)، جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦.
٤٢. الشافعي، محمد بن ادريس (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)، الام، ط٢، دار الفكر، بيروت ١٩٨٣.
٤٣. الصولي، أبي بكر محمد يحيى (ت ٣٣٥هـ / ٩٤٦م)، الاوراق، تحقيق: ج. هيورث. د.ت، ٢٠٠٤.
٤٤. الطبراني، أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠م)، الجامع الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد، ط٢، نشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة ٢٠١٠.

٤٥. الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م)، المؤلف والمختلف بين أئمة السلف، تحقيق لجنة من الاساتذة، قم. د. ت.
٤٦. الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن (٩٩٥هـ / ١٠٥٠م)، تهذيب الاحكام، تعليق: محمد جعفر، دار المعارف للطبوعات، بيروت. د. ت.
٤٧. عبد الجبار، عفاف، الجوانب الاقتصادية في كتابات ابن تغري بردي، أطروحة غير منشورة، كلية التربية بنات، جامعة بغداد ٢٠٠٦.
٤٨. العلامة الحلي، جمال الدين، ابي منصور الحسن بن يوسف (٧٢٦هـ / ١٣٢٥م)، تذكرة الفقهاء، تحقيق: مؤسسة آل البيت، ط ١، مؤسسة آل البيت للنشر، قم ١٤١٤هـ.
٤٩. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ / ١١١١م)، أحياء علوم الدين، نشر دار الكتاب العربي، بيروت د. ت.
٥٠. القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، شرح وتعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت. د. ت.
٥١. القمي، عباس، الكنى واللقاب، منشورات مكتبة الغدير، طهران. د. ت.
٥٢. الكاشاني، محمد بن مرتضى فيض، المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء، مكتبة الصدوق، طهران، ١٣٤٢هـ.
٥٣. كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين دار احياء التراث العربي، بيروت. د. ت.
٥٤. الكرمل، الاب انستانس ماري، النقود العربية وعلم النميات، مجمع فؤاد الاول، القاهرة ١٩٣٩.
٥٥. المازندراني، محمد صالح (ت ١٠٨١هـ / ١٦٧٠م). العقد المنير، منشورات مكتبة الصدوق، طهر ١٣٨٢هـ.
٥٦. مالك، عبدالرحمن بن قاسم الحنفي (ت ١٧٩هـ / ٧٩٥)، الموطأ، تصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث، بيروت. د. ت.
٥٧. الماوردي، علي بن محمد البصري (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد عبدالسلام، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٦.
٥٨. المشكيني، علي، مصطلحات الفقه، مؤسسة جاب الهادي، ايران ١٩٩٩.
٥٩. المقرئ، تقى الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)، إغاثة الامة بكشف الغمة، تحقيق: كرم حلمي فرحان، ط ١، ٢٠٠٧.
٦٠. ناصر خسرو، أبو معين الدين (ت ٣٩٤هـ / ١٠٠٢م). سفر نامه، تحقيق: د. يحيى الخشاب، ط ٣، دار الكتب الجديدة، بيروت، ١٩٨٣.
٦١. اليان سركيس، يوسف، معجم المطبوعات العربية، منشورات مكتبة المرعشي، قم ١٤١٠هـ.

آل الفرات ودورهم في العصر العباسي

Al- Furat Family and their Role in the Abbasid Era

أ. م. رنا صلاح طاهر طاقة*

Rana Salah Tahir Taqa*

الملخص:

تعد مرحلة تولي آل الفرات للوزارة من المراحل المتميزة في التاريخ العباسي، فقد امتد ما بين سنتي ٢٨٦-٣٢٠هـ/٨٩٩-٩٣٢م، حيث برزت هذه الأسرة في العمل الإداري والاقتصادي ثم تلا ذلك العمل السياسي، فكانت أحد أهم الأسر التي اجتمعت فيها قوة الوزارة، وبراعة الإدارة، فكان أفراد هذه الأسرة وزراء، ومعلمين، وأدباء، وقادة عسكريون، وبرعوا في علوم شتى، ومن أبرز شخصيات هذه الأسرة علي بن الفرات، الذي تقلد منصب الكتابة وإدارة الدواوين، وسعى جاهداً للوصول بأي ثمن إلى أعلى المناصب السياسية في الدولة العباسية، وهذا ما أدى إلى تحقيق الاستقرار السياسي والاقتصادي، في مرحلة اتصفت بكثرة القلاقل والاضطرابات والفتن، وذلك نتيجة سيطرة القادة العسكريين الأتراك على مقاليد الأمور في الدولة العباسية، بل ونجاحهم في التحكم بمنصب الخلافة، حتى أصبح هؤلاء هم من يعين الخلفاء ويعزلونهم، والتنافس بين المسؤولين وكبار رجالات الدولة على المناصب السياسية والعسكرية في البلاد، فضلاً عن الأزمات الاقتصادية التي تعرضت لها البلاد، وعجز كيان الدولة عن تأمين مستحقات الجند المالية، مما دفع هؤلاء إلى التمرد والعصيان بين الحين والآخر مطالبين بأرزاقهم المتأخرة، فكان آل الفرات هم الضامن لتحقيق الاستقرار في البلاد.

الكلمات المفتاحية: آل الفرات، العصر العباسي، علي ابن الفرات، القوى المعارضة، القرامطة.

Abstract:

The period when the Al-Furat family took over the ministry considered one of the distinguished stages in Abbasid history. It extended between the years 286 – 320 AH /899 –932 AD, when this family emerged in administrative and economic work followed by political work. It was one of the most important families in which power gathered, ministry, and the prowess of administration. the members of this family were ministers, teachers, writers, and military commanders, and they excelled in various sciences. Among the most prominent figures of this family was Ali Ibn Al-Furat, who held the position of writing and managing collections, and

* كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة الموصل - العراق.

Email: Ranataqa@uomosul.edu.iq

* College of Education for Human Sciences/ University of Mosul - Iraq.

strove hard to reach at all costs the highest political positions in the Abbasid state, and this is what it led to the achievement of political and economic stability, in a period characterized by a lot of unrest, unrest and strife, as a result of the Turkish military leaders control over the reins of affairs in the Abbasid state, and even their success in controlling the position of the caliphate, until they became the once who appointed and removed caliphs, and the competition between officials and senior statesmen. On political and military positions in the country, in addition to the economic crises that the country was exposed to and the inability of the state entity to secure the soldiers financial entitlements, which led them to rebel and disobey from time to time, demanding their delayed livelihoods, The Al-Furat family was the guarantor of achieving stability in the country.

Keywords: Al-Furat, Abbasid Era, Ali ibn Al-Furat, Opposition Forces, Qarmatians.

إشكالية البحث:

لم تحظ مرحلة آل الفرات بنصيب وافرٍ من كتابات المؤرخين، شأنه شأن غيره من موضوعات العصر العباسي الثاني، لذلك فالكتابة عن مرحلة آل الفرات شاقة ومجهدّة، بسبب تشعب الأحداث، وتعدد الوزراء، وتنافسهم فيما بينهم وتداخل حكمهم، ثم أصبحوا قوة لا يستهان بها ووصلت تلك القوة لدرجة أن الخلفاء العباسيين كثيراً ما اضطروا إلى إخراجهم من السجن، للاستفادة منهم في المواقع والمناصب السياسية والإدارية، ولكن رغم هذه التطورات السياسية السريعة إلا أن ذلك العصر شهد نهضة اقتصادية وفكرية كبيرة، إذ نبغت فيه شخصيات عديدة وأسرار علمية بارزة، تركت أثراً كبيراً في الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية، كان منها أسرة آل الفرات التي سيتم تناولها في هذا البحث من خلال الواقع السياسي في العهد العباسي.

أهمية البحث وأهدافه:

يهدف هذا البحث إلى التعريف بآل الفرات، والدور المهم لهذه الأسرة في عصر حكم الأتراك، وبشكل خاص دور علي بن الفرات الذي شغل مناصب، ومراتب إدارية وسياسية مهمة في الدولة، وذلك من خلال الحديث عن دوره السياسي والاقتصادي في الدولة العباسية، وكذلك مساعيه لترسيخ سيطرته، والطرق والسبل التي اتبعها وابنه المحسن لديمومة وزارته.

منهج البحث:

اعتمد هذا البحث على منهج البحث التاريخي القائم على جمع المادة العلمية من مختلف المصادر والدراسات التاريخية والأدبية، وكذلك المراجع الحديثة ومن ثم تحليلها ونقدها من أجل الوصول إلى الحقيقة

المتعلقة بموضوع البحث مع الالتزام بجميع قواعد منهجية البحث التاريخي من حيث دقة اللغة، وحسن التعبير وسهولة الأسلوب.

أولاً: ظهور آل الفرات:

ترجع البدايات الأولى لنشوء آل الفرات إلى أبيهم محمد بن موسى بن الفرات، الذي عرف برغد العيش في بلدته، فبقي فيها حتى وفاته، بينما نجح أولاده من الوصول إلى أعلى المناصب في الدولة العباسية.

١- ظهور آل الفرات وتسلمهم الوزارة: بدأ آل الفرات وهما أحمد وعلي أولاد محمد بن موسى بالظهور على مسرح الأحداث السياسية، مع تولي اسماعيل بن بلبل^(١) الوزارة، إلا أنهما ما لبثا أن سجنوا بعد عزله، وتولى الوزارة الوزير عبيد الله بن سليمان الذي لم يكن كفء لهذا المنصب، فوجهت نصيحة له من قبل أصدقائه للاستعانة بولدي محمد بن موسى، فطلب من الخليفة المعتضد العباسي^(٢) أن يقلدهما أمور الكتابة وإدارة الدواوين، فتولى أحمد ديوان المشرق، أما علي فتولى إدارة المغرب، لكن سياستهما المالية لم تعجب الخليفة المعتضد ولا وزيره فعزلاهما في سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م^(٣)، وأمر الخليفة بسجنهما ومصادرة أموالهما، لكن الدولة العباسية ما لبثت أن تعرضت لضائقة مالية، وعجز الوزير عبيد الله عن إيجاد حل لها، فأحضر أحمد بن الفرات من سجنه وطلب منه إيجاد الحلول للضائقة المالية، سعى ابن الفرات جاهداً للخروج من الأزمة الاقتصادية، وطلب من الوزير استقدام أخيه من السجن لمواجهة الخطر الاقتصادي، وقام الأخوان بتضمين أعمال سقي الفرات ودجلة، لأحد الاقطاعيين مقابل مبلغ قدره ألفي ألف دينار وخمسمائة وعشرين ألف دينار، يدفع منها كل يوم سبعة آلاف دينار، وفي كل شهر مئتي ألف وعشرة آلاف دينار^(٤).

(١) اسماعيل بن بلبل: ولد سنة (٢٣٠هـ/٨٤٤م)، تولى الوزارة للخليفة المعتمد على الله سنة (٢٦٥هـ/٨٧٩م)، فعزل وأعيد إليها أكثر من مرة، وقبض عليه أخيراً في سنة (٢٧٨هـ/٨٩٢م) حيث عذب بشتى أنواع العذاب، حتى وافته المنية. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط١، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م)، ١٣/٢٠١.

(٢) أحمد أبو العباس ابن ولي العهد الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم، ولد سنة (٢٤٢هـ/٨٥٦م)، وأمّه أم ولد اسمها صواب، بوع بالخلافة في سنة (٢٧٩هـ/٨٩٢م)، كان ملكاً شجاعاً مهيباً، وافر العقل، شديد الوطأة، نشر العدل ورفع الظلم عن الرعية، مرض المعتضد في سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م) وتوفي على إثره. السيوطي، عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء، ط١، (دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٣م): ٢٩٣-٢٩٦.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت)، ٢١٩/١٣، ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام التدمري، (دار الكتاب العربي للطباعة، بيروت، ٢٠١٢م)، ٦/١٩٦.

(٤) الصابئ، هلال بن المحسن، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تح: عبد الستار فراج، (دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٥٨م): ١٣-١٤.

دفع نجاح ابنا الفرات في سياستهما الاقتصادية الخليفة المعتضد للتفكير في جعل أحدهما وزيراً بعد وفاة الوزير عبيد الله كونه الأقدر على معرفة مواقع المال^(١)، فضلاً عن وقوفه في وجه أطماع الكثير من حاشية الخليفة، حيث رفض إعطائهم الضياع السلطانية، لأنه يجب الاحتفاظ بها، فقوام الملك لا يتم إلا بالمال وأن الجند لا يسمعون ولا يطيعون الأوامر إلا بعد إعطائهم المال^(٢). ومن هنا فقد انقسم الكتاب ومسؤولي الدواوين إلى حزبين أساسيين، الأول تزعمه آل الفرات، وهم من أعيان الكتاب، وعلى رأسهم أحمد وعلي ابنا محمد بن موسى بن الفرات^(٣)، والحزب الآخر فيمثله آل الجراح الذين ينتمون إلى الأصول الفارسية، وهم أسرة من أعيان الكتاب، وعلى رأسهم علي بن عيسى (٢٤٥-٣٣٤هـ/٨٥٩-٩٤٥)^(٤)، وعمه محمد بن داود بن الجراح (٢٤٣-٢٩٦هـ/٨٥٧-٩٠٨م)^(٥).

وفي سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٣م، توفي أحمد بن الفرات فتولى أخاه علي ديوان الخراج والضياع بناءً على اقتراح الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ/ ٩٠١-٩٠٧م)^(٦)، فسعى الوزير العباس بن الحسن (٢٩١-٢٩٦هـ/ ٩٠٣-٩٠٨م)^(٧) إلى القبض على علي بن الفرات، ومصادرة أمواله لكن المكتفي رفض ذلك لقناعته بكفاءته وحسن إدارته^(٨)، وعندما مرض المكتفي واشتد المرض عليه، طلب الوزير العباس نصيحة عدد من الكتاب ذوي الحظوة والمكانة والمعرفة الدقيقة بشؤون الدولة، لكنهم لم يتفقوا على رأي معين، فمحمد بن داود بن الجراح رأى بعبد الله بن المعتز خليفة محتمل لعلاقته الحسنة به، كما أنه صاحب عقل ورأي

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط ٢، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م)، ٣٢٣/١٢.

(٢) الصابئ، الوزراء: ٢٠٠-٢٠١.

(٣) الهمذاني، محمد بن عبد الملك، تكملة تاريخ الطبري، تح: ألبرت يوسف كنعان، ط ١، (المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م): ٤٦.

(٤) علي بن عيسى كان يوصف بالصالح والديانة والستر، وكان كثير الصدقات والصلاة والصيام، ويذكر له عفة يده ولسانه، وله العديد من المؤلفات العلمية. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت)، ١٥/١٢، ابن طباطبا، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، (دار صادر، بيروت، د.ت): ٢٦١-٢٦٢.

(٥) ابن النديم، محمد بن اسحاق، الفهرست، (دار المعرفة، بيروت، د.ت): ١٦١، البغدادي: تاريخ بغداد،

٣٢٠-٣٢١/٢.

(٦) هو أبو محمد علي بن المعتضد ولد سنة (٢٦٤هـ/٨٧٧م)، وأمّه تركية اسمها جيجك، تولى ولاية العهد وبويع بالخلافة سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م)، وكان في الرقة، فعاد إلى بغداد ونزل بدار الخلافة، حيث هدم المطامير التي صيرها والده مساجد، وأمر برد الحوانيت والبساتين التي أخذها أبوه من الناس ليعملها قصراً إلى أهلها، وسار في الناس سيرة جميلة، فأحبه الناس، توفي المكتفي في شبابه في سنة (٢٩٥هـ/٩٠٧م). السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٢٩٨-٢٩٩.

(٧) العباس بن الحسن ولد سنة (٢٤٧هـ/ ٨٦١م)، وزير الخليفة المكتفي، كان معروفاً بحسن خطه وبلاغته اللغوية، إلا أنه كان ضعيفاً في علم الحساب، فترك الأعمال لنوابه وكتابه، وكان يعرف بالغنى والثراء الفاحش، إلا أنه كان مجرداً من المبادئ الأخلاقية، ويسعى لتقديم مصالحه الخاصة، فمنع أصحاب الدواوين من الوصول للخليفة. ابن طباطبا، محمد بن علي، الفخري: ٢٥٣، الصابئ، الوزراء: ٢٥٢-٢٥٣.

(٨) الصابئ، الوزراء: ٢٥١-٢٥٢.

وأدب، ولديه مؤهلات ترشحه إلى هذا المنصب^(١)، أما علي بن عيسى فقد رأى أن يكون المرشح ديناً، ومتقدماً في السن محكماً عالمياً بأمور البلاد، ذا حنكة وتدبير ليكون أهلاً للخلافة^(٢)، أما ابن الفرات فقد طلب الانفراد بالوزير العباس لي طرح رأيه بخصوص الشخص المرشح للخلافة بعد وفاة المكتفي، فجاء في نصيحته: "فليتق الله الوزير ولا ينصب إلا من قد عرفه واطلع على جميع أحواله، ولا ينصب بخيلاً فيضيق على الناس ويقطع أرزاقهم، ولا طامعاً فيشره في أموالهم فيصادروهم ويأخذ أملاكهم، ولا قليل دين فلا يخاف العقوبة والآثام ويرجوا الثواب فيما يفعله، ولا من عرف دار هذا، ونعمة هذا، وبستان هذا، وجارية هذا، وضيفة هذا، وفرس هذا، ومن لقي الناس ولقوه، وعاملهم وعاملوه، وعرف الأمور وتحك، وحسب حساب نعم الناس"^(٣). فقال الوزير العباس: صدقت ونصحت، فيمن تشير؟ قال ابن الفرات: "تقلد جعفر بن المعتضد^(٤)، فإنه صبي لا يدري أين هو، وعامة سروره أن يصرف من المكتب، فكيف أن يجعل خليفة، ويملك الأعمال والأموال، وتدبير النواحي والرجال، ويكون الخليفة بالاسم وأنت على الحقيقة، وإلى أن يكبر تكون قد انغرست محبتك في صدره، وحصلت محصل المعتضد في نفسه"^(٥).

وبالفعل فقد أخذ العباس بنصيحة ابن الفرات، ففي سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م وبعد وفاة الخليفة المكتفي بالله بوبع جعفر بن المعتضد بالخلافة ولقب بالمقتدر، وكان عمر الخليفة الجديد ثلاثة عشرة سنة ونيف^(٦)، وهي المرة الأولى التي يبائع فيها صبي في مثل هذا العمر بالخلافة، وقد نجح المقتدر بالتغلب على العديد من المشكلات التي واجهت حكمه، أهمها حركة عبد الله بن المعتز^(٧) ويسانده عدد من كبار رجالات الدولة

(١) التتوخي، المحسن بن علي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تح: عبود الشالجي، ط٢، (دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م)، ٦٤/٥، مسكويه، أحمد بن محمد، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت)، ٥/٣-٥.

(٢) الصائبي، الوزراء: ١٤٣ (١٤٤)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٠٠/٦-٢٠٢.

(٣) النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت)، ٢٣/٢٤.

(٤) جعفر بن أحمد المعتضد بالله، أمه أم ولد رومية، ولد يوم الجمعة سنة (٢٨٢هـ/٨٩٥م)، عاش فترة قصيرة في كنف والده المعتضد، الذي توفي وله من العمر سبع سنوات، وبالتالي لم يتوفر الوقت الكافي للتعليم على يديه لاكتساب الخبرة، واتسمت شخصيته باللين والدعة وسلامة الصدر، مما جعله أقرب إلى الضعف منه إلى الحزم، وكان يرى أن التقرب من الناس بالرغبة والإحسان، أحب إليه من الإساءة والرهبة. الصولي، محمد بن يحيى، أخبار الراضي بالله والمتقي لله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٣٣ هجرية، عني بنشره: ج. هيورث. دن، دار المسيرة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م، ص ٥٣ (٧٤). ومتر: آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: عبد الهادي أبو ريده، (مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٠م)، ٣٥/١.

(٥) الصائبي، الوزراء: ١٣١-١٣٢.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢١٥/٥.

(٧) ولد أبو العباس عبد الله بن الخليفة محمد المعتز من أم ولد في سنة (٢٤٤هـ/٨٥٨م)، وقيل (٢٤٧هـ/٨٦١م)، وقيل سنة (٢٤٩هـ/٨٦٣م) من حيث اتجه للدراسات الادبية، وبرز في مجال الشعر، الذي امتاز ببلاغته ودقة معانيه وسهولة ألفاظه، وله تصانيف كثيرة في اللغة والأدب، كان صاحب شخصية مرموقة في المجتمع، ف شعر الخلفاء بخطرهم عليهم، ففي عهد المعتضد شعر بالقلق منه وفكر في سجنه، وفي عهد المكتفي تم سجنه حتى تتم البيعة له، ولاحقاً طلب منادته وملازمته لكنه رفض ذلك. التتوخي، الحسن بن علي بن محمد، الفرج بعد الشدة، تح: زكي مجاهد، (د.م،

الذين بايعوه سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م^(١)، وقد انتهت حركة التمرد تلك بمقتل ابن المعتز^(٢)، وعدد كبير من أنصاره ومريديه، ونفي البعض الآخر، وتم ترسيخ حكم المقتدر بالله في الخلافة، حيث أعلن ابن الفرات الأمان إلى جميع المشاركين في الفتنة، مما قاد إلى تحقيق الاستقرار في البلاد.^(٣)

٢- وزارة آل الفرات في عهد المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٧-٩٣٢م): تولى آل الفرات خلال

حكم الخليفة المقتدر تدبير أمور الوزارة في أكثر من مناسبة، حيث كانت تلك الوزارات على الشكل الآتي:

أ- وزارة ابن الفرات الأولى (٢٩٦-٢٩٩هـ/٩٠٨-٩١١م): بدأ ابن الفرات يجني ثمار موقعه من

المقتدر خلال حركة ابن المعتز، حيث ولاه الخليفة المقتدر الوزارة بين سنتي ٢٩٦-٢٩٩هـ/٩٠٨-٩١١م، كمكافأة له على جهوده الكبيرة التي بذلها لتدعيم مركزه، ولكونه الكاتب الوحيد الذي لم يشارك في الأزمة^(٤)، بدأ ابن الفرات وزارته الأولى بشكل قوي، وذلك بعد أن قالت له والدة المقتدر: "هذا يا أبا الحسن ولدك، وأنت قلدته الخلافة أولاً وثانياً"^(٥)، إذ سعى إلى التخلص من العناصر التي تشكل تهديداً لمركزه في الوزارة، ثم التفت إلى تقوية مركز وجمع ثروة مالية كبيرة، حيث كان يستغل أموال لدولة لمصالحه الشخصية، واكتساب الأنصار^(٦)، واشترى ولاء الكثير من الناس، حيث كان يدعو يومياً إلى طعامه تسعة من خاصة كتابه^(٧)، لقد تميزت سياسة ابن الفرات بتبذير أموال الدولة، وقد كان لسياسته تلك دوراً في تفاقم الأزمة الاقتصادية، حتى أنه لم يجد في بيت مال العامة ما يكفي لسد حاجة ونفقات عيد الأضحى، فطلب من الخليفة إعطائه من بيت مال الخاصة ليسد نفقات هذا العيد، فرفض الخليفة ذلك، وقاد هذا الأمر إلى زعزعة ثقة الخليفة به^(٨)، وتم القبض على ابن الفرات وأعوانه وحاشيته في سنة ٢٩٩هـ/٩١١م^(٩)، وصودرت أمواله

القاهرة، ١٩٣٨م)، ٧٨/١؛ البغدادي: تاريخ بغداد، ٩٩/١؛ ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م)، ٣٧/٢.

(١) كان ممن اشترك في التآمر على الخليفة الجديد كلاً من: محمد بن داود بن الجراح والحسين بن حمدان وبدر الأعجمي ووصيف بن صوار تكين ومحمد بن عبدون وأبو عمر محمد بن يوسف القاضي وغيرهم. المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: كمال حسن مرعي، ط١، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٩م)، ٣١١/٤.

(٢) الهمداني، محمد بن عبد الملك، تكملة تاريخ الطبري، تح: ألبرت يوسف كنعان، ط١، (المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م): ٦.

(٣) التنوخي، نشوار المحاضرة، ٧٣/٥-٧٤.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ٢٤/٥.

(٥) الصابي، الوزراء: ١٣٢.

(٦) كان ابن الفرات يجري العطايا على خمسة آلاف إنسان، حيث يوزع عليهم بين ٥درهم إلى ١٠٠دينار في الشهر، ومن بين هؤلاء كان ابن الفرات يولي الشعراء اهتماماً خاصاً، حيث كان يمنحهم كل سنة من سنين وزارته عشرين ألف درهم، من دون ما يصلهم متفرقاً عند مديحهم إياه. الصابي، الوزراء: ٢٢٣.

(٧) منتر، الحضارة الإسلامية، ١٨١/٢.

(٨) الصابي، الوزراء: ٣٤.

(٩) المسعودي، مروج الذهب، ٢٤٣/٤، ابن الجوزي، المنتظم، ٢٢١/١٣.

وأملكه وما كان له من الضياع والإقطاعات والعقارات والغلات، حيث بلغ مجموع ما صودر منه مليون دينار عيناً وستمئة ألف دينار نقداً^(١)، وبذلك انتهت وزارة ابن الفرات الأولى، بعد أن تم عزله، وكان لسياسته المالية في الدولة، العامل الأهم في تفاقم الأزمة الاقتصادية في البلاد، وبالتالي فقدان ثقة الخليفة المقتدر بوزيره ابن الفرات.

ب- وزارة ابن الفرات الثانية (٣٠٤-٣٠٦هـ/٩١٦-٩١٨م): أعيد إلى وزارته للمرة الثانية بعد خمس سنوات قضاها في السجن، بسبب فشل الوزراء اللاحقين لابن الفرات في إدارة أمور البلاد، وذلك بعد أن تعهد بدفع مبلغ ألف دينار للخليفة يومياً، وكذلك خمسمئة دينار لوالدته ولكل واحد من الأمراء^(٢)، وفي هذه المرحلة تعرضت وزارة ابن الفرات إلى حدثين كبيرين، الأولى: تمثل في مطالبة الهاشميين^(٣) بأرزاقهم التي منعت عنهم، فتطاولوا على الوزير، مما دفع شيوخهم إلى الاعتذار منه، كما أنكر الخليفة المقتدر فعل الهاشميين تجاه وزيره، فعين جماعة من الغلمان الحجرية^(٤) حرساً له يرافقونه في أي مكان يذهب إليه^(٥). أما الحدث الثاني: فكان في سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م، والمتمثل بتأخر أرزاق الفرسان، بحجة أن أكثر الأموال أنفقت في محاربة الحركات المعارضة للدولة، فشغب الجند عليه، فالتمس الوزير مساعدة الخليفة، وطلب منه دفع مبلغ ٢٠٠ ألف دينار من بيت مال الخاصة، وهو يضيف عليها مثلها لإسكات شغب الجند، فاستاء الخليفة من طلب ابن الفرات، وخاصة أنه تعهد بأن يدفع كافة نفقات الخليفة عند توليه منصبه^(٦)، وعندما عجز ابن الفرات عن دفع مستحقات الجند قبض الخليفة عليه، وعزله من منصبه، ومن الأمور التي دفعت الخليفة لعزله من وزارته الثانية:

- صرفه لعدد كبير من أصحاب الدواوين والعمال والقضاة وبعض المعارضين لسياسته عن مناصبهم وتعيين بدلاً منهم أقاربه وأصدقائه، دون مراعاة جانب الكفاءة.

(١) الصابئ، الوزراء: ٣٤-٣٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ٩٩/٥.

(٣) ظهرت في العصر العباسي جماعة من المسلمين تقتخر بقرابتها من الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وأهل بيته، ونسبها إلى قبيلة قريش، أطلق عليهم تسمية الأشراف، وقد انقسم هؤلاء إلى فئات عدة، منها: نقابة العباسيون: المنتسبين إلى العباس بن عبد المطلب عم الرسول. ونقابة الطالبين: المنتسبون إلى علي بن أبي طالب وأولاده. ونقابة الهاشميين: وتضم ما تبقى من الأشراف من بني هاشم. البغدادي: تاريخ بغداد، ١٤٦/٢، الهمداني، تكملة تاريخ الطبري: ١٦.

(٤) إحدى الفرق العسكرية التي تكون منها الجيش العباسي، ظهرت في عهد الخليفة المعتضد بالله عندما عينهم لحراسة قصر الخليفة، ورتبهم في حجرات خاصة وسماهم الحجرية، شاركوا في إخماد الكثير من الثورات الداخلية التي هددت كيان الدولة. الصابئ، الوزراء: ١٧، القرطبي، عريب بن سعيد، صلة تاريخ الطبري، (مطبعة بريل، لندن، ١٨٩٧م): ٥٥ - ٥٩.

(٥) القرطبي، صلة تاريخ الطبري: ٥٩.

(٦) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري: ٢١٢.

- استرداده لأملكه وضياعه التي صودرت منه في وزارته الأولى، ووزعت على عدد من القواد والخواص، وهذا ما أغضبهم وحقدوا عليه، فسعوا للوشاية عليه والإطاحة به.^(١) وبذلك سقطت وزارة ابن الفرات الثانية بعد مدة لم تتجاوز السنتين، لم يخرج فيها عن إطار وزارته الأولى في التعامل بقسوة مع المعارضين له، فضلاً عن مصادرة أملاك كل من يشك بسعيه للعمل ضده.

ج- وزارة ابن الفرات الثالثة (٣١١-٣١٢هـ/٩٢٣-٩٢٤م): أخرج ابن الفرات من السجن في سنة ٩٢٣هـ/٣١١م، وأعيد إلى منصب الوزارة، فبدأ وزارته بالسعي لتصفية العناصر المناوئة له، حيث ادعى أن اعتداله في التعامل معهم أدى بهم إلى محاولة إقصائه وتدميره، وفي هذه المرحلة أشرك الخليفة المحسن بن علي بن الفرات في إدارة شؤون الدولة^(٢)، فبدأ الوزير وزارته الجديدة بالقبض على الوزير السابق حامد بن العباس (٣٠٦-٣١١هـ/٩١٨-٩٢٣م)^(٣) ومساعدته علي بن عيسى الذي كان يتولى إدارة الدواوين^(٤).

لكن الأمر الذي أسقط ابن الفرات هو خلافه مع مؤنس الذي كان غائباً عن بغداد في معركة ضد الروم سنة ٩٢٣هـ/٣١١م، فلما عاد أنكر ما جرى للوزير حامد، وعماله من التعذيب والتتكيل على يد ابن الفرات^(٥)، فسعى ابن الفرات للإيقاع بمؤنس فأشار على الخليفة بإبعاده إلى الرقة، بحجة أن ذلك يسهل جمع الضريبة من الولايات الغربية، ويكون بالإمكان دفع رواتب الجيش منها، فافتتحت الخليفة بفكرة ابن الفرات وأمر مؤنس بالتوجه نحو الرقة، وعلم مؤنس أن ما جرى معه من تدبير ابن الفرات^(٦)، وفي خضم تلك المشكلات التي تواجه ابن الفرات، هاجم القرامطة (٢٧٨-٣٧٨هـ/٨٩١-٩٨٨م)^(٧) قافلة للحجاج، وأخذ الأموال والحريم، وهلك الناس جوعاً وعطشاً، مما أدى إلى هيجان العامة في بغداد، فرجموا ابن الفرات

(١) الصابي، الوزراء: ١١١-١١٢.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ٢١٥/٤.

(٣) حامد بن العباس: يرجع أصله إلى واسط، كان صاحب نعمة، له ألف وسبعمئة حاجب وأربعمئة مملوك يحملون السلاح، وصل إلى الوزارة بناءً على مشورة أحد كبار رجال الدولة المدعو علي بن محمد الحواري، الذي وصف حامد بأنه نبيل النفس، وقادر على تحصيل الأموال الكثير لهيبته عند العمال. مسكويه، تجارب الأمم، ٣٣/٥-٣٤؛ متر، الحضارة الإسلامية: ١٦٨.

(٤) القرطبي، صلة تاريخ الطبري: ٩٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢١٧/٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٢٢/٥.

(٦) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري: ٢٣٥.

(٧) القرامطة: حركة دينية سياسية اجتماعية نشأت في المشرق العربي عام (٢٧٨هـ/٨٩١م)، في عهد الخليفة العباسي المعتضد، ونجحت في مد سلطتها على الإحساء والبحرين وعمان وبلاد الشام، وقد هاجم هؤلاء مكة في موسم الحج وسرقوا منها الحجر الأسود، بعد أن قتلوا الكثير من الحجاج عام (٣١٧هـ/ ٩٣١م). ابن الجوزي، عبد الرحمن، القرامطة، تح: محمد الصباغ، ط٥، (المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٨١م): ٣٦-٥٠؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر، (دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م)، ٦٣/٤.

وأطلقوا عليه القرمطي الكبير^(١)، استغل الحاجب الوضع المضطرب في بغداد، وخاطب ابن الفرات بلهجة قاسية بحضور الخليفة، واتهمه بالتواصل مع القرامطة، وزعزعة استقرار الدولة، وأشار على الخليفة بإعادة القائد مؤنس إلى بغداد، وبالفعل فقد استجاب الخليفة لطلبه، وطلب من مؤنس العودة إلى بغداد^(٢)، ذهب مساعي ابن الفرات للتقرب من القائد مؤنس أدراج الرياح، فتم عزله واعتقاله عند صاحب الشرطة، ونقل إلى دار الخلافة، الأمر الذي اثار كبار القواد، فطلبوا من الخليفة إخراجهم من دار الخلافة^(٣)، فتعرض مع ولده المحسن إلى أقسى أنواع القسوة والتعذيب على يد العامة التي كانت حاكمة عليه، فتم قطع رأسيهما وأرسلا إلى الخليفة حيث أمر برميها في نهر دجلة، وتمت مصادرة أملاك ابن الفرات مع أفراد أسرته^(٤)، وبذلك انتهت حياة أحد أهم الوزراء الذين حكموا في عهد المقتدر، ولم تشفع له ما قدمه للخليفة من خدمات وأعمال.

د - وزارة الفضل بن جعفر بن الفرات (٣٢٠هـ/٩٣٢م): لم يستمر الأمر طويلاً حتى تولى أحد أبناء آل الفرات منصب الوزارة من جديد، وهو الفضل بن جعفر الذي تولى الوزارة في سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م، فكان الوزير الجديد مشهوراً بالفضل والعلم وقدرته على حسن التصرف، وتبصره بالأمر، لم يرق الوزير بتغييرات كبيرة بين موظفي الدولة، كما أنه لم يرق بأعمال جدية للنهوض بواقع المالية المتردية، ولم يستطع توفير المال للأخطار التي باتت تهدد الدولة، حيث جاء وفد من أهل الثغور والجبال، واستقروا في العاصمة خوفاً من هجمات الروم على أراضيهم، وهذا ما أحدث حالة من الهيجان في بغداد، ونتيجة للأوضاع السيئة طلب الوزير من الخليفة الاستعانة بالقائد مؤنس، فاقترح الخليفة بالأمر، لكن تدخل بعض أفراد الحاشية الذين اعتبروا أن عودة مؤنس تشكل خطراً على مصالحهم^(٥)، فما لبثت أن سقطت وزارة الفضل، بسبب مقتل الخليفة المقتدر فاستتر عن الأعين حتى تهدأ الأمور^(٦)، لتنتهي بذلك مرحلة تولي آل الفرات للوزارة في الدولة العباسية.

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٧٥/١٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٢٣/٥.

(٣) القرطبي، صلة تاريخ الطبري: ١٠٤.

(٤) القرطبي، صلة تاريخ الطبري: ١٠٧/١٠٨.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ٦٨/٥-٦٩.

(٦) ابن طباطبا، الفخري: ٢٧٥.

ثانياً: موقف ابن الفرات من القوى المعارضة له:

تغيرت سياسة ابن الفرات بين مرحلة وأخرى من مراحل تسلمه الوزارة، وعلى الرغم من ذلك فقد استمرت سياسة العداء القائمة بينه وبين كبار رجالات الدولة الطامعين بالسيطرة على منصب الوزارة، كما حدثت عدد من الحركات السياسية في أنحاء الدولة، هزت أركان الدولة، فمن هم أبرز الشخصيات التي عارضت وزارة ابن الفرات، وما هي أهم الحركات السياسية التي واجهت الدولة.

١- الشخصيات التي عارضت وزارة آل الفرات:

أ- علي بن عيسى: كان الاختلاف السمة البارزة لعلاقتهم^(١)، فمع تولي ابن الفرات وزارته الأولى أمر بالقبض على علي بن عيسى وإخوته، ويرجع ذلك إلى إقدام علي بن عيسى على المشاركة في فتنة ابن المعتز ووقفه إلى جانبه^(٢)، فكتب الوزير إلى الخليفة أن علي بن عيسى لم يكن ممن أثاروا فتنة ابن المعتز، وخفف عنه ابن الفرات مال المصادرة، إذا ما قارناه بالمال الذي حصل عليه من غيره، ممن تورطوا في فتنة ابن المعتز، فلبى المقتدر رغبة ابن الفرات، فوافق على نفي علي بن عيسى إلى واسط، فسيره ابن الفرات إليها^(٣)، وأطلق له عشرة آلاف درهم نفقة الطريق، وأعطى الحمالين نفقات النقل ثمانية آلاف درهم^(٤)، وبعد تعيين الوزير أبو علي الخاقاني (٢٩٩-٣٠١هـ / ٩١١-٩١٤م)، أظهر الوزير الجديد فشلاً ذريعاً في إدارة أمور البلاد، وعندما علم المقتدر بسوء تدبيره^(٥)، استوزر علي بن عيسى في سنة ٣٠١هـ / ٩١٣م، وبقي فيها حتى سنة ٣٠٤هـ / ٩١٦م عندما أمر الخليفة المقتدر باعتقاله، استجابةً لضغوط رجالات القصر الذين رأوا في إصلاحاته خطراً على وجودهم ومصالحهم، حيث بقي في السجن لمدة سبعة عشر شهراً^(٦)، ومن خلال المقارنة بين الوزيرين علي بن الفرات وبين علي بن عيسى، ولم تكن تلك الأمور التي انشغل فيها ابن الفرات وحده، وقد عبر العامة عن رأيهم في تعيين الخليفة لابن الفرات عوضاً عن علي بن عيسى، فقالوا: "أخذوا منا مصحفاً وأعطونا طنبوراً"^(٧)، فبلغ ذلك الخليفة فكان سبب ذلك الإحسان إلى علي

(١) متز، الحضارة الإسلامية، ١/ ١٨٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦/ ٥٧٠.

(٣) الصولي، أخبار المقتدر بالله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة (٢٩٥-٣٢٠هـ)، تح: خلف رشيد نعمان، (دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٩م): ١٠٠-١٠١.

(٤) الصابئ، الوزراء: ٥٨.

(٥) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري: ٣٢.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ٥/ ٢٥، الهمداني، تكملة تاريخ الطبري: ١١٦.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ١٣/ ١٦٧.

بن عيسى إلى أن أخرجه، فهذه العبارة التي جرت على ألسنة العامة لما عاد ابن الفرات إلى الوزارة في المرة الثانية، تدل على أن كفاءة الوزير المعزول علي بن عيسى في إدارة الأمور لم تكن تقل عن كفاءة ابن الفرات، فعصفت السعايات والأهواء بالأول وجاءت بالثاني.⁽¹⁾

ولما آل أمر الوزارة لابن الفرات مجدداً عمل على ألا يصيب علي بن عيسى بمكره، ومع ذلك فقد استخدم المحسن بن الفرات أشد أساليب القسوة مع ابن عيسى، وقام بمصادرته على ثلاثمئة ألف دينار، والإقرار بما عنده من مال، ولقد حاول المحسن بن علي بن الفرات إنزال الأذى بعلي بن عيسى فحال والده بينه وبين مآربه اعترافاً بفضل علي بن عيسى عليهم لما نكبوا في وزارة ابن الفرات الثانية، وخلال مناظرة بين ابن الفرات وابن عيسى فقد وجه ابن الفرات عدد من الاتهامات لابن عيسى منها: تعامله مع القرامطة وسعيه للجمع بين الجانبين، فكان رده: "إنه من كان في مثل حالتي وتحت سخط السلطان كاشفه الناس بالكذب والباطل لا سيما إذا كان الوزير منحرفاً ومغتافلاً"⁽²⁾. وهكذا فإن ابن الفرات فعل ما فعل بعلي بن عيسى طاعة للسلطان وإرضاء الأفراد الحاشية الذين أبغضوه، لما أنزله بهم من عسف وإرهاق حيث عطل أرزاقهم، ومهما يكن من أمر فإن علي بن عيسى قد استطاع النجاة بنفسه بسبب ذكائه وما قدم من خير خلال مدة عمله.

ب- حامد بن العباس⁽³⁾ : مرت العلاقة بين ابن الفرات وحامد حين تولى الأول الوزارة للمرة الثالثة

بمرحلتين:

الأولى: سادها الود في العلاقات بين الرجلين، حيث أمر الخليفة المقتدر لما عهد إلى ابن الفرات بالوزارة سنة ٣١١هـ/٩٢٣م أن لا ينكب حامداً، وأن يناظره على ما يجب عليه من فضائل الضمان، فإذا وجب عليه شيء بحضور الكتاب والقضاء أخذ بعضه وغض الطرف عن الباقي، ومن ثم فإن الوزير اجتهد ما وسعه الاجتهاد في إحصاء ما لدى حامد من الأموال حتى يناظره في أمرها أمام الكتاب والقضاء ليحصل منها ما يستطيع دون أن ينزل بحامد مكروهاً بناءً على أمر الخليفة له⁽⁴⁾، شاع خبر أمير المؤمنين مع ابن الفرات بالنسبة لحامد بن العباس بين كبار رجال الدولة، فكتب بعضهم إليه كتاباً وهو بواسط يتضمن إكرام الخليفة له وحرصه على عدم إيذائه، فأظهر للناس بواسط أن الخليفة بعث إليه في الحضور إلى بغداد فخرج

(1) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، أدب الدنيا والدين، (دار مكتبة الحياة، د. م، ١٩٨٦م)، ص ٢٦٨.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ٥/٥٩.

(3) تولى حامد بن العباس الوزارة في سنة (٣٠٦هـ / ٩١٨م)، بدأ حياته بالاشتغال بأمور التجارة والمال، وضمان الخراج، تولى الوزارة وكان في الثمانين من عمره، وكان المدير الرئيس لها علي بن عيسى. متز: الحضارة الإسلامية، ١/١٨٩.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ٥/٥٤.

منها في موكب مهيب أحاطت به مماليكه وحاشيته، فلما علم ابن الفرات بهيئة قدوم حامد بغداد توجس في نفسه خيفة، فذهب إلى المقتدر ليستطلع منه الأمر ويعلم ما إذا كان قد كتب إلى حامد بواسط في القوم إلى بغداد، فأنكر المقتدر ما نسب إليه في هذا الأمر، ومن ثم فقد داهمت الشرطة موكب حامد بن العباس، فألقت القبض على بعض رجاله وظلت تبحث عنه دون جدوى، حتى دخل بنفسه متكرراً إلى دار الخلافة فأمر الخليفة بتسليمه إلى ابن الفرات، وعامل ابن الفرات حامد معاملة انطوت على عظيم الإكرام والإجلال له، والحفاظ على مكانته فأمر قهرمان داره بأن ينزل حامداً داراً واسعة من دياره، ويفرشها فرشاً حسناً ويوسع عليه في طعامه وشرابه وطيبه، حتى يخدم بمثل ما كان يخدم به وهو وزير، وأن يقطع له كسوة فاخرة ويجعل معه لخدمته إذا كان خالياً خادمين أسودين أعجمين، ثم أحضر الوزير حامداً بحضرة الفقهاء والكتاب والعمال والمناظرة بالحسنى كما طلب المقتدر من وزيره ابن الفرات، فأقر حامد بمال يسلمه للدولة وقدره ألف ألف دينار.⁽¹⁾

وأما المرحلة الثانية: فحل فيها البغض والخصام، إذ نجح المحسن بن علي بمعاونة بعض رجالات القصر، من استصدار أمر من الخليفة بأخذ حامد من بين يدي والده وأعطى ضماناً على نفسه للحضرة بخمسمائة ألف دينار⁽²⁾، ولم تجد نفعاً جهود علي بن الفرات لدى أمير المؤمنين كي لا يتسلم ولده حامد بن العباس، لما تمكن المحسن من حامد أشفى غليله منه، فأنزله به من صنوف العذاب وظل به حتى استخرج ما لديه من مال، ثم أشخصه إلى واسط ليبيع ما لديه من أملاك بها حتى يسلم أموال بيعها للمحسن، فلما وصل إليها تخلص منه المحسن بخادم وضعه عليه فجعل السم في طعام أكله حامد، وتوفي في سنة ٣١١هـ/٩٢٤م⁽³⁾، وبهذا يكون حامد بن العباس دفع حياته ثمناً لأطماعه بالوصول إلى منصب الوزارة، حيث عوقب دون رحمة، أو النظر إلى خدماته السابقة التي قدمها للدولة.

ج- علي بن مقله⁽⁴⁾: مرت العلاقات بين علي بن الفرات وبين علي بن مقله بمرحلتين أساسيتين، الأولى: مرحلة الوفاء وإجزال العطاء: حيث كان ابن مقله يخدم في بعض الدواوين بعطاء يبلغ كل شهر ستة دنانير، وعندما كان ابن الفرات يتولى أمر الوزارة الأولى، كان ابن مقله قد تعلق به فكان الساعد الأيمن

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٦/٦٨٢-٦٨٤.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، ١١/١٤٧.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ٥/٥٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦/٦٨٤.

(4) ولد في بغداد سنة (٢٧٢هـ/٨٨٥م)، نشأ في بيت متواضع، تقلد الوزارة وهو في الستين من عمره وكان ممن اشتغل بين يدي ابن الفرات، وارتفع بسببه، كان صاحب مؤامرات، حيث أوقع بين الخليفة القاهر وجنده. متز: الحضارة الإسلامية، ١/١٩١-١٩٢.

له، حيث منحه الوزير ٦٠ ألف دينار وهذا ما جعل الكاتب ابن مقلة يسير وفق إشارة الوزير، ويسكت عن أطماعه ولا يبوح بها لأحد^(١)، فلما ألقى المقتدر القبض على ابن الفرات عندما عزله عن وزارته الأولى، استطاع ابن مقلة النجاة بنفسه باستخفائه عن أعين الرقباء والطالبيين له^(٢)، بمصادرته وتعذيبه، حتى آل أمر الوزارة من جديد لعلي بن الفرات عاد إلى الظهور بعد اختفائه، وإلى العيش مرة أخرى في الأضواء ينعم بحياة الأعداء، ليدبر أمر الوزير ابن الفرات من جديد.^(٣)

أما المرحلة الثانية: مرحلة البغض والمنافرة: ويرجع سبب تغير الأحوال بين ابن مقلة وابن الفرات يعود إلى أن الوزير قلد ابن مقلة الكتابة لنصر الحاجب، حين عين عوضاً عنه سعيد بن إبراهيم التستري^(٤)، فأثار ذلك الأمر حفيظة ابن مقلة الذي راح يكلم نصر عن ابن الفرات وأمواله التي حصلها، على الرغم من تكتمه في وزارته الأولى وقدرها خمسمائة ألف دينار، استغل نصر الحاجب هذه الفرصة فأنشأ يغري المقتدر بأموال ابن الفرات التي مازال يملكها، فلما وصلت الأخبار للوزير عما فعله به كاتبه ابن مقلة، ومنذ ذلك الوقت أخذ ابن مقلة يتوجس خيفة من ابن الفرات، فلم يجد ملاذاً يأوي إليه حتى يمنعه من بطش ابن الفرات سوى نصر الحاجب، وفي تبرير موقف نصر الحاجب من ابن الفرات، وقبوله مؤازرة ابن مقلة الكاتب حين أراد النيل من وزيره، ذلك أن نصراً لم يكن بينه وبين ابن الفرات من الود مثلما كان بين الوزير وغيره من رجال القصر، ومن ثم فعل ما فعل من إيغار صدر المقتدر على ابن الفرات.

٢- موقف ابن الفرات من القوى المعارضة للحكم العباسي:

أ- يوسف بن أبي الساج: كان يوسف بن أبي الساج يتولى أعمال أرمينيا^(٥) وأذربيجان^(٦) أثناء وزارة ابن الفرات الأولى حيث بقي مواظباً على إرسال المال الذي كان يدفعه للخلافة العباسية، حتى سنة

(١) الصابئ، الوزراء: ٢٣٧.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ١٤ / ٥.

(٣) ابن طباطبا، الفخري: ٢٧٠.

(٤) يكنى بأبي الحسين، كان نصرانياً من صنائع ابن الفرات، له العديد من المؤلفات في اللغة والتاريخ. الصفدي، خليل بن ابيك، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، ط١، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م)، ١٩٥ / ٥.

(٥) أرمينيا: اسم لصقع عظيم واسع من جهة الشمال، سميت أرمينيا نسبةً إلى أرمينا بن لنطا بن أومر بن يافث بن نوح، وقيل إن أرمينيا مقسمة إلى قسمين الكبرى والصغرى، الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت)، ١ / ١٩١-١٩٢.

(٦) أذربيجان: تبلغ حدودها من برذعة مشرقاً إلى أرزنجان مغرباً، ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم والجيل، وهو أقليم واسع ومن أهم مدنها تبريز، واربيل ومرند وغيرها، وهو صقع جليل ومملكة عظيمة الغالب عليها الجبال، وفيها قلاع كثيرة وخيرات واسعة، وفواكه جمّة، ومياه وفيرة، وفي أهلها لين وحسن معاملة. الحموي، معجم البلدان، ١ / ١٥٦.

٣٠٤هـ/٩١٦م عندما عزل علي بن عيسى من الوزارة، وعيّن علي ابن الفرات مجدداً في الوزارة، فاستغل ابن أبي الساج كثرة تغير الوزراء، فأخر المال الذي كان يدفعه للخلافة، وأعلن لاحقاً العصيان على الخلافة العباسية وبدأ بالتوسع في المناطق المجاورة لولايته، مستغلاً عزل الوزير ابن عيسى ومصادرته، وادعى أن الوزير علي بن عيسى هو من أرسل له الري^(١)، فهاجمها وطرد عاملها منها، طلب الخليفة من الوزير ابن الفرات التحري عن مدى مصداقية ابن أبي الساج، فانكر علي بن عيسى الأمر، وقال: "لا بد للواء والعهد أن ينفذ مع خادم من خدم السلطان أو قائد من قواده وهؤلاء الخدم والقواد بين أيديكم سلوكهم عن ذلك، ولديوان الرسائل كاتب ينفذه يكتب العهود والولايات سلوكه هل كتب شيء"^(٢). وبعد أن كشف كذب ابن أبي الساج، بعث الخليفة قائده مؤنس لمحاربته، وبعد معارك عدة نجح مؤنس من الانتصار على ابن أبي الساج، فأُسِرَ وأدخل إلى بغداد مشهراً على جمل ثم حبس بدار الخلافة^(٣).

أدت الحروب بين الدولة العباسية والتمرد ابن أبي الساج إلى نقص الأموال في خزانة الدولة، بسبب صرفها على محاربته، واتهم الوزير ابن الفرات بأنه كاتب ابن أبي الساج وحثه على التمرد^(٤)، ويرجع ذلك إلى أنه طلب إلى الخليفة أن يقاطع على أعمال الري وما يليها على سبعمئة ألف دينار لبيت المال، سوى ما يحتاج الجند إليه، لكن المقتدر لم يجبه إلى طلبه بسبب إقدامه على التزوير، فاضطر إلى ترك الري والعودة إلى ولايته، وقبل إرسال حملة لمحاربته، اختلفت آراء كبار رجال الدولة حول موقفهم من ابن أبي الساج، فبينما رأى ابن الفرات الاستجابة لطلبه حقناً للدماء وتوفيراً للأموال، رأى فريق آخر استمرار المجابهة ليكون عبرة لغيره، ولتبقى الدولة مهابة في أعين نظرائه من العمال، وأخذ المقتدر بهذا الرأي، ولعل الأمر يرجع إلى تصفية حسابات قديمة بين كبار رجال الدولة خلال وزارة ابن الفرات الأولى، مما دفع الفريق المعارض لابن الفرات من اتهامه بالوقوف مع ابن أبي الساج^(٥)، لكن ابن الفرات قام بمعادة من وقف ضده ومنعهم من أكثر حوائجهم، وعزل من كان يلي الأعمال منهم عن بعض أعمالهم^(٦)، ومهما يكن من أمر فقد كانت هذه القضية أحد القضايا التي عزل ابن الفرات على إثرها من وزارته الثانية.

(١) الري: من مدن إقليم الجبل وهي عاصمته، تقع في القسم الشمالي الشرقي من الإقليم، وهي من أجمل البلدان. المقدسي، محمد بن أحمد المعروف بالبشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، (مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م) ٣٨٥.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ٤٧/٥، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦/٦٤٦.

(٣) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري: ١٤٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦/٦٤٦-٦٤٨.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ٢٩/٥.

(٦) ابن كثير، اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، (مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩١م)، ١٢٧/١١.

ب- **القوى المعارضة للدولة في بلاد فارس:** كان علي ابن الفرات يسعى الوقوف في وجه أطماع الزعماء في بلاد فارس الذين أرادوا الخروج على الدولة والتكؤ في إرسال الأموال إلى الحاضرة، ومن هؤلاء أبو طاهر ويعقوب ابنا محمد بن عمرو بن الليث الصفاري اللذين دخلا في نزاع مع سُبكري، من أجل زيادة أملاك إمارته غير مبال بسلطة الخلافة وهيبتها، وكان سُبكري يدين بالطاعة آنذاك للخلافة العباسية، فلما علم المقتدر بذلك أمر وزيره ابن الفرات بأن يتخذ ما يلزم في سبيل إعادة الأمور إلى ما كانت عليه ببلاد فارس، وتدعيم السلطة المركزية في تلك الأقاليم، وجه ابن الفرات مؤنساً الخادم على رأس جيش لمعارضة السبكري في مجابهته لعل بن الليث الصفاري، فيجتمع جيش الخلافة وجيش السبكري عند أرجان⁽¹⁾. فلما علم علي باجتماع الجيشين سار إليهم، غير أن الظروف لم تمشي في ركابه، فبينما هو كذلك جاءت الأنباء بأن الحسين بن حمدان قد سار بجيشه ليأخذ بعض أملاك إمارته، حتى يعاون جيش الخلافة الذي خرج لمجابهة علي الصفاري، فبعث من يحفظ له شيراز⁽²⁾.

سار علي بجيشه عبر طريق غير ممهد، فلحق الجيش ما لحق من الإعياء، فلما وصل وجد جيش الخلافة العباسية في انتظاره، فقاتله وألحق الهزيمة به وأخذ علي الصفاري أسيراً إلى بغداد، وإذ كان ابن الفرات قد نجح في كبح جماح أطماع علي بن الليث، يتمكنه من أسره وإدخاله إلى بغداد ليلاً⁽³⁾، وحفظ للسبكري سلطاته، فإن هذا القائد لم يشأ أن ينعم بالاستقرار بعد تخلصه من علي بن الليث في ممتلكاته، إذ انتقض على سلطة الدولة هو الآخر، وكان سبباً في حدوث خلاف كبير بين مؤنس الخادم وعلي بن الفرات، ذلك أن السبكري قد جعل من نفسه أذناً للواشين الذين سعوا بكاتبه المخلص له وللخلافة معاً، عبد الرحمن بن جعفر، فأخبروه أنه يكاتب الوزير سراً كي يأخذ بلاد فارس من السبكري، فاستبدل به آخر، فشجعه في الخروج على السلطة المركزية ببغداد فمنع المال عن دار الخلافة، فلما علم ابن الفرات بما عليه أمر سبكري، أرسل محمد بن جعفر على رأس جيش كبير استطاع إلحاق الهزيمة بسبكري واعتقاله وأسرته، لكنه كلف ميزانية الدولة أموال طائلة⁽⁴⁾، وكتب الرسائل إلى الخليفة بالفتح، فخلع على وزيره ابن الفرات الخلع، وولى الوزير محمد بن جعفر بلاد فارس، لم يهنأ محمد بن جعفر بولاية بلاد فارس طويلاً، حيث وافته المنية في عام ولايته سبع وتسعين ومائتين هجرية، وعلى الرغم من النجاحات العظيمة التي حققها ابن الفرات في

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦/٦٠٥-٦٠٦.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ٥/١٠-١١.

(3) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١٠/١٤٣.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ٥/٣٤.

الداخل والخارج خلال مدة وزارته الأولى، إلا أن العصر الذي تم توزيعه به، قد كان عصراً مليء بالوشايات سريع التقلبات، ومن ثم تجمعت عدة أسباب أدت إلى خلع من منصبه الوزاري.

٣- أسباب خلع آل الفرات من الوزارة والتنكيل بهم: تعددت الأسباب التي أدت إلى عزل ابن

الفرات، وهنا سيتم الحديث عن الأسباب التي دفعت الخليفة إلى عزله عن كل وزارة من وزارته، ففي وزارته الأولى فقد عزل ابن الفرات لأسباب عدة منها:

- إسرافه وبذخه في أموال الدولة، مما أدى إلى خلو خزانة الدولة من الأموال، وأفقر الدولة، حيث وجد في خزانة الدولة العباسية فائض كبير من المال، وصل إلى خمس عشرة ألف ألف دينار، حيث استغلها ابن الفرات في صالحه الخاص، حيث أخذ مبلغ سبعمئة ألف دينار من الخزانة العامة، كما أن دخله الخاص تضاعف أربع مرات بعد عامين من توليه منصب الوزارة، بم استصفاه واجتذبه من الأملاك والضياع^(١)، حتى أن يده وصلت إلى بيت مال الخاصة، فألحق أضراراً فادحة في مالية الدولة التي باتت تنن تحت وطأة الأزمات الاقتصادية المتتالية، وذلك لعمق الهوة التي أحدثها علي بن الفرات بمؤسسات الخلافة المالية^(٢)، حتى أن مؤنس كان من المحرضين على إقصاء ابن الفرات طمعاً في الأموال التي يمتلكها والتي فاقت ميزانية الدولة^(٣).
- تمرد العامة في بغداد علي سياسة ابن الفرات، فقاموا بأعمال السلب والنهب، وهاجموا منزل الوزير ابن الفرات وسلبوا محتوياته، وعجز الخليفة عن إخماد تلك الحركات، مما أغضب الخليفة على وزيره، ومما زاد من غضبه ما تردد عن اتصاله بالأعراب ليقوموا بنهب البلاد^(٤).
- وفي وزارته الثانية عزل ابن الفرات لأسباب عدة منها:
- ثورة الجند عليه في بغداد بسبب التأخر في دفع أرزاقهم، فطلب ابن الفرات من الخليفة المقتدر منحه ٢٠٠ ألف دينار، ويدفع هو مثلها لتهدة الجند من تمردهم، أثار هذا الأمر حفيظة الخليفة المقتدر، وخاصة أن ابن الفرات كان قد تكفل عند توليه وزارته الثانية بنفقات الخليفة وأسرته، فكانت حجة ابن الفرات التمرد الذي قاده ابن أبي الساج على الدولة، وكثرة نفقات الحرب، لكن هذه الحجة لم تقنع الخليفة فلم يستمع له ثم غضب عليه^(٥).

(١) الصابي، الوزراء: ١٥٧-١٥٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١٦٦/١٣؛ ابن خلدون، تاريخ العبر، ٤٥٩/٣.

(٢) القرطبي، صلة تاريخ الطبري: ٣٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠٥/١١.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ١٦/٥.

(٤) الصابي، الوزراء: ٥٦-٥٧.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ٢٧/٥-٣٠.

- ثورة يوسف ابن أبي الساج: وما أثير فيها من تورط الوزير ابن الفرات في إثارة ابن أبي الساج على الدولة، ومن ثم ما كلفته الحروب المرافقة للثورة م أموال طائلة انفقت على الجيش الخارج لحربه، وهذا ما أدى إلى قلة الأموال في الدولة وخزینتها، فعجز الوزير عن تدبير أمور البلاد. (1)
- وشاية بعض السعاة للإيقاع بابن الفرات، وذلك عندما تحدثوا عن مساعي ابن الفرات لإرسال الحسين بن حمدان أحد رجالات ابن المعتز لمحاربة المتمردين أبي الساج، فإذا وصل لعنده اتفق الجانبان على الثورة ضد الخليفة، وهذا ما توافق مع ما قاله ابن الفرات عندما عرض على الخليفة أن يأمر بإرسال ابن حمدان بالمسير لمقابلة ابن أبي الساج، فتأكد الخليفة بصحة هذه المعلومة، وفقد الثقة بوزيره، وقبض على ابن الفرات بعد عزله. (2)

أما في وزارته الثالثة والأخيرة فقد وجدت عدة أسباب ساهمت في عزله من منصبه وقتله مع ولده المحسن، ومن هذه الأسباب:

- تأييد حركة القرامطة في تمرد لها على الدولة العباسية: حيث كلفت هذه الحركة الدولة العباسية الكثير من المال والحروب للقضاء عليها، وأسهموا في إضعاف الخلافة، وتراجع هيبة الوزارة، وكانت التهمة لأي وزير يتم عزله تأييده لحركة القرامطة (3)، حتى أن ابن الفرات لقب لدى العامة بالقرمطي الكبير، ولعل هذا الاتهام يرجع إلى قيام القرامطة بشن هجوم على أحد قوافل الحج، وسرقوا ما فيها من أموال وسبوا الأطفال والنساء، فعمت الفوضى أرجاء بغداد على هذه الحادثة (4)، وحمل نصر الحاجب مسؤولية ما جرى لابن الفرات بحضور الخليفة، حيث قال له: "تقول أي شيء الرأي، بعد أن زعزعت أركان الدولة، وعرضتها للزوال، في الباطن بالميل مع كل عدو يظهر، ومكاتبته ومهادنته، وفي الظاهر بإبعادك مؤنساً ومن معه إلى الرقة وهم سيوف الدولة، فمن يدفع الآن هذا الرجل". (5)

(1) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري: ٢١٣-٢١٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٢٠٨/١٣.

(2) النويري، نهاية الأرب، ٥٢/٢٣.

(3) التتوخي، نشوار المحاضرة، ١٩/٤.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٢٠/١٣.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦٧٥/٦.

- تعسف المحسن بن علي بن الفرات في التعامل مع معارضي والده، حيث عمد إلى قتل عدد كبير من المساجين حتى بعد اعتقال والده وعزله، فقتل إبراهيم أخو الوزير علي بن عيسى ومؤنس خادم الوزير حامد بن العباس، فخرج أهالي هؤلاء للمطالبة بإقالة ابن الفرات، ومحاسبة ابنه المحسن.^(١)

على أية حال: فقد قبض على الوزير ابن الفرات بعد وزارته الثالثة (٣١١-٣١٢هـ / ٩٢٣-٩٢٤م)، وأودع السجن، لكن ابنه المحسن هرب واستتر عند خنزابة^(٢)، التي كانت تحمله كل يوم متكرراً بزي النساء إلى مقابر قريش، وتعيده إلى مأمنه، وصادف أنه في يوم تأخرت في العودة إلى منزلها، فتوجهت إلى امرأة صديقتها للمبيت عندها وطلبت منها أن تقرد لها موضعاً خاصاً، وبعد أن اطلعت المضيفة على حقيقة المحسن وأنه كان متهم بقتل زوجها، سعت به عند المقتدر بالله الذي طلب من نازوك^(٣) الركوب إلى الموضع المقصود والقبض عليه وجيء به ليلاً، وصور^(٤)، وبعد مقتل الوزير ابن الفرات وابنه تراجع نفوذ تلك الأسرة عن مسرح الأحداث السياسية، ولم يبق شخص بارز منهم إلا جعفر بن محمد بن الفرات، الذي عرضت عليه الوزارة فأبأها وتولاها عوضاً عنه ابنه الفضل، وفي عهده انقطعت موارد كثيرة عن خزينة الدولة ويرجع ذلك إلى سوء تقدير الوزير.

الخاتمة:

ومما سبق يمكن التوصل إلى النتائج الآتية:

- لعب بنو الفرات دوراً مهماً في الحياة السياسية في الدولة العباسية، حيث نجح هؤلاء إلى حد كبير في إدارة شؤون البلاد، وبالتالي إدارة قضايا الدولة بنجاح، أسهمت لاحقاً في وصولهم إلى منصب الوزارة، وأصبحوا بذلك المسير الرئيس لشؤون البلاد.
- لم تعجب سياسة ابن الفرات الداخلية وإصلاحاته الكثير من رجال الدولة والقصر، وخاصة من كانت لديه رغبة بتولي منصب الوزارة، أو ممن استاء من إصلاحاته التي حدثت من نفوذ الكثير

(١) الذهبي، محمد بن أحمد، العبر في خبر من غير، تح: محمد سعيد بن بليون زغلول، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م)، ٤٦٣/١.

(٢) خنزابة: جارية رومية الأصل، والدة الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات، الذي وزر لكافور الإخشيدي ثم المقتدر بالله، وهي حمة المحسن بن الفرات. البغدادي، تاريخ بغداد، ١٥٦/٨.

(٣) نازوك بن عبد الله صاحب شرطة بغداد، وولي إمرة دمشق، قتل في بغداد سنة (٣١٧هـ / ٩٢٩م). ابن عساكر، علي بن الحسن الشافعي، تاريخ مدينة دمشق، تح: عمر بن غرامة العمروي، ط١، (دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٧م)، ٣٧٩/٦١.

(٤) الصابي، الوزراء: ٦٤/٦٣، مسكويه، تجارب الأمم، ٧٢/٥-٧٥.

من رجال القصر، فاصطدم بالكثير منهم خلال توليه الوزارة، وجرت الكثير من المؤامرات والفتن التي قضت على مضجع الدولة، وأسهمت بشكل مباشر في الحد من سلطة منصب الوزير كمنصب سياسي وإداري، على حساب قوة الجند والعسكر.

- كان التنافس على أشده بين الوزراء والخاصة من رجالات القصر والكتاب والجيش، لتحقيق مصالحهم الخاصة، على حساب سياسة الدولة العليا، وهذا ما قاد إلى كثرة تغيير هؤلاء، وحبسهم بعد كل منصب يتولونه، حيث يعمل كل طرف جاهداً على التخلص منافسه، وقد نجحوا في ذلك في كل مرة يتم تعيينه وزيراً، حيث كان يتعرض للسجن والمصادرة، وبلغت حدتها في وزارته الثالثة عندما نجح أعدائه بإثارة الخليفة عليه، ففقد حياته نتيجة تلك المؤامرات التي حيكت ضده. مما سبق يمكن القول أنّ علي بن الفرات، نجح إلى حد كبير في سياسة البلاد، وتحقيق الاستقرار السياسي والاقتصادي، في مرحلة اتصفت بكثرة القلاقل والاضطرابات والفتن، نتيجة سيطرة القادة العسكريين الاتراك على مقاليد الأمور في الدولة العباسية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر الأولية:

- ١- ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (٦٣٠هـ - ١٢٣٣ م): الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي للطباعة، بيروت، ٢٠١٢ م.
- ٢- التتوخي، الحسن بن علي بن محمد (ت: ٣٨٤هـ / ٩٩٦م): الفرج بعد الشدة، تح: زكي مجاهد، د. م، القاهرة، ١٩٣٨م.
- ٣- التتوخي، المحسن بن علي (ت: ٣٨٤هـ / ٩٩٦م): نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تح: عبود الشالجي، ط ٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- ٤- ابن الجوزي (عبد الرحمن) (٥٩٧هـ / ١٢٠٠م): القرامطة، تح: محمد الصباغ، ط ٥، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٨١م.
- ٥- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢ م.
- ٦- الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٢ هـ / ١٢٢٩ م): معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.
- ٧- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت: ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م): تاريخ بغداد او مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

- ٨- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م): العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.
- ٩- ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت: ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م): وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.
- ١٠- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨ هـ / ١٣٧٤ م): سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.
- ١١- الذهبي، محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م): العبر في خبر من غبر، تح: محمد سعيد بن بسيني زغلول، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥ م.
- ١٢- السيوطي، عبد الرحمن (ت: ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م): تاريخ الخلفاء، ط ١، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ١٣- الصابئ، هلال بن المحسن (ت: ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م): الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تح: عبد الستار فراج، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٥٨م.
- ١٤- الصفدي، خليل بن ابيك (ت: ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م): الوافي بالوفيات، تح: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠ م.
- ١٥- الصولي، محمد بن يحيى (ت: ٣٣٥ هـ / ٩٤٧ م): أخبار الرازي بالله والمتقي لله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٣٣ هجرية، عني بنشره: ج. هيورث. د ن، ط ٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م.
- ١٦- الصولي: أخبار المقتدر بالله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة (٢٩٥-٣٢٠ هـ)، تح: خلف رشيد نعمان، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٩م.
- ١٧- ابن طباطبا، محمد بن علي (ت: ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د. ت.
- ١٨- الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م): تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.
- ١٩- ابن عساكر، علي بن الحسن الشافعي (ت: ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م): تاريخ مدينة دمشق، تح: عمر بن غرامة العمروي، ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٧ م.
- ٢٠- القرطبي، عريب بن سعيد (ت: ٣٦٩ هـ / ٩٧٩ م): صلة تاريخ الطبري، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩٧م.
- ٢١- ابن كثير، اسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م): البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩١ م.
- ٢٢- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب (ت: ٤٥٠ هـ / ١٩٥٨ م): أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، دم، ١٩٨٦م.
- ٢٣- المسعودي، علي بن الحسين (ت: ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: كمال حسن مرعي، ط ١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٩ م.
- ٢٤- مسكويه، أحمد بن محمد (ت: ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ت.
- المقدسي، محمد بن أحمد المعروف بالبشاري (ت: ٣٨١ هـ / ٩٩١ م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١ م.

- ٢٥- ابن النديم، محمد بن اسحاق (ت: ٣٨٥هـ / ٩٩٥ م): الفهرست، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
- ٢٦- النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.
- ٢٧- الهمذاني، محمد بن عبد الملك (ت: ٥٢١هـ / ١١٢٧م): تكملة تاريخ الطبري، تح: ألبرت يوسف كنعان، ط ١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م.

ثانياً: المراجع الثانوية:

- ١- متز، آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: عبد الهادي أبو ريده، مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٠م.

سياسة الولايات المتحدة الأمريكية حيال الدولة العثمانية (١٧٨٣-١٨٣٠)

The policy of the United States of America towards the Ottoman Empire (1783 – 1830)

أ. م. د. لمياء صفاء حسن*

Dr. Lamia Safaa Hassan*

الملخص:

تمتعت الدولة العثمانية بأهمية استراتيجية واقتصادية جعلتها محط أنظار القوى الدولية التي أخذت ترنو إليها منذ فترات طويلة، ومنذ أواخر القرن الثامن عشر وجهت الولايات المتحدة الأمريكية اهتمامها نحو الدولة العثمانية التي بدأت مكانتها بالتراجع منذ وقت ليس بالقليل. وعلى الرغم من أن المصالح الأمريكية في بدايتها كانت متواضعة، إلا أنها حققت حتى بدايات القرن العشرين تطوراً ملموساً.

يتطرق هذا البحث ولو بشكل موجز إلى بواكير التغلغل الأمريكي في الولايات العثمانية ١٧٨٣ - ١٨٣٠، إذ مثل التاريخ الأول نهاية الحرب الأهلية الأمريكية وانعكاسها على التوسع الخارجي، في حين مثل التاريخ الثاني عقد أول معاهدة رسمية بين البلدين وضعت أسس العلاقة بينهما. إذ أعطى هذا البحث تصوراً عاماً عن بدء النشاط الأمريكي منذ نهاية القرن الثامن عشر وتطوره حتى عام ١٨٣٠.

قسم البحث إلى ثلاثة محاور رئيسية، سلط المحور الأول الضوء على التغلغل الأمريكي في شمال أفريقيا، وتناول المحور الثاني بواكير العلاقات التجارية الأمريكية - العثمانية، وكيف استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تؤمن وجودها في البحر المتوسط عبر المعاهدات التي عقدتها مع قوى شمال أفريقيا، في حيت تناول المحور الثالث النشاط التبشيري الأمريكي في الدولة العثمانية، ووضع البنات الأولى للتغلغل الأمريكي فيها.

الكلمات المفتاحية: الولايات المتحدة الأمريكية، شمال أفريقيا، الدولة العثمانية.

Abstract:

The Ottoman Empire's strategic and economic importance attracted the attention of the international workforce, which had been yearning for it for a long time. Since the late eighteenth century, the United States had directed its attention towards the Ottoman state, which had begun

* وزارة التربية: المديرية العامة لتربية بغداد/ الكرخ الثانية - العراق.

Email: Laymaasfaa@gmail.com

* Ministry of Education: General Directorate of Education of Baghdad/ Karkh 2 – Iraq.

to decline not long ago. Although it was denied that its beginning was modest, it was not until the beginning of the twentieth century that it achieved tangible progress.

This research clearly identifies the beginnings of American penetration into the Ottoman Empire from 1783-1830, as since the end of the First Civil War since the first and its repercussions on foreign expansion, while the second history represented, the first conflicts were held between the various powers. This research gave an expected idea about the beginning of American activity at the end of the eighteenth century and continued until 1830.

The research was divided into three main axes. The first axis focused on the penetration of American light into North Africa, and the second axis focused on the beginnings of innovative - close relations, and how the innovative United States was able to secure its presence in the Mediterranean Sea through the treaties it concluded with the North African powers, in It dealt with the third axis of American missionary activity in the Austrian state, and laid the first building blocks for completing the work therein.

Keywords: United States of America, North Africa, Ottoman Empire.

أولاً: التغلغل الأمريكي في شمال أفريقيا:

سعى الأمريكيون بعد حرب الاستقلال الأمريكية (هي الحرب التي قام بها المستوطنون الأمريكيون في المستعمرات البريطانية الثلاث عشرة التابعة للتاج البريطاني بسبب الاستياء الذي شعر به سكان هذه المستعمرات من فرض بريطانيا ضرائب جديدة عليهم، (الطوابع والسكر)، وكذلك امتعاضهم من عدم تمثيلهم في البرلمان البريطاني، اندلع القتال في ١٩ نيسان ١٧٧٥، أعلن بعدها الأمريكيون في ٤ تموز ١٧٧٦، استقلالهم عن بريطانيا، وبعد معارك متبادلة بين الطرفين انتهت بالانتصار الأمريكي في يورك تاون Yorktown، في ١٩ تشرين الأول ١٧٨١، بمساعدة فرنسا للقوات الأمريكية وإعلانها الحرب على بريطانيا في حزيران ١٧٧٨، انتهت الحرب باعتراف بريطانيا باستقلال الولايات الثلاث عشرة في ٣ أيلول ١٧٨٣، التي شكلت بعد المصادقة على الدستور الأمريكي في أيلول ١٧٨٧، الولايات المتحدة الأمريكية (Morris, 1953: 110-130) (١٧٧٥-١٧٨٣) لتوسيع تجارتهم الخارجية وذلك من خلال فرض اقل الرسوم الكمركية عن طريق هيئاتهم الدبلوماسية الناشئة لعقد اتفاقيات دولية ضماناً لمصالحهم (عبد العزيز، ٢٠٠٦: ٧).

ومن الملاحظ أن أول الصعوبات التي واجهت الولايات المتحدة الأمريكية بعد الاستقلال هي التجارة، إذ قبل الثورة الأمريكية كانت معظم تجارتها بصورة طبيعية مع الدولة الأم، على وفق سياسة الاحتكار التي كانت تتبعها بريطانيا على تجارة مستعمراتها. وعندما حصلت هذه الولايات على استقلالها

عن بريطانيا أغلقت الأخيرة تجارتها معها، مما دفعها للبحث عن منافذ تجارية أخرى خارج حدودها (Bemis, 1970: 56)، لهذا دعت الإدارات الأميركية المتعاقبة إلى حرية الملاحة في البحار مثلما اتجهوا لعقد اتفاقات تجارية مع عدد من البلدان البحرية (Sprout, 1939: 30) مثل حوض البلطيق والشرق الأوسط والبحر المتوسط لتعوض فرصها التجارية الضائعة مع بريطانيا وفرنسا وأسبانيا (Bryson, 1977: 1).

تعود بداية ظهور السفن التجارية الأميركية في البحر المتوسط إلى القرن الثامن عشر، إذ كانت (٨٠ - ١٠٠) سفينة أميركية تصل حمولتها إلى (٢٠) ألف طن تصل سنوياً إلى البحر المتوسط (ايروين، ١٩٧٦: ٤٠)، إذ إن موانئ البحر المتوسط كانت توفر سوقاً لنحو سدس الصادرات الأميركية من الحبوب والدقيق، ونحو ربع الصادرات من السمك المملح والمجفف (الدوري، ٢٠٠٦: ١٦)، فضلاً عن المشروبات الكحولية والرز وخشب الصنوبر والبلوط وشمع النحل، أما الواردات الأميركية فقد تكونت من الملح والزيت والجلد المدبوغ (الإمام، ١٩٧٩: ٦٥).

والملاحظ إن التجار الأميركيين ركزوا اهتمامهم على شحن الأفيون، ذي المردود المالي الهائل (خاطر، ١٩٧٨: ٤٢٠)، من ميناء سميرنة (أزمير) العثماني إلى ميناء كانتون، الميناء الصيني الجنوبي، وعلى الرغم من طول المسافة إلا إن الأرباح كانت طائلة ومغرية (كان التجار الأميركيون يتسلمون (٤-٥) دولارات لقاء كل دولار ينفقونه في شراء الأفيون، وقد بلغ مجمل ما كان يصدره هؤلاء التجار في مستهل القرن التاسع عشر (٥) أطنان سنوياً، انظر: نوري عبد بخيت السامرائي، "من تاريخ الوجود الأمريكي في البحر المتوسط أواخر القرن الثامن عشر وأوائل = القرن التاسع عشر) (المؤرخ العربي، ١٩٨٣: ٢٢٤).

فرضت تلك التجارة الأميركية بناء علاقات مع القوى المحلية في شمال أفريقيا، إذ كان حكامها قد فرضوا ضرائب عالية على السفن التجارية الأجنبية، وزيادة على ذلك فإن أكبر خطر هدد التجار الأميركيين كان المقاومة البحرية (سمت المصادر الأجنبية ذلك النشاط البحري "قرصنة" وحذا حذوها عدد من الكتاب بمن فيهم بعض العرب، إلا أن هذا النشاط كان يمارس من قبل الحكومات الرسمية في شمال أفريقيا، وإن ممارسيها لم يكونوا يهاجمون سفن الدول التي لها علاقات حسنة ومعاهدات مع حكوماتهم، وإنهم ملتزمون بقواعد إنسانية ودينية لا تعيرها القرصنة العادية اهتماماً. وكانت أيضاً بمثابة احتجاج بعض

السكان المحليين على فقدانهم المداخل الهامة لحياتهم في التجارة والملاحة جراء منافسة القوى الأوروبية لهم) (السامرائي، ١٩٨٩: ٢٢٦) لسكان تلك القوى (بونداريفسكي، ١٩٧٥: ٢١٣).

إن فقدان بريطانيا لمستعمراتها في أميركا الشمالية دفعها إلى رفض إعطائها الحماية للسفن الأميركية في البحر المتوسط (بعد إعلان الثورة الأميركية مباشرة، سحبت الحكومة البريطانية الوثائق التي كانت تمنحها للسفن الأميركية في البحر المتوسط، وبذلك أصبحت سفن المستعمرة البريطانية السابقة عرضة لسفن رجال البحر المغاربة) (ايروين، ١٩٧٦: ٤٣)، الأمر الذي دفع بالأميركيين للبحث عن قوى أوروبية أخرى لحماية تجارتهم البحرية فيه (كان التجار الأميركيين من ألد المنافسين للتجار البريطانيين في تجارة الأفيون، لذا إن العديد من وكلاء شركة الليفانت البريطانية ١٥٨١-١٨٢٥ غالباً ما ساعدوا رجال البحر في شمال أفريقيا في هجماتهم على السفن التجارية الأميركية بغية القضاء على التجار المنافسين) (السامرائي، ١٩٨٩: ٢٢٣-٢٢٧)، لذا اتجهوا نحو الفرنسيين، ولكن الآخرين اثبتوا عدم قدرتهم على حماية التجارة الأميركية في البحر المتوسط، فاستقر رأي المسؤولين الأميركيين على عقد معاهدات تجارة وصداقة مع القوى الأفريقية المعنية (تكر، د ت، ١٠٦). فقرر الكونكرس الأمريكي في ٧ أيار ١٧٨٤ شمول قوى شمال أفريقيا ضمن قائمة الدول التي عازمت الولايات المتحدة الأميركية عقد معاهدات تجارية معها (Vucinich, 1965: 173)، فشكلت لجنة للقيام بهذا الغرض برئاسة جون آدمز (جون آدمز ١٧٣٥-١٨٢٦): سياسي أمريكي، خريج جامعة هارفرد بالقانون، أصبح احد أعضاء المؤتمر القاري الأول ١٧٧٤، عين في لجنة صياغة إعلان الاستقلال، عمل دبلوماسياً في فرنسا وهولندا وبريطانيا، وانتخب أول نائباً لرئيس للجمهورية في إدارة جورج واشنطن، وثاني رئيس أمريكي (١٧٩٧-١٨٠١)) (John Adams (Encyclopedia, 2006: DVD) وعضوية كل من توماس جيفرسون (توماس جيفرسون ١٧٤٣-١٨٢٦): سياسي أمريكي، خريج كلية القانون، أصبح احد أعضاء المؤتمر القاري الثاني، عين بلجنة صياغة إعلان الاستقلال، أصبح بعدها حاكم فرجينيا، عمل وزير بلاده في فرنسا، عين من قبل جورج واشنطن أول وزير خارجية أمريكي (١٧٩٠-١٧٩٣)، وأصبح نائباً للرئيس جون آدمز، فاز بانتخابات عام ١٨٠٠، ليكون الرئيس الأمريكي الثالث لدورتين متتاليتين، كانت أهم أعماله الرئاسية هي شراء لويزيانا وإقرار قانون منع تجارة الرقيق) (Encyclopedia, 2006: DVD) Thomas Jefferson وبنيامين فرانكلين (بنيامين فرانكلين ١٧٠٦-١٧٩٠): رجل دولة، وعالم وفيلسوف وناشر أمريكي، أسس جريدة بنسلفانيا، ومخترع لطباخ فرانكلين والنظارات ثنائية البؤرة، عارض قانون الطوابع وعمل على إبطاله، أصبح احد أعضاء المؤتمر القاري الثاني، وعضواً في لجنة صياغة إعلان

الاستقلال، شارك في التفاوض لعقد معاهدة السلام مع بريطانيا، وهو عضو في لجنة صياغة الدستور الأمريكي) (Benjamin Franklin (Encyclopedia, 2006: DVD)، وتم رصد (٨٠) ألف دولار للقيام بهذه المهمة (Bemis, 1970: 67).

فاتجهت النية أولا لعقد معاهدة تجارية مع سلطان المغرب في ٢٨ حزيران ١٧٨٦ (العقاد، ١٩٦٥، ٧٥) صادق الكونكرس عليها في تموز ١٧٨٧، نصت على تسليم مبلغ عشرة آلاف دولار لسلطان المغرب لقاء عدم عرقلة التجارة الأمريكية (الشيخ، ١٩٧٩: ٢١٦؛ Bailey, 1925: 65)، وعلى التمثيل القنصلي بين البلدين وحماية السفن الأمريكية من أي هجوم تتعرض له بالشواطئ المغربية (Hurewitz, 1965: 101).

كما تم فتح باب المفاوضات مع حكام الجزائر، لاسيما إنها كانت ذات نفوذ واسع في شمال أفريقيا في ذلك الوقت، واعتبر الأميركيون انه بالأمكان استغلال نفوذها للتأثير على تونس وطرابلس الغرب من أجل عقد معاهدات معها (السبع، ٢٠٠٦: ١١)، وبعد مفاوضات مطولة وتدخل فرنسي عقدت معاهدة تجارة وصداقة بين الطرفين في ٥ أيلول عام ١٧٩٥ (Miller, 1933: 304 - 312)، تضمنت بنوداً مالية ودبلوماسية وقضائية (خصصت الحكومة الأمريكية (٨٠٠) ألف دولار من أجل عقد المعاهدة وتخليص المحتجزين، وكانت الحصيلة النهائية للمبالغ التي تم إنفاقها لعقد المعاهدة قاربت المليون دولار) (Ross, 1939: 422 - 423)، كذلك تعهد الداي بتقديم مساعدته للحكومة الأمريكية من أجل تسهيل مهمة عقد المعاهدات مع قوى شمال أفريقيا الأخرى، تونس وطرابلس الغرب (السامرائي، ١٩٨٩: ٢٢٨).

وكانت طرابلس الغرب القوة الثالثة في الشمال الأفريقي التي وقعت على معاهدة تجارة وملاحة مع الولايات المتحدة الأمريكية في تشرين الثاني عام ١٧٩٦ (Hurewitz, 1965: 110)، بمواد شبيهة بمعاهدة الجزائر، وتبع ذلك مفاوضات مع باي تونس تمخضت عن عقد معاهدة في ٢٨ آب عام ١٧٩٧ (Hurewitz, 1965: 101)، وقد أجريت بعض التعديلات عليها من مجلس الشيوخ الأمريكي قبل إقرارها عام ١٧٩٩ (Bryson, 1977: 4). لم تكن تختلف في مضمونها عن المعاهدات السابقة التي عقدتها الحكومة الأمريكية مع مراكش والجزائر وطرابلس الغرب (السبع، ٢٠٠٦: ١٢).

وهكذا يمكن القول إن الحكومة الأمريكية قدمت التنازلات المالية للشمال الأفريقي جراء غياب قواه البحرية في مياه البحر المتوسط، لهذا اتجهت نية الأميركيين لتواجد أسطول حربي في شواطئه لإحكام السيطرة الاقتصادية (السامرائي، ١٩٨٩: ٢٢٨)، إذ لم تكن الحكومة الأمريكية جادة في دفع مخصصات

قوى الشمال الأفريقي من الضريبة السنوية التي عدها بعض المسؤولين الأميركيين إهانة للكبرياء الأمريكي (إبراهيم، ١٩٨٢: ٩٢؛ السبع، ٢٠٠٦: ٣٣٠)، فمثلاً بنى الرئيس الأمريكي جيفرسون سياسته على إن القوة وليس المال هي التي تحمي السلام في البحر المتوسط (Sprout, 1939: 56)، فأرسل أربع سفن حربية إلى شواطئ البحر المتوسط لاستعراض القوة (ايروين، ١٩٧٦: ١٤٩)، لتأكيد عدم خرق الاتفاقيات المعقودة مع قوى الشمال الأفريقي، في هذه الأثناء وجه يوسف القرملي (حكم القرمليون طرابلس الغرب منذ عام ١٧١١، عندما استغل أمد القرملي، مؤسس الأسرة القرملية، غياب حاكم طرابلس العثماني وأعلن نفسه حاكماً عليها، تمكن بعدها من إرضاء السلطان العثماني عن طريق إرسال الهدايا من أجل إقرار منصبه، واستطاع الحصول منه على فرمان سلطاني ثبته فيه في الحكم في طرابلس، على أن يكون وراثياً في أسرته، ومنحه لقب (بيار باري) (زيادة، ١٩٥٨: ١٥) (١٧٩٦-١٨٣٢) أوامره للاستيلاء على السفن التجارية الأمريكية في البحر المتوسط (Bryson, 1977: 5) بسبب تأخر الحكومة الأمريكية في دفع الأموال المنصوص عليها في معاهدة عام ١٧٩٦ (Bailey, 1925: 101). جرت الحرب بين الطرفين بين عامي (١٨٠٢ - ١٨٠٥)، تخللتها محاولات أميركية لإثارة صراع بين الأخوين يوسف وأحمد القرملي، عن طريق تقديم مساعدتهم للأخير ضد أخيه، وتوصل القنصل الأمريكي في تونس وليم ايتون (وليم ايتون (١٧٦٤-١٨١١): ضابط ودبلوماسي أمريكي، اشترك في حرب الاستقلال الأمريكية، والحروب الهندية بأوهايو، عين عام ١٧٩٨ قنصلاً لبلاده في تونس) (Encyclopedia, 2006: DVD) William Eaton إلى عقد معاهدة معه في ٢٣ شباط عام ١٨٠٥، نصت على أن تلتزم الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم المساعدة العسكرية والمالية له بغية جعله حاكماً لطرابلس الغرب (السبع، ٢٠٠٦: ١٣)، وذلك بإمداده بالمال والمؤن والقوات العسكرية، لقاء تعهده بإطلاق سراح المحتجزين الأمريكيين لدى يوسف القرملي، وتم تعيين ايتون قائداً للحملة التي جمعت قواتها من قبل المرتزقة في مصر (خاطر، ١٩٧٨: ٤٢٣).

وعلى الرغم من الاستعداد الواضح للحكومة الأمريكية لخوض غمار الحرب، إلا أنها وجهت في ٣ آذار عام ١٨٠٥ تعليماتها إلى ممثلها في تونس بأن لا يكون أحمد القرملي العائق في تحقيق الصلح إذا قبله باشا طرابلس يوسف القرملي (إبراهيم، ١٩٨٢: ٣٤٠-٣٤١). ومن الواضح أن عدم موافقة باشا طرابلس على الصلح هو الذي دفع ايتون ومن معه من قوات المرتزقة إلى مهاجمة مدينة درنة من البر بإسناد مدفعية الأسطول الأمريكي من البحر، واستسلمت المدينة في ٢٧ نيسان عام ١٨٠٥ (تم تخليد مشاركة القوات المسلحة الأمريكية في حملة الغزو هذه في السطور الأولى للنشيد الرسمي لمشاة البحرية

الأميركية، " من هضاب مونتسيوما إلى سواحل طرابلس، في الجو والبر والبحر، خضنا معارك الوطن" (بونداريفسكي، ١٩٧٥: ٢١٦)، وقد أثر هذا الانتصار على موقف يوسف القرملي ليوافق بعده على عقد اتفاقية الصلح مع الولايات المتحدة الأميركية في ٤ حزيران من العام نفسه، نصت على دفع الحكومة الأميركية (٦٠) ألف دولار فدية عن المحتجزين الأميركيين (Bailey, 1925: 101)، وأن تمتنع عن تقديم الدعم لأحمد القرملي (Hurewitz, 1965: 157)، بدأ بعدها الأسطول بالتوجه غرباً نحو تونس، التي أُجبرت على توقيع شروط السلام تحت تأثير السفن الحربية الأميركية بعد أن نقضت تونس معاهدتها السابقة مع الولايات المتحدة الأميركية، عن طريق التعرض للسفن التجارية الأميركية في البحر المتوسط (السبع، ٢٠٠٦، ١٤).

واللافت للنظر إن تلك المعاهدات والاتفاقيات، ولاسيما منها التي وقعت بعد معارك حربية، لم تدم طويلاً فقد حاول حكام الجزائر وتونس وطرابلس الغرب التوصل منها إذ ما أن انشغل الأميركيين بالحرب مع بريطانيا (بسبب عدم التزام الولايات المتحدة الأميركية بالحياد والحظر التجاري الذي كان مفروضاً على فرنسا من قبل بريطانيا، لذلك ولغيره من الأسباب أعلنت بريطانيا الحرب على الولايات المتحدة الأميركية عام ١٨١٢، تمكنت فيها القوات البريطانية من احتلال واشنطن وإحراق البيت الأبيض، انتهت الحرب في عقد معاهدة الصلح في مدينة كينت البلجيكية في ٢٤ كانون الأول عام ١٨١٤، أقرها مجلس الشيوخ في ١٥ شباط ١٨١٥) (Beirn, 1949: 36-92) (١٨١٢ - ١٨١٤) إلا وجددوا هجماتهم على السفن الأميركية (إبراهيم، ١٩٨٢: ٣٤٢)، لكن الأميركيين سرعان ما عادوا في ٢٣ شباط ١٨١٥، أي بعد إبرام معاهدة الصلح مع بريطانيا، عن طريق إرسالهم أسطولاً حربياً من بوسطن بقيادة الكومودور ولیم بينبرج (١) ولیم بينبرج (١٧٧٤-١٨٣٣): ضابط بحري أميركي، كان قائداً للفرقاطة الأميركية جورج واشنطن التي اعتبرت أول سفينة حربية أميركية تدخل الموانئ العثمانية، عين عام ١٨٠١ مساعداً لقائد الأسطول الأميركي في البحر المتوسط، أُسر أثناء العمليات العسكرية الأميركية ضد طرابلس (١٨٠٢-١٨٠٥) ومن معه على متن السفينة الأميركية "فيلادلفيا" عام ١٨٠٤ لمدة تسعة عشر شهراً، وفي عام ١٨١٩ أصبح قائداً للأسطول الأميركي في البحر المتوسط (Encyclopedia, 2006: DVD) William Bainbridge وواحد آخر من نيويورك بقيادة ستيفن ديكاور (ستيفن ديكاور (١٧٧٩-١٨٢٠): ضابط بحري أميركي اشتهر في حرب طرابلس وحرب الجزائر ١٨١٥، ألزم حينها داي الجزائر بتوقيع معاهدة بين البلدين أنهت بموجبها دفع الحكومة الأميركية الضرائب التي كانت تدفعها إلى حكام الجزائر)) (Stephen Decatur (Encyclopedia, 2006: DVD) اللذين استوليا حال وصولهما

السواحل الجزائرية على جميع السفن الجزائرية فيها، وفي ١٧ تموز عام ١٨١٥ تمكنت القوات البحرية الأمريكية من القضاء على قوات "أمير البحر" الجزائري المعروف باسم الرئيس حميدو (هو من رؤساء البحر الجزائريين، له دور فاعل في بناء الأسطول الجزائري، حتى قدر بحارته عام ١٨١٥، ثلاثين ألف بحار) (العقاد، ١٩٦٥: ٥٠) وتم الاستيلاء على سفنه البالغ عددها (٤٦) سفينة (السامرائي، ١٩٨٩: ٢٣١)، اضطر بعدها داي الجزائر إلى توقيع معاهدة السلام مع الحكومة الأمريكية في ٣٠ حزيران عام ١٨١٥ (Miller, 1933: 585 - 591)، نصت على عدم دفع الأميركيين أي ضريبة سنوية للجزائر ابتداءً من ذلك التاريخ وإعطائهم امتيازات الدولة ذات الرعاية في الجزائر. وكانت المعاهدة على درجة كبيرة من التعسف حتى إن داي الجزائر عمر أغا (١٨١٥-١٨١٧) طلب من ممثل الولايات المتحدة الأمريكية أن يعطيه شهادة تقرر على إنه كان مجبراً على توقيع هذه المعاهدة تحت تهديد المدافع الأمريكية (شمالي، ٢٠٠٦)، وبعد التوقيع على هذه المعاهدة لم يحدث بين الولايات المتحدة الأمريكية والجزائر أية حادثة تذكر، ولعل ذلك يعود إلى ازدياد تدهور الأوضاع الداخلية للجزائر، وزيادة النفوذ العسكري الأمريكي في المنطقة (الإمام، ١٩٧٩: ٧٦)، كما أجبرت الحكومة الأمريكية عن طريق أساطيلها الحربية تونس وطرابلس الغرب على توقيع معاهدات مماثلة لما جرى مع الجزائر (Bryson, 1977: 7).

والملاحظ أيضاً أن الأسطول الأمريكي بقي في البحر المتوسط بشكل دائم منذ عام ١٨٢٠ (Sprout, 1939: 95)، عن طريق إنشاء عمارة البحر المتوسط، وتم الحصول على موافقة أسبانيا من أجل استخدام ميناء ماون (جزر البليار) كقاعدة عسكرية لهذه العمارة (إبراهيم، ١٩٨٢: ٣٤٢)، وقاموا بتنظيم دوريات منتظمة في مياه البحر المتوسط، وعدّوها رمزاً لقوة الولايات المتحدة الأمريكية وقدرتها فيه (السبع، ٢٠٠٦: ٢١).

وإذا كانت شواطئ الشمال الأفريقي قد جلبت اهتمام الأميركيين اقتصادياً لحد إرسال قوة بحرية دائمة فمن المؤكد إن الموانئ العثمانية حظيت باهتمام أميركي متزايد جراء تنامي الصلات التجارية بينهما.

ثانياً: بواكير العلاقات التجارية الأميركية - العثمانية:

جلبت أسواق الدولة العثمانية اهتمام التجار الأميركيين منذ نهاية القرن الثامن عشر، فتشير الدلائل إلى وجود بعض السلع العثمانية (مارس تجار بوسطن التجارة مع الدولة العثمانية منذ القرن الثامن عشر،

وكان قسم منهم مستقرين في سميرنة، وتم عرض تين سميرنة للبيع في بوسطن مع بدايات عام ١٧٨٥، فضلاً عن سلع عثمانية أخرى مثل زيت الزيتون والجوز (Trask, 1970: 4) في بوسطن منذ عام ١٧٨٥ (لم تشر سجلات مصلحة المالية الأميركية في كشوفاتها للاستيراد والتصدير، إلى دخول سلع عثمانية إلا في عام ١٨٠٠، ولم يأت ذكرها تحت بند الدولة العثمانية، إنما أجملت تحت بند من بنود تجارة الصين والهند الشرقية، وتظهر تلك الكشوفات للمرة الأولى عام ١٨٠٣ ببند مستقل عنوانه، "سلع تركيا والشرق ومصر") (Field, 1969: 113)، ويعود تأخر تطور المصالح الأميركية في الدولة العثمانية إلى حادثة التاريخ الأميركي بظهورها دولة مستقلة عن بريطانيا مع نهاية القرن الثامن عشر، والبعد الجغرافي بين البلدين وتأخر تطور المواصلات آنذاك بدرجة تسمح بالتقليل من تأثير هذا البعد، فضلاً عن الصعوبات التي واجهت التجار الأميركيين في البحر المتوسط من قبل قوى شمال أفريقيا، والسبب الأهم هو منافسة التجار الأوروبيين لاسيما التجار الفرنسيين والبريطانيين على أسواق الدولة العثمانية وعدم سماحهم بظهور منافس جديد يهدد تجارتهم معها (Sousa, 1933: 128).

بدأ الاهتمام الأميركي بالدولة العثمانية، قبل الاستقلال عن بريطانيا، متمثلاً بتجارة الأفيون، الذي يُجمع من وكلاء التجار الأميركيين في سميرنة والمناطق المجاورة لها، يشحن بعدها إلى الولايات المتحدة الأميركية ويعاد تصدير الجزء الأكبر منه إلى الصين (السامرائي، ١٩٨٩: ٢٢٥) لذلك كان ميناء سميرنة المركز التجاري الرئيس للتجارة الأميركية مع الدولة العثمانية (Bryson, 1977: 9)، ففي عام ١٨٠٥ وصل عدد السفن الأميركية التي وصلت هذا الميناء إلى ست سفن تجارية ارتفعت إلى أربع وعشرين سفينة تجارية عام ١٨٠٩، إذ بدأ تجار فيلادلفيا وبالتيمور الاهتمام بتجارة الدولة العثمانية، لاسيما تجارة الأفيون (Howard, 1976: 292).

تمثل توسع النشاط الاقتصادي الأميركي في الدولة العثمانية بتأسيس أول بيت تجاري لهم في سميرنة عام ١٨١١ (Issawi, 1984: 109)، عندما أفتتح البيت التجاري الأميركي وودامس ووافلي American Commercial House Of Woodams & Offley الذي مقره في بوسطن، أول فرع له في المدينة (Trask, 1970: 4)، وتمكن ديفيد وافي David Offley مدير الفرع، ونائبه جارلس رايند Charles Rhind من إدارة اكبر عملية تجارية خارجية، عندما شحنا مئة طن من الأفيون من ميناء سميرنة إلى ميناء كانتون الصيني (Morison, 1961: 225)، ولم تقتصر العمليات التجارية للبيت التجاري الأميركي على الأفيون فقط، بل امتد نطاق سفنه ليشمل نقل الصوف الخام والسجاد والصمغ

وزيت الزيتون والزبيب والجلود غير المدبوعة والأخشاب والتبغ والسكر (Issawi, 1984: 78)، فضلاً عن تصديرها المنتجات الأميركية مثل المنتجات القطنية والمشروبات الكحولية (Finnie, 1967: 32).

أثرت ظروف عدم الاستقرار التي تولدت نتيجة حروب نابليون (وهي سلسلة من الحروب البرية والبحرية جرت بين فرنسا ودول أوروبا عند اعتلاء نابليون بونابارت الحكم في فرنسا، بصورة خاصة مع بريطانيا التي انتهت بمعركة واترلو عام ١٨١٥) (Hill, 1949: 15 - 60) والحرب الأميركية البريطانية (١٨١٢-١٨١٤) على تطور وازدهار التجارة الأميركية مع الدولة العثمانية خلال هذه الحقبة، إلا أنه بعد عودة السلام مباشرة استأنفت الولايات المتحدة الأميركية علاقاتها التجارية مع الدولة العثمانية (Bryson, 1977: 17). في هذه الأثناء نُقل الميناء الرئيسي لإدارة تجارة البحر المتوسط من نيويورك إلى بوسطن، ونجح البيت التجاري البوسطني جيمس وتوماس بيركنز James & Thomas Perkins House في إدارة التجارة مع الدولة العثمانية، وانضمت في عام ١٨١٦ إلى شركة أوفلي شركة أخرى هي شركة بيركنز برنرز من بوسطن Perkins Brothers Of Boston (انضمت عام ١٨٢١ شركة لانجدون من بوسطن Langdon & Co.، و شركة اسفارينيس Issaverdens & Co. من بالتيمور إلى شركة أوفلي وبيركنز في التجارة مع الدولة العثمانية) (Finnie, 1967: 30).

انعكس نمو التجارة الأميركية مع سميرنة باحتلالها المرتبة الرابعة عام ١٨٢٠، وفي أحيان كثيرة المرتبة الثالثة بين الدول التي لها علاقة وطيدة مع سميرنة، وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا والنمسا (Issawi, 1984: 109)، وهذا ما يؤكد عدد السفن الأميركية التي كانت تتاجر سنوياً مع سميرنة، فما بين عامي (١٨١١ - ١٨٢٠) كان هناك على الأقل ثلاث عشرة سفينة تجارية أميركية تصل سنوياً إلى ميناء سميرنة (Howard, 1974: 7)، وإنه لغاية عام ١٨٣٠ كانت هناك على الأقل سبع وعشرون سفينة تجارية أميركية و ثلاثمئة رجل يعملون بالتجارة بين ميناء سميرنة ومختلف الموانئ الأميركية (Sousa, 1933: 129)، كما كانت معظم تجارة الأفيون العثمانية في هذه المرحلة تحت سيطرة التجار الأميركيين (Spain, 1975: 295)، فضلاً عن إن العديد من السفن الأميركية التي تتردد على ميناء سميرنة قامت بنقل البضائع التجارية بين الموانئ العثمانية الأخرى وبريطانيا (إبراهيم، ١٩٨٢: ٩٢).

وعلى الرغم من نمو التجارة الأميركية مع الدولة العثمانية، إلا أنه كانت هناك العديد من العقبات التي أثرت في توسع التجارة بين البلدين، منها بصورة خاصة عدم وجود معاهدة تجارية بين البلدين تعمل على تسهيل العمليات التجارية بينهما إذ إن التجار الأميركيين اعتمدوا في تجارتهم مع الدولة العثمانية في

هذه الآونة على الإمتيازات التي قدمتها لهم شركة الليفانت البريطانية (احتكرت شركة الليفانت البريطانية منذ تأسيسها التجارة مع الدولة العثمانية، وحصلت على دعم الحكومة البريطانية بالكامل، وانه لأكثر من قرنين على إنشائها كان جميع الدبلوماسيين البريطانيين في الدولة العثمانية يعملون لصالح الشركة، إلا انه مع مطلع عام ١٨٢٥ تم حل الشركة عن طريق قرار صدر من البرلمان البريطاني لإفساح المجال أمام جميع التجار البريطانيين للمتاجرة بحرية مع الدولة العثمانية) (British (Hurewitz, 1965: 10-15) Levant Co. ، وكانوا خاضعين لحماية القنصلية البريطانية بشكل فعلي (Finnie, 1967: 26)، ومقابل هذه الإمتيازات التي كانت تقدمها لهم شركة الليفانت البريطانية كان على التجار الأميركيين دفع الرسوم الكمركية نفسها التي كانت مفروضة على البضائع البريطانية فضلاً عن أجور الحماية التي كانوا يدفعونها إلى القنصل البريطاني (في مقابل هذه الحماية كان التجار الأميركيون يدفعون ما معدله (١- ١.٥٪) من قيمة البضائع الأميركية الداخلة والخارجة إلى الموانئ العثمانية وقد بلغ مجمل ما دفعه التجار الأميركيين نظير = هذه الحماية بين عامي (١٧٩٩ - ١٨١١) ما يقارب (٦٥.٥٠٠ دولار) (Bryson, 1977: 26; Koprulu, 1987: 930).

وبحلول عام ١٨١١، وجراء المنافسة التي أظهرها التجار الأميركيين في تجارة الأفيون العثماني مع شركة الليفانت البريطانية، سحبت الأخيرة الحماية والإمتيازات التي كانت تقدمها إليهم في الدولة العثمانية، مما أدى إلى رفع الحكومة العثمانية قيمة الرسوم الكمركية المفروضة على الصادرات والواردات إلى الضعف (في ثمانينيات القرن الثامن عشر أصدرت الحكومة العثمانية قراراً يلزم تجار الدول الأجنبية التي لا تخضع للإمتيازات الأجنبية، بدفع ٥٪ رسوم كمركية من قيمة البضاعة بينما كان تجار الدول التي تخضع للإمتياز وفق المعاهدات التجارية الخاصة يدفعون ٣٪ فقط رسوم كمركية عن بضائعهم) (Paullin, 1965: 57)، وقد رفض ديفيد اوفلي، مدير فرع شركة وودامز واوفلي، أن يدفع قيمة الرسوم المضاعفة، لذا استولت السلطات العثمانية على إحدى السفن التابعة لشركته في ميناء سميرنة مما دفع اوفلي للذهاب إلى اسطنبول (إبراهيم، ١٩٨٢: ٩٣)، ومن خلال علاقاته الشخصية مع بعض المسؤولين العثمانيين استطاع اوفلي مقابلة السلطان العثماني محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩) حصل خلال اللقاء على اتفاق خاص بجعل الرسوم الكمركية على التجارة الأميركية على قدم المساواة مع الرسوم الكمركية المفروضة على التجارة الفرنسية، يدفع بموجبه التجار الأميركيين نسبة ٣٪ عن الصادرات العثمانية مضافاً إليها ٠.١٥٪ أخرى كخدمات (رايت، ١٩٨٧: ٥٨)، وقد استمر هذا الاتفاق ساري المفعول حتى تم أبرام معاهدة عام ١٨٣٠ بين البلدين (Field, 1969: 118)، وعلى الرغم من هذا الاتفاق الذي قام به

أوفلي إلا إن المواطنين الأميركيين كانوا مضطرين للخضوع للحماية القنصلية البريطانية، إذ بلغت مجموع المدفوعات السنوية التي دفعوها إلى القنصلية البريطانية ما يقارب (٤-٥) آلاف دولار، لذا فرض هذا الواقع على جميع المواطنين الأميركيين مطالبة حكومتهم لإقامة علاقات تجارية وقنصلية مع الدولة العثمانية لإنهاء مرحلة من التبعية للحماية البريطانية (Sousa, 1933: 129).

على ضوء ذلك تتطور العلاقات، ذكر اسم الدولة العثمانية عام ١٧٨٦ ضمن قائمة الدول التي يمكن التفاوض معها من أجل عقد معاهدات تجارية في أثناء المفاوضات التي كانت تقوم بها اللجنة الخاصة التي كلفت من قبل الكونكرس الأميركي عام ١٧٨٤ لعقد معاهدة مع الجزائر (Vucinich, 1965: 173)، كان الغرض منها استغلال نفوذ الدولة العثمانية للتأثير على الجزائر في أثناء مفاوضاتها معها لعقد المعاهدة باعتبار إن الجزائر كانت تابعة من الناحية الرسمية للدولة العثمانية (Koprulu, 1987: 927)، إلا إن اللجنة عدلت عن هذه الفكرة بسبب ارتفاع تكلفتها المادية فضلاً عن إدراك اللجنة أن السيادة العثمانية على الجزائر لم تكن إلا أمراً شكلياً، وقد خالف داي الجزائر الحكومة العثمانية أكثر من مرة حين تطلبت مصلحته التخلي عنها (إبراهيم، ١٩٨٢: ٣١٦).

إلا إن الحاجة المتزايدة لحماية المواطنين الأميركيين في الدولة العثمانية، نتيجة ازدياد أعداد التجار الأميركيين المتواجدين فيها بعد التوسع الملحوظ للتجارة الأميركية مع ميناء سميرنة العثماني، والجهود التي بذلها السفير الأميركي في لندن روفوس كنك (روفوس كنك (١٧٧٥-١٨٢٧): سياسي ودبلوماسي أميركي، واحد أعضاء المؤتمر القاري (١٧٨٤-١٧٨٧)، ومن الأعضاء الأوائل لمجلس الشيوخ الأميركي (١٧٨٩-١٨١٣)، عمل سفيراً لبلاده في بريطانيا (١٧٩٦-١٨٠٣) و (١٨٢٥-١٨٢٦) Rufus King (Encyclopedia, 2006: DVD) بإقناع الرئيس الأميركي جون آدمز بإنشاء علاقات صداقة وتجارة مع الدولة العثمانية (Bryson, 1977: 18)، لاسيما بعد المفاوضات الاستطلاعية التي قام بها روفوس كنك عام ١٧٩٧ مع السفير العثماني في لندن في أمر عقد اتفاق تجاري بين البلدين، التي بين خلالها السفير العثماني لنظيره الأميركي مقدار الفائدة التي سوف يحصل عليها التجار الأميركيين في الدولة العثمانية بعد أبرام الاتفاق (السبع، ٢٠٠٦، ٣٠)، مما دفع الحكومة الأميركية عام ١٧٩٩ إلى الشروع في بدء مفاوضاتها مع الحكومة العثمانية من أجل عقد معاهدة تنظم أسس العلاقات التجارية والقنصلية بين البلدين، وتم تعيين وليم سميث William Smith السفير الأميركي في البرتغال ليقوم بهذه المهمة (Trask, 1970: 5)، إلا إن الوضع الدولي غير المشجع، بسبب أحداث الثورة الفرنسية

وغزو نابليون لمصر أدت إلى تخلي الحكومة الأميركية عن بعثة سمث ومن ثم فشل مهمته حتى قبل البدء بها (Howard, 1974: 7).

أبلغت أخبار سفارة سمث إلى السلطات العثمانية في ٩ تشرين الثاني عام ١٨٠٠ عن طريق الكابتن البحري الأميركي وليم بينبرج، قائد الفرقاطة الأميركية جورج واشنطن George Washington الذي أجبره داي الجزائر على حمل هدايا الداي الموجهة للسلطان العثماني سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧) في أثناء تسليم بينبرج الضريبة السنوية لداي الجزائر (على الرغم من الصلاحيات السياسية التي كان يتمتع بها داي الجزائر، إلا أن شرعيته بقيت مرهونة بإقرار السلطان العثماني لحكمه، لهذا استمر الداي بإرسال الهدايا ورسائل الولاء إلى السلطان العثماني) (Morison, 1961: 212)، التي كانت مفروضة على الحكومة الأميركية بموجب معاهدة عام ١٧٩٥ المبرمة بين البلدين (تكر، د ت، ٣٨)، وفي أثناء اللقاء الذي تم بين القبودان باشا (مسؤول شؤون البحرية) والكابتن بينبرج، أبلغه بينبرج بأن الرئيس الأميركي جون آدمز عين وزيراً للتفاوض مع الحكومة العثمانية من أجل عقد معاهدة تجارية بين البلدين، وأنه قد يصل إلى اسطنبول في غضون ستة أشهر (Field, 1969: 116)، وقد أعطى القبودان باشا رسالة إلى بينبرج من أجل تسليمها إلى وليم سميث، المزمع إرساله للتفاوض حول عقد المعاهدة، بين فيها استعداد الحكومة العثمانية لعقد معاهدة بين البلدين، وأنه سوف يقوم بتقديم الحماية إلى الوزير الأميركي في حالة وصوله إلى الدولة العثمانية من أجل بدء المفاوضات (Koprulu, 1987: 927).

وقد أسهمت هذه الزيارة غير المتوقعة للفرقاطة الأميركية، التي أثارت إعجاب المسؤولين العثمانيين لضخامتها، في جعل الولايات المتحدة الأميركية موضع اهتمام السلطات العثمانية بعد أن كانت غير معروفة سابقاً عندهم (Morison, 1961: 212).

دفع النشاط المتنامي للتجارة الأميركية مع الدولة العثمانية، الرئيس الأميركي توماس جيفرسون في نيسان عام ١٨٠٢ إلى تعيين وليم ستيوارت William Stewart برتبة نائب قنصل أميركي في سميرنة (Trask, 1970: 4)، غير إن ستيوارت حال وصوله إلى الدولة العثمانية تم تجاهله من قبل السلطات العثمانية بسبب عدم وجود معاهدة بين الطرفين تنص على هذا التعيين، لذا لم تكن لستيوارت أي سلطة قضائية أو تمثيل رسمي للتعامل مع المسؤولين العثمانيين (Howard, 1976: 292)، مما دفع ستيوارت إلى مغادرة سميرنة في تشرين الثاني عام ١٨٠٣، وتكررت محاولات الإدارة الأميركية عام ١٨٠٨ في تعيين سلون بالتي مور Sloane Baltimore للمنصب نفسه في سميرنة، إلا أنه فشل أيضاً بسبب عدم

الاعتراف به من قبل الحكومة العثمانية، كما حدث للنائب القنصلي السابق (Field, 1969: 116). ومع بدايات عام ١٨١٦ استطاع ديفيد اوفلي استغلال علاقاته الشخصية مع المسؤولين العثمانيين، وبصورة خاصة مع خسرو باشا، قائد الأسطول العثماني في سميرنة في ذلك الوقت، من الاعتراف به من قبل الحكومة العثمانية نائب قنصل أميركي شبه رسمي في سميرنة (Koprulu, 1987: 930)، تركز عمله بشكل خاص في تسهيل بعض المعاملات التجارية للتجار الأميركيين.

وكما اشرنا سابقاً فان الظروف التي ولدتها حروب نابليون في أوروبا والحرب الأميركية البريطانية، أثرت هنا أيضاً في تأجيل الحكومة الأميركية لمفاوضاتها مع الدولة العثمانية حتى عام ١٨٢٠ (Bryson, 1977: 17)، وفي ذلك العام أرسلت الحكومة الأميركية غابريال لوثر برادش G. Luther Bradish بصفة محققاً سرياً إلى اسطنبول من اجل إعداد التقارير الخاصة عن إمكانية التفاوض من اجل عقد المعاهدة مع الدولة العثمانية (عمدت الحكومة الأميركية بسبب مواقف الدول الأوروبية الراضة لعقدها معاهدة مع الدولة العثمانية، على التكتف والاحتفاظ بسرية مهمة برادش، الذي وصل إلى اسطنبول بجواز سفر مزور واسم مستعار) (بونداريفسكي، ١٩٨٥، ١٥٩). وحال وصول برادش إلى اسطنبول وقيامه بإجراء المباحثات السرية مع بعض المسؤولين العثمانيين، أرسل تقريراً مفصلاً في ٢٠ كانون الأول ١٨٢٠ إلى الخارجية الأميركية (Gordon, 1932: 8)، ذكر فيه أن التفاوض حول عقد معاهدة مع الدولة العثمانية، سيكون أمراً مرغوباً به من وجهة النظر التجارية، لان التجار الأميركيين يضطرون لدفع رسوم كمركية تبلغ ٥٪ من قيمة البضاعة، في حين إن تجار الدول الأوروبية التي لهم علاقات وثيقة مع الدولة العثمانية، بموجب معاهدات خاصة لا يدفعون سوى ٣٪ من قيمة البضاعة، وقد قدر برادش تكاليف المعاهدة بـ (٥٠) ألف دولار (Vucinich, 1965: 143)، وإنه على الرغم من أن التجارة الأميركية مع الدولة العثمانية تبلغ حوالي مليون ونصف المليون دولار سنوياً (من المؤكد أن هذا الرقم مبالغ فيه فلم تصل مجمل التجارة الأميركية إلى هذا المستوى حتى عام ١٨٣٦، عندما بدأت التجارة الأميركية بالتوسع بصورة كبيرة مع الدولة العثمانية)، إلا إنها كانت تعاني من نقص الحماية الحكومية. وقد أكد برادش في تقريره إن المسؤولين العثمانيين يشجعون إمكانية عقد اتفاقية تجارية مع الولايات المتحدة الأميركية لكنهم يرون الحذر وجعل المفاوضات سرية بين الطرفين لمواجهة المعارضة المتوقعة من قبل بريطانيا، إذ ذكر ما نصه :

" ابلغني الصدر الأعظم شخصياً أن بريطانيا قد قدمت احتجاجاً رسمياً هددت فيه بقطع العلاقات الرسمية وإعلان الحرب ضد الدولة العثمانية، إذا وقّع أي اتفاقية مع الحكومة الأميركية. وأضاف برادش

في تقريره، انه من المتوقع حدوث نفس رد الفعل من جانب كل من فرنسا والنمسا وهولندا، وإن كان بدرجة اقل" (رايت، ١٩٨٧، ٥٨-٥٩).

كانت خشية برادش من طبيعة ما يحدث مبالغاً فيها، ومع ذلك فما من شك إن الممثلين الدبلوماسيين للدول الأوروبية اظهروا فعلاً امتعاضهم من احتمال نجاح المنافسة الأميركية، وتآمر الجميع ضدها، لاسيما بريطانيا ذات المصالح الواسعة في الدولة العثمانية، والمتمثلة بحمايتها لشركة الليفانت البريطانية من منافسة التجار الأميركيين لهم، لاسيما في تجارة الأفيون (بونداريفسكي، ١٩٧٥، ١٥٩).

وعلى اثر التقرير الذي بعث به برادش، قررت الحكومة الأميركية البدء هذه المرة بخوض مباحثات رسمية مع الدولة العثمانية لعقد المعاهدة، عن طريق تعيين الكابتن البحري وليم بينبرج، الذي أصبح قائد الأسطول الأميركي في البحر المتوسط، ليقوم بهذه المهمة، إلا إن الأوضاع التي نجمت عن أحداث الثورة اليونانية (نشبت الثورة اليونانية في نيسان ١٨٢٠ ضد السلطات العثمانية من اجل تخلص اليونانيين من الحكم العثماني، وقد استولى اليونانيون على جزيرة المورة ١٨٢٢، وقد استعان السلطان محمود الثاني بقوات محمد علي باشا والي مصر، الذي أثارت انتصارات ابنه إبراهيم باشا على اليونانيين حفيظة الدول الأوروبية الكبرى (بريطانيا وروسيا وفرنسا) التي تدخلت عن طريق أسطولها المشترك في محاصرة الأسطول العثماني والمصري، وتم القضاء عليهما بصورة كاملة في معركة نافارينو ١٨٢٧، اضطر بعدها السلطان محمود الثاني إلى وقف القتال ومنح الحكم الذاتي لليونانيين، تمكن بعدها اليونانيون عام ١٨٣٢ من حصولهم على الاستقلال) (Smith, 1942: 10-76)، أدت إلى تأجيل المفاوضات مجدداً بين البلدين، إذ كان الرأي العام والسياسي الأميركي مؤيدين للثورة اليونانية بشكل صريح (Trask, 1970: 5)، إلا إن سياسة الحكومة الأميركية المتمثلة بسياسة الرئيس جيمس مونرو (جيمس مونرو ١٧٥٨-١٨٣١): الرئيس الأميركي الخامس، خريج قانون، وحاكم لفرجينيا، وعضو مجلس الشيوخ، وسفير بلاده في فرنسا عام ١٧٩٤ وبريطانيا (١٨٠٣-١٨٠٧)، ووزيراً للخارجية (١٨١١-١٨١٧)، ووزيراً للدفاع (١٨١٤-١٨١٥)، كان من بين أهم السياسيين الأميركيين الذين كانوا يدعون إلى تطوير مبادئ السياسة الخارجية الأميركية (James Monroe (Encyclopedia, 2006, DVD) (١٨١٧-١٨٢٥) ووزير خارجيته جون كوينسي آدمز (جون كوينسي آدمز (١٧٦٧-١٨٤٨): الابن الأكبر للرئيس جون آدمز، عين سفيراً لبلاده في هولندا (١٧٩٤) وفي روسيا (١٨١١-٩) وفي بريطانيا (١٨١٧-١٥)، وعين وزيراً للخارجية (١٨٢٥-١٧)، وفاز في انتخابات عام ١٨٢٤ ليكون الرئيس الأميركي السادس (John Quincy Adams (Encyclopedia, 2006, DVD) (١٨٢٩-١٨٢٥)

تمسكت في الالتزام بسياسة الولايات المتحدة الأميركية بعدم التدخل بشؤون الدول الأخرى، لكي لا يخلق هذا الموقف ذريعة للدول الأوروبية للتدخل في شؤون أميركا الجنوبية (كان لهذا الموقف أهميته في صياغة السياسة الأميركية التي اتبعتها مع الحكومة العثمانية بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية، لأكثر من قرن كامل).

وانسجاماً مع هذه السياسة التي اتبعتها الحكومة الأميركية رفض الرئيس جيمس مونرو الطلب المرفوع من أحد الثوار اليونان، عن طريق السفير الأميركي في لندن ريتشارد رش Richard Rush في شباط عام ١٨٢٣، والذي طالب فيه باعتراف الولايات المتحدة الأميركية بشرعية الثورة اليونانية ومد يد العون لها، إذ جاء الرد من قبل الرئيس الأميركي في ١٨ آب من العام نفسه:

"مع إن الرئيس والشعب الأميركي يتعاطفان مع قضية الحرية التي يسعى لها اليونانيون، إلا إن حكومة بلاده بحكم التزامها بمبدأ عدم التدخل، فانه ليس بالأمكان التخلي عن موقفها المحايد من القضية اليونانية" (Bryson, 1977: 1).

تمثل الموقف الرسمي الأميركي من المسألة اليونانية في خطاب الرئيس مونرو في ٢ كانون الأول عام ١٨٢٣ أمام مجلس الشيوخ، الذي تجسد في إعلان مبدأ مونرو (أكد مبدأ مونرو على عدم التدخل الأوربي في الشؤون الداخلية لدول أميركا اللاتينية، كان الغرض منه إخضاع دول أميركا اللاتينية للسيطرة والنفوذ الأميركي، (أميركا للأميركيين)) (برنكس، ١٩٥٢: ٣-١٢؛ السامرائي، ١٩٨٩: ١٣٧-١٤١)، الذي أكد من خلاله عدم تدخل الحكومة الأميركية في المسألة اليونانية، إذ جاء فيه فيما يخص المسألة:

"إن سياستنا تجاه أوربا التي تم تبنيها منذ بدء الحرب اليونانية، التي عملت على إثارة ذلك الجزء من العالم، هي عدم التدخل في الأوضاع الداخلية لأي من تلك القوى، إنها سوف تستمر ولن تتغير مطلقاً" (Earal, 1927: 35).

إلا إن هذه السياسة التي أعلن عنها بوضوح الرئيس مونرو لم تؤثر على تأييد الرأي العام الأميركي وتقديم الدعم والمساعدة لليونانيين (تمثل الموقف الشعبي الأميركي بجمع التبرعات وإرسال المتطوعين، وإن حجم التبرعات وصل عام ١٨٢٧ إلى (١٠٠) ألف دولار، تطلب نقل هذه المساعدات خمس سفن تجارية، فضلاً عن تقديم (٦٠) ألف دولار أخرى في السنة التالية، كان لهذه التبرعات من الأهمية لتمكين الثوار اليونانيين من الاستمرار في المقاومة حتى تم حل المسألة اليونانية وإعطائهم الحكم الذاتي عام ١٨٢٧) (Bryson, 1977: 15)، على الرغم من إن التدخل الرسمي الأميركي في المسألة ظل أمراً

مرفوضاً من قبل أغلبية أعضاء الحكومة الأميركية، على أساس إن التدخل يشكل خطراً كبيراً على المصالح التجارية الأميركية النامية مع الدولة العثمانية وأنه سوف يؤدي إلى حصول عداء مع السلطان العثماني في الوقت الذي كانت فيه الحكومة الأميركية تحاول عقد معاهدة تجارية مع الدولة العثمانية (السبع، ٢٠٠٦، ٣٦). وعلى ما يبدو فإن الحكومة الأميركية أعطت الأولوية لمصالحها التجارية فيما يخص المسألة اليونانية في علاقتها مع الدولة العثمانية، إذ إن النشاط الاقتصادي يتوافق مع المصلحة العامة الأميركية (تطلبت المصلحة القومية الأميركية تأخر الاعتراف بالحكومة اليونانية حتى حصل اليونانيون على استقلالهم بشكل رسمي عام ١٨٣٢ على الرغم من التعاطف الكبير الذي شهده الشعب الأمريكي والضغطات التي مارسه ضدها من أجل التدخل في المسألة، مما يعكس حرص الحكومة الأميركية على استمرار علاقتها الودية مع الدولة العثمانية وتوسيع مصالحها الاقتصادية معها. بل يعكس أيضاً تمسك الحكومة الأميركية بمبدأ مونرو) (Field, 1969: 122).

مهما يكن من أمر الموقف الأمريكي من المسألة اليونانية، عازمت الحكومة الأميركية عام ١٨٢٣ على استئناف مفاوضاتها مع الدولة العثمانية من أجل عقد المعاهدة، عن طريق تكليف جورج بي انكلش (جورج بي انكلش: محامي وصحفي، فضلاً عن دراسته اللاهوت المسيحي، خدم ضابطاً في الأسطول الأمريكي في البحر المتوسط، ثم استقال وذهب إلى مصر والتحق بجيش محمد علي باشا، شارك ما بين (١٨٢٠-١٨٢٤) مع إسماعيل باشا في جيش محمد علي إبان حملته على السودان، وقد اعتنق انكلش الإسلام وتسمى باسم (محمد أفندي)، عاد بعدها إلى بلاده) (Stookey, 1975: 24) George P. English بالتحري عن إمكانية إكمال المفاوضات لعقد المعاهدة التجارية مع الدولة العثمانية بصورة ناجحة (9: 1932 Gordon). وفي تقريره الذي أرسله إلى حكومته بعد وصوله إلى اسطنبول، أكد أن معارضة القوى الأوروبية هي التي حالت دون نجاح المحاولات السابقة للاقترب من الدولة العثمانية، واقترح انكلش لمواجهة هذا الأمر إجراء المفاوضات بصورة سرية بين قائد الأسطول الأمريكي في البحر المتوسط، وقائد الأسطول العثماني (القبودان باشا) من أجل عقد المعاهدة بين البلدين (Vucinich, 1965: 173).

وفي عام ١٨٢٤ بدأت الحكومة الأميركية بإتباع سياسة أكثر فاعلية تجاه الدولة العثمانية من أجل التمهيد لعقد المعاهدة عن طريق إقرار تعيين التاجر الأمريكي ديفيد أوفلي وكيل قنصل الولايات المتحدة الأميركية في سميرنة (السوداني، ٢٠٠٢، ١٧)، الذي أدى دوراً كبيراً في تسهيل نشاط التجار الأمريكيين

في الدولة العثمانية حتى قبل أن تعينه الحكومة الأميركية بمنصب القنصل الأميركي فيها بصورة رسمية (Kurat, 1959: 9).

وبناءً على توصية انكلش تم تفويض الأميرال جون رودريجز (قائد الأسطول الأميركي في البحر المتوسط الذي خلف بينبرج على منصبه في تلك السنة) John Rodreges عام ١٨٢٥ بالتفاوض سراً مع المسؤولين العثمانيين (Finnie, 1967: 55)، وكانت التعليمات الصادرة إليه من قبل الخارجية الأميركية، هي التفاوض سراً مع المسؤولين العثمانيين بشأن منح الحق للتجار الأميركيين لممارسة تجارتهم بكل حرية في الموانئ العثمانية، والتمثيل القنصلي بين البلدين، وضمان حرية مرور السفن التجارية الأميركية عبر الدردنيل (Gordon, 1932: 9). وفي بداية تموز من عام ١٨٢٦ التقى رودريجز بالقبودان خسرو باشا في عرض البحر المتوسط، وفي أثناء اللقاء الذي تم بين الطرفين أُجلت المفاوضات جراء تطور الأوضاع التي شهدتها الساحة العثمانية بسبب أحداث الثورة اليونانية (Koprulu, 1987: 931)، الذي يمكن أن يعزى أيضاً إلى الدور الذي قام به الدبلوماسيون البريطانيون في تحفيز الحكومة العثمانية على عدم عقد المعاهدة مع الأميركيين، عن طريق إظهارهم للحكومة العثمانية المساعدات التي كان يقوم بتقديمها الأميركيون إلى الثوار اليونانيين (إبراهيم، ١٩٨٢: ٩٤)، مما اضطر القنصل الأميركي ديفيد أوفلي إلى شرح سياسة الولايات المتحدة الأميركية الخارجية لدى المسؤولين العثمانيين القائمة على عدم التدخل، كما أكد أوفلي على أن تفرق الحكومة العثمانية بين ما يقوم به الأفراد وما تفعله الحكومة الأميركية (Field, 1969: 135). وعلى الرغم من اللفتة التي أظهرتها الحكومة الأميركية لعقد المعاهدة التجارية مع الدولة العثمانية، إلا إن الحكومة العثمانية لم تكن بالجدية التي كانت عليها الحكومة الأميركية (Kurat, 1959: 17)، بسبب عدم حاجة العثمانيين في هذه المرحلة إلى الاتصالات الرسمية مع الولايات المتحدة الأميركية لاسيما وأن سفنهم لم تكن في اتصال معها، وأن مواطنيها من الأصل اليوناني قاموا بأغلب الصفقات التي كانت تجري بين البلدين في الموانئ العثمانية (Grabill, 1971: 36)، الأمر الذي يفسر فشل جميع المحاولات السابقة لعقد المعاهدة مع الحكومة الأميركية، إلا إن الأحداث السياسية التالية دفعت الدولة العثمانية إلى تغيير موقفها من عقد المعاهدة مع الولايات المتحدة الأميركية، والذي تمثل في تحطم الأسطول العثماني والمصري بالكامل على يد الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وروسيا) في معركة نافارين عام ١٨٢٧ (اوسي والجهماني، ٢٠٠٠: ٨)، مما دفع الدولة العثمانية إلى البحث عن حليف جديد لها يعينها على بناء أسطولها المدمر في المعركة (الغالي، ٢٠٠٢: ٥٥). ولهذا السبب اتجهت أنظار الدولة العثمانية نحو الولايات المتحدة الأميركية، لاسيما وأنها ليس لها أطماع سياسية في الدولة العثمانية، فضلاً

عن السمعة التي حظيت بها الولايات المتحدة الأمريكية بين المسؤولين العثمانيين، في براعتها في الهندسة البحرية التي اشتهرت بها منذ وصول سفينة بينبرج عام ١٨٠٠ (Grabill, 1971: 37)، لذلك ارتأت الحكومة العثمانية الحصول على المساعدات الأمريكية في بناء أسطولها البحري (Field, 1969: 147). وقد اعتقد المسؤولون العثمانيون بأن عقد معاهدة رسمية بين البلدين سوف يتيح لهم الحصول على السفن الحربية الأمريكية من قبل بنائي السفن الأمريكيين (Howard, 1976: 294)، لذا كشف القوبودان خسرو باشا في ١١ تشرين الثاني عام ١٨٢٧ إلى وكيل القنصل الأمريكي في سميرنة ديفيد اوفلي أن الوقت قد حان للبدء بالمفاوضات بين البلدين من أجل عقد المعاهدة، إلا إن ديفيد اوفلي اعتذر لخسرو باشا من أنه لا يملك الصلاحيات الكافية للقيام بهذه المهمة، وعلى هذا الأساس وفي شباط عام ١٨٢٨ دعت الحكومة العثمانية بصورة رسمية ديفيد اوفلي لمفاتيحة حكومته من أجل إرسال ممثل أمريكي للقيام بالمفاوضات (Koprulu, 1987: 931).

وفي ٢١ تموز من العام نفسه بعث الرئيس الأمريكي جون كوينسي آدمز الضابط البحري وليم كرين William Crane قائد الأسطول الأمريكي الجديد للبحر المتوسط، إضافة إلى ديفيد اوفلي للقيام بمهمة التفاوض مع الحكومة العثمانية لعقد المعاهدة (السبع، ٢٠٠٦: ٣٧). وفي كانون الأول ١٨٢٨ وصل كرين واوفلي إلى اسطنبول، وحال وصولهما بدأت المفاوضات مع المسؤولين العثمانيين، إلا إنها لم تسفر عن أي نتيجة تذكر بسبب إصرار الرئيس أفندي، أحد موظفي الشؤون الخارجية العثماني، الذي كان يقوم بالمفاوضات مع الممثلين الأمريكيين، على أن تقوم الحكومة الأمريكية ببناء بعض السفن الحربية للدولة العثمانية نظير موافقتها على عقد المعاهدة (Finnie, 1967: 57)، وقد رفض الجانب الأمريكي الموافقة على الطلب العثماني، لأنهم لم يكونوا مخولين للقيام بمثل هذا الأمر، كذلك اعترض الممثلون الأمريكيون على المطلب العثماني الرامي إلى دفع التجار الأمريكيين ٥٪ رسوماً كمركية من قيمة البضائع الداخلة إلى الموانئ العثمانية، في حين إن التجار الأوروبيين لا يدفعون مقابلها سوى ٣٪ من قيمة البضاعة، وقد اقترح المفاوضون العثمانيون تخفيض النسبة إلى ٣.٥٪ عن قيمة البضاعة، إلا إن اوفلي أصر على المساواة التامة مع بقية تجار الدول الأوروبية (إبراهيم، ١٩٨٢: ٩٦)، لذا أرسل المفاوضون الأمريكيون في ١٧ آذار عام ١٨٢٩ برقية إلى وزارة الخارجية الأمريكية، ابغوها بعدم إمكانية عقد المعاهدة في ظل التعليمات الصادرة إليهم (Gordon, 1932: 10). لذا توقفت المفاوضات بين الجانبين عند هذا الحد، ولم تتجح الحكومة الأمريكية بعقد المعاهدة إلا في ٧ أيار عام ١٨٣٠.

ثالثاً. النشاط التبشيري الأمريكي في الدولة العثمانية:

مع بدايات القرن التاسع عشر بدأ أهم مجال من مجالات النشاط الأمريكي في الدولة العثمانية، وهو النشاط التبشيري، والذي جاء متأخراً إذا ما قورن بالنشاط الفرنسي أو الروسي في هذا المجال.

بعد حركة الإحياء الديني التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية منذ نهايات القرن الثامن عشر، تم تأسيس العديد من الجمعيات الدينية المحلية، كان الغرض منها هو نشر العقيدة البروتستانتية (البروتستانتية: حركة دينية نشأت عن حركة الإصلاح ومبادئها، وتتطوي البروتستانتية على أفكار تحررية في الأمور الدنيوية والدينية، وكذلك في إعطاء الفرد حرية التقدير والحكم على الأمور، وفي التسامح الديني، وهذا مضاد للتقليد وللسلطة الدينية. وروح البروتستانتية هي في مسؤولية الفرد تجاه الله وحده وليس تجاه الكنيسة. ويستعمل البروتستانت في صلواتهم "التوراة"، على عكس جميع الطوائف المسيحية الأخرى التي تستعمل العهد الجديد، ويعتقد ٦٠٪ من سكان الولايات المتحدة الأمريكية البروتستانتية، ويشترك منها عدة طوائف منهم الانجيلكان والمشيخان والسبتيون) (الموسوعة العربية الميسرة، ١٩٨٧: ٣٥٧؛ غلمية، ١٩٨١: ١٥٦) في الغرب الأمريكي، ومن أجل هذا الغرض تم إعداد المبشرين من قبل مختلف الكنائس الأمريكية البروتستانتية، لاسيما من قبل الكنيسة المشيخية (الكنيسة المشيخية أو المشيخانية: طائفة دينية بروتستانتية ذات نظام كنسي تركز السلطة فيه على سلسلة مجالس من الشيوخ العلمانيين ورجال الدين، وهو وسط بين النظام الكنسي الجمهوري، الذي يستند في إدارة شؤون الكنيسة على الشيوخ العلمانيين، والنظام الأسقفي، الذي يستند في إدارة شؤون الكنيسة على رجال الدين، إذ يدير الشيوخ شؤون الكنيسة الروحية، بينما يهتم الأمناء بالأمور الزمنية. ومجلس الطائفة يسمى مجعاً، يليه السندوس، أما المجمع الأعلى فهو المرجع الأعلى في هذا التنظيم، وله سلطة الإشراف على الطائفة، ورئيس المجمع هو المدير العام. والكنيسة المشيخية وريثة النظم الكلفنية في العقيدة والنظام) (الموسوعة العربية الميسرة، ١٩٨٧: ١٧٠٦) Presbyterian Church من أجل إرسالهم إلى الهنود القاطنين في النصف الغربي من الولايات المتحدة الأمريكية، وسرعان ما أخذ الحماس الديني يتصاعد بشكل لم يسبق له مثيل، إذ إن هذا الهدف المحدود في نشر المسيحية بين الهنود في الغرب الأمريكي توسع إلى هدف أكبر في نشر البروتستانتية في جميع أنحاء العالم ليس فقط بين غير المسيحيين، لكن أيضاً لملايين المسيحيين من الكنائس غير البروتستانتية (Stookey, 1976: 354).

وعلى أثر هذه الحماسة الدينية التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية تم إنشاء المجلس الأمريكي للإرساليات الخارجية (A.B.C.F.M) في بوسطن عام ١٨١٠ (ضم المجلس مختلف الأعضاء من الجمعيات الدينية والشخصيات السياسية والكنائس الأمريكية كان من أبرزها الكنيسة المشيخية والكنيسة الإصلاحية الهولندية والاتحاد العام لماساتشوستس، وقد كان المجلس ممول من قبل الحكومة الأمريكية، صندوق الحضارة، مبالغ المواطنين، وقد تحول المجلس بعد تأسيسه إلى قوة اقتصادية وصيرفية، وأصبح له جهاز إداري كفوء كان يقوم بتنظيم الدورات والمؤتمرات السنوية للمبشرين الأمريكيين، لمزيد من التفاصيل حول هذه الجمعيات الدينية وحركة الأحياء الديني الأمريكي (<http://microformguides.gale.com/Data/Introductions/30410FM.htm>)، الذي كان أول منظمة أمريكية تخص هيئة للمبشرين في الولايات المتحدة الأمريكية كان الغرض منها تولي مسؤولية الإشراف على البعثات التبشيرية الخارجية (Grabill, 1971: 4)، وتم تعيين القس صاموئيل ورستر Samuel Worcester أول سكرتير للمجلس، واخذ المجلس الأمريكي أول نشاطه العملي عن طريق جمع التبرعات من أجل تحقيق أهدافه (Stookey, 1975: 9)، وقد اعتمد المجلس في بداية تأسيسه بصورة كبيرة على جمعية المبشرين البريطانية (أرسلت الجمعية وليم جويت William Jowett إلى مالطا، كأول مبشر بروتستانتي إلى منطقة البحر المتوسط، كانت مهمته نشر البروتستانتية بين اليهود والمسلمين، فضلاً عن جمع المعلومات عن المنطقة وسكانها، وقد جعلت منه هذه التجربة الدليل والخبر للإرساليات التبشيرية التي تبعث لأراضي البحر المتوسط، وقد عزم المجلس الأمريكي الاستعانة به في أثناء إرسال مبشريه إلى المنطقة) (C.M.S (Tibawi, 1966: 11 في التحريات والنصيحة، وحتى الدعم المادي، فضلاً عن اعتماده بصورة عامة على جمعية يهود لندن (جمعية يهود لندن: هي جمعية تبشيرية بروتستانتية تأسست في لندن عام ١٧٩٦، كانت تهدف إلى تشجيع اليهود لاعتناق المسيحية، وقد انتقل معظم أعضاء هذه الجمعية إلى الولايات المتحدة الأمريكية وفتحوا فرعاً للجمعية فيها) (Shaw, 1937: 21) London Jews Society L.J.S في مساعدته في أعماله (Finnie, 1967: 114).

أرسل المجلس عام ١٨١٣ أول مجموعة من مبشريه إلى الهند، لاسيما بعد أن لمس النجاح الذي حققه المبشرون البريطانيون فيها، إذ كانت مختلف الجمعيات التبشيرية في لندن تقوم بإصدار التقارير السنوية عن أعمالهم، فضلاً عن النشرات الشهرية دعائية من أجل قضيتهم، والتي أسهمت في تشجيع الجمعيات التبشيرية الأمريكية لإرسال مبشريها إلى خارج الولايات المتحدة الأمريكية (Elsbrece, 1928: 192).

وفي عام ١٨١٨ عزم المجلس الأميركي للإرساليات الخارجية على توسيع مجال نشاطه ليشمل الشرق الأدنى، عن طريق الإعداد لإرسال مبشريه إلى القدس، التي تتميز بقدسيته لدى أبناء الديانات السماوية الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلامية)، بوصفها أرض الإنجيل، ولاتخاذها قاعدة للتوسع في نشر البروتستانتية في المنطقة (Koprulu, 1987: 936)، إذ تم اختيار كل من ليفي بارسونز (ليفيا بارسونز ١٧٩٨-١٨٢٢): ولد في بوسطن وتطوع للعمل التبشيري مع الكنيسة المشيخية تحت إشراف المجلس الأميركي للإرساليات الخارجية، كرس حياته بعدها للعمل التبشيري في الدولة العثمانية (LeviParsons (Wilson&others, 2001) وبلني فسك (بلني فسك (١٨٠٠-١٨٢٥): ولد في بوسطن من عائلة ثرية، انضم للمجلس الأميركي للإرساليات الخارجية الذي أرسله إلى الدولة العثمانية للقيام بالعمل التبشيري، أشرف على عمل بعثة القدس بعد وفاة ليفي بارسونز عام ١٨٢٢، توفي على يد بعض قطاع الطرق في بيروت) (Pliny Fisk (Encyclopedia, 2001 من الكنيسة المشيخية (Erhan, 2001: 316)، ومن الملاحظ إن أسباب اختيار المجلس لبارسونز يعود لاعتبارات عديدة، أولها أن هذا الرجل فضلاً عن كونه خريج معهد أندوفر اللاهوتي، فإنه كان ملماً بالدراسات الشرقية، ولم يكن كذلك زميله في البعثة بلني فسك اقل منه دراية ومعرفة في الثقافات الدينية للمنطقة، إذ انه فضلاً عن كونه خريج المعهد اللاهوتي نفسه، فإنه كان ملماً أيضاً بالدراسات الشرقية، كان الهدف الرئيس من البعثة هو نشر البروتستانتية بين اليهود والمسلمين (Stokey, 1976: 354). وقد أمضى فسك وبارسونز عاماً كاملاً يجوبان الولايات المتحدة الأميركية من اجل جمع التبرعات اللازمة لتمويل رحلتهما إلى الدولة العثمانية (Shaw, 1937: 30).

كانت التعليمات الصادرة للمبشرين من قبل سكرتير المجلس وستر إلى فسك وبارسونز هو التوجه نحو مالطا، والاستفادة من خبرات الجمعيات البروتستانتية المقيمة فيها، والاتصال بوليم جويت، عضو جمعية المبشرين البريطانية، ومن ثم التوجه نحو سميرنة والاتصال بأحد أفراد القنصلية البريطانية، وهو وليم سون William Son ويجب أن يكون اهتمامها منصّباً نحو تعلم اللغات المحلية (Tibawi, 20: 1966)، لاسيما العربية والعثمانية والإيطالية واليونانية والعبرية، والقيام بجولات استطلاعية من اجل جمع اكبر قدر من المعلومات عن المنطقة وسكانها، فضلاً عن استهلال نشاطهم التبشيري، عن طريق نشر الإنجيل والكراسات الدينية باللغات المحلية، فضلاً عن رصد الصعوبات التي سوف تصاحب إنشاء المحطة التبشيرية في القدس، والتأكيد على عدم المساس بالقوانين المحلية لتلك المناطق، والتوجه بشكل فردي في ممارسة نشاطهم التبشيري في المنطقة (Grabill, 1971: 6)، وقد أكد سكرتير المجلس وستر

إلى المبشرين أن بعثتهم ما هي إلا مقدمة لإقامة نظام أوسع للتبشير يغطي جميع أرجاء الدولة العثمانية (خاطر، ١٩٧٨: ٤٣٢).

بدأت أول خطوة في أهم نشاط أميركي في الدولة العثمانية، عندما أبحر فسك وبارسونز في ٣ تشرين الثاني عام ١٨١٩ من ميناء بوسطن متوجهين نحو مالطا التي وصلوها في ٢٣ كانون الأول ١٨١٩ (Trask, 1970: 4)، التقوا فيها بوليم جويت الذي زودهم بعدها بالتعليمات اللازمة لمواصلة عملهم التبشيري في الدولة العثمانية، ونسخ من الإنجيل والكراسات الدينية المترجمة باللغات المحلية، التي منحها لهم مختلف الجمعيات البروتستانتية البريطانية الموجودة في مالطا (Boztemur, 2005: 45)، اكمل بعدها المبشران رحلتهم إلى سميرنة، وفور وصولهما إلى المدينة في ١٥ كانون الأول عام ١٨٢٠ (Trask, 1970: 4) تم اتخاذها أول مركز تبشيري لهما في الدولة العثمانية أرسيا فيها الدعائم التي مهدت لقدم المزيد من الإرساليات التبشيرية الأميركية إلى الدولة العثمانية (Sousa, 1933: 140).

استهل فسك وبارسونز نشاطهما التبشيري عن طريق القيام بالعديد من الجولات الاستطلاعية في أراضي الدولة العثمانية، وزعوا خلالها كتب الإنجيل والكراسات الدينية، فضلاً عن بدء تعلم اللغة اليونانية في سميرنة التي قضوا فيها ستة أشهر لتحقيق هذا الأمر (Stokey, 1976: 355). وقد اعتمد فسك وبارسونز إبان وجودهما في سميرنة على حماية القنصل البريطاني في سميرنة بيتر ابوت Peter Abbott فبغيا العلاقات الرسمية الأميركية-العثمانية حتى عام ١٨٣٠ اعتمد المبشرون كما هو الحال مع التجار الأميركيين في الدولة العثمانية على حماية القنصلية البريطانية، إذ قام بيتر ابوت بتزويد فسك وبارسونز الأوراق الرسمية التي أتاحت لهما حرية التنقل بين الأراضي العثمانية (خضير، ٢٠٠١: ٤٧).

تبعاً لذلك أبحر بارسونز وحده في ٥ كانون الأول عام ١٨٢٠ على متن إحدى السفن اليونانية المتوجهة إلى يافا، في طريقه للتوجه نحو القدس التي وصلها في ١٧ شباط ١٨٢١ (Erhan, 2001: 88)، الذي اعتبر أول مبشر أمريكي يصل القدس، قضى فيها ثمانين يوماً التقى خلالها بالعديد من الشخصيات الدينية من رجال الدين اليهود والأرثوذكس، فضلاً عن توزيعه العديد من نسخ الإنجيل باللغات المحلية (Shaw, 1937: 34). أدرك بارسونز بعدها أن القدس كانت مغلقة أمام الأميركيين، وحتى لأصحاب الدول ذات التمثيل الدبلوماسي، إذ كان للقدس وضع خاص مقارنة بسائر المدن العثمانية، بوصفها ثالث مدينة مقدسة في الإسلام، كانت مغلقة أمام جميع الأجانب، باستثناء القيمين عليها من رجال الدين، وحراس الأماكن المقدسة، ولم يكن يسمح لأي أجنبي الاستقرار فيها، إلا للحجاج والسياح

ولأوقات محددة في السنة، ولم تكن السلطات العثمانية وحدها لا تقبل بأي توسع من قبل مجموعات أجنبية جديدة في المدينة، بل أيضاً رجال الدين المحليين فيها (Tibawi, 1966: 17).

بعد الجولة الاستطلاعية التي قام بها بارسونز في القدس عاد بعدها إلى سميرنة ومن ثم قام بجولة إلى مصر وقبرص ومالطا، وعزز التنقل بين هذه المناطق لدى بارسونز فكرة أن القدس هي أفضل من سميرنة لتكون المحطة الرئيسية للبعثة، أو على الأقل أهم محطة من محطاتها، وذلك للدور الذي تؤديه المدينة جراء توافد أعداد كبيرة من الحجاج والسياح، مما يتيح فرص كبيرة للمبشرين في ممارسة نشاطهم التبشيري بينهم على أتم وجه (Grabill, 1971: 6).

قرر بارسونز بعد الجولة الاستطلاعية التي قام بها في المنطقة، الذهاب مع فسك إلى مكان دافئ في فصل الشتاء، بسبب سوء حالة بارسونز الصحية، لذا ذهب الاثنان في كانون الثاني عام ١٨٢٢ إلى الإسكندرية في مصر، وبعد شهر من الرحلة توفي بارسونز فيها، وقد أدت الظروف السائدة نتيجة الفوضى التي رافقت أحداث الثورة اليونانية، بتوجه فسك نحو مالطا، وليس سميرنة بسبب الأحداث، لكون مالطا هي أول محطة للمبشرين الأميركيين، وكذلك وجود الحماية البريطانية، وأنها مقر البعثات التبشيرية البروتستانتية البريطانية في المنطقة (Stokey, 1976: 356).

حال وصول فسك إلى مالطا في نيسان عام ١٨٢٢، وجد دانيال تمبل Daniel Templ مع آلة طباعة صغيرة أرسلت من بوسطن من قبل المجلس الأميركي للإرساليات (Erhan, 2001: 87)، عزز بعدها المجلس الأميركي بعثة القدس بإرسال جوناك كنك Jonas King الذي كان قد درس العربية في باريس، ووليم كوديل (وليم كوديل (١٧٩٢-١٨٦٧): مبشر أميركي، خريج معهد أندوفر اللاهوتي، انضم عام ١٨٢٢ إلى المجلس الأميركي للإرساليات الخارجية للعمل في الدولة العثمانية، ذهب عام ١٨٣١ إلى اسطنبول التي أسس بها بعثة الأرمن، كرس حياته لترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الأرمنو-عثمانية، وقد اكمل ترجمة العهد القديم ١٨٤١ والعهد الجديد ١٨٤٣ واستمر العمل به وتثقيحه حتى عام ١٨٦٣، عاد بعدها عام ١٨٦٥ إلى الولايات المتحدة الأميركية (William Goodell (Encyclopedia, 2001) وايساك بيرد Issac Bird وجميعهم خريجو معهد أندوفر اللاهوتي، الذين وصلوا مع زوجاتهم إلى مالطا في بداية كانون الثاني عام ١٨٢٣ (Sousa, 1933: 140)، من أجل توجيههم إلى القدس، قضى فيها بيرد وكوديل تسعة أشهر في تعلم اللغة الإيطالية للاستفادة منها في عملهم التبشيري (Field, 1969: 94).

وفي كانون الثاني عام ١٨٢٣ ذهب فسك مع كنك إلى مصر وفلسطين، ومن ثم ذهباً بعدها إلى شمال لبنان قبل موسم الحر (Polk, 1975: 92)، التقيا خلال ذلك بأحد المبشرين البروتستانت التابعين لجمعية يهود لندن وهو لويس وي (كان الغرض الرئيس لبعثه لويس وي هو البحث عن أماكن إقامة مركز تبشيري في القدس، الذي اتخذ من جبل لبنان مقراً للاستراحة في أثناء موسم الحر. لمزيد من التفاصيل حول البعثة ونشاط جمعية يهود لندن في الدولة العثمانية) (Tibawi, 1961: 10-24) Lewes Way الذي أقام داراً للاستراحة في عنطورا بجبل لبنان وأصبح مركزاً لتجمع المبشرين البروتستانت في المدينة، وفي أثناء اللقاء الذي تم بين لويس وي وفسك وكنك، اتفق الطرفان على تنسيق الجهود بين الطرفين لممارسة نشاطهم التبشيري، انصرف بعدها فسك وكنك لتعلم اللغة العربية، وقد وجه فسك، مسؤول البعثة، التعليمات إلى بيرد وكوديل الموجودين في مالطا للتوجه نحو بيروت، وحال وصولهما في ١٦ تشرين الثاني عام ١٨٢٣ تحول بيرد إلى تعلم اللغة العربية وكوديل إلى اللغة الأرمنية (Erhan, 2001: 88).

عزمت البعثة على اختيار بيروت مقراً رئيساً للبعثة بسبب إن سميمنة لم تكن أمينة بسبب اضطرابات الثورة اليونانية (السوداني، ٢٠٠٢، ٢٩)، وإن القدس كانت مقيدة لان تكون مقراً دائماً، وإن وجود القنصل البريطاني في بيروت (Grabill, 1971: 6)، وموقع المدينة الجغرافي المتميز البحري والبري، فضلاً عن بعدها عن السيطرة المركزية العثمانية (Finnie, 1967: 191)، وتواجد أعداد كبيرة من السكان المسيحيين فيها، كل ذلك جعلها مفضلة لعمل المبشرين الأميركيين (Fisher, 1953: 4)، لذا أصبحت في السادس من كانون الأول ١٨٢٣ المقر الرئيسي للبعثة، مثلما بقيت القدس مقراً غير دائم يتردد عليه المبشرون بين الحين والآخر (Kortepeter, 1991: 242). ومما يؤشر من خلال الصفحات السابقة إن الوجود التجاري وحتى التبشيري ابتداءً في موانئ حوض البحر المتوسط في الأغلب الأعم.

بعد تأسيس مقر البعثة في بيروت، استهل المبشرون الأميركيون نشاطهم التبشيري عن طريق القيام بجولات في المنطقة، وفي أثناء الجولة التي قام بها فسك وبيرد في القدس عام ١٨٢٤ ألقت السلطات المحلية القبض عليهما في أثناء توزيعهما الإنجيل المترجم باللغات الشرقية بين بعض الحجاج الأرمن الموجودين في القدس، بتهمة الإخلال بالأمن العام لمخالفتهم القوانين العثمانية، إذ كانت الحكومة العثمانية قد أصدرت مرسوماً في العام نفسه حرمت فيه توزيع الكتاب المقدس المترجم باللغة العربية والعثمانية المطبوع في أوروبا (Stookey, 1976: 356). وقد نسب المبشرون الأميركيون الإجراء الذي قامت به الحكومة العثمانية إلى تحريض البطريرك الماروني (الموارنة كاثوليك لبنان ويتبعون الكنيسة

الفرنسية، وقد ارتبط المارونيون بجبل لبنان منذ مدة طويلة، وإنهم كانوا تحت سلطة البابا منذ القرن السادس عشر، والحماية الفرنسية منذ القرن السابع عشر، وبسبب أعدادهم وتاريخهم أدعو بسيادتهم السياسية على جبل لبنان) (بتكوفتش، ١٨٨٥)، الذي وجه منذ عام ١٨٢٣ لعناته لإتباعه ضد أي شخص من أبناء كنيسة يتعامل بالنسخة البروتستانتية من الكتاب المقدس التي كان يوزعها المبشرون الأميركيون بينهم، أو يقوم بأي اتصال معهم (Tibawi, 1966: 20). لذا هرع نائب القنصل البريطاني في يافا جون ماهوني John Mahoney من اجل إطلاق سراحهما، عن طريق الاتصال بالمسؤولين العثمانيين، وقد ادعى جون ماهوني بان الشخصين هما من أتباع الملة البريطانية، وبأنهما يحملان وثائق سفر قانونية، وإنهما قد مارسا عمليهما في حدود القانون بين نظرائهم من المسيحيين، بعدها تم إخلاء سبيلهما (Anderson, 1925: 40).

ومن خلال الجهود التي بذلها كوديل في تعلم اللغة الأرمنية، قام بكسب بعض رجال الدين الأرمن إلى البعثة، أمثال الأسقف دايونس كاربت، وغريغوري ورتبت، اللذين عينهما كوديل معلمين للغة الأرمنية لرجال البعثة ومترجميها، تمكن من خلالهم البدء بأوسع نشاط تبشيري أميركي بين الأرمن (Erhan, 2001: 88). طالب بعدها المبشرون الأميركيون من المجلس الأميركي للإرساليات الخارجية في بوسطن توسيع نشاط البعثة عن طريق إرسال أكبر عدد من المبشرين، بضمنهم طبيب يسهل عمل البعثة، فضلاً عن إرسال آلة طباعة تضم الحروف العربية للاستفادة منها في طبع الكراسات الدينية باللغة العربية والارمنية والعثمانية (Tibawi, 1961: 34).

استغل المبشرون الأميركيون بعد إقامة مقر البعثة في بيروت، حاجة سكان المنطقة إلى تعلم اللغات الأجنبية للاستفادة منها في الوظائف القنصلية والتجارية، لذا شرعوا بممارسة بعض الأنشطة التعليمية في مقر القنصلية البريطانية في بيروت، في اللغة الإنكليزية (Erhan, 2001: 88)، بدأ بعدها كوديل بتعليم سبعة أولاد محليين اللغة الإيطالية، التي تعلمها وبيرو في السابق عند وصولهما مالطا، في مقر البعثة في عنطورا بمساعدة بعض المساعدين المحليين الذين استعانت بهم البعثة بتعيينهم مترجمين لها. وفي ٢٤ تموز عام ١٨٢٤ دفع توسع نشاط البعثة التعليمي إلى افتتاح أول مدرسة رسمية للمبشرين الأميركيين في الدولة العثمانية في عينتاب، في بناية أوسع لكي تتسع لعوائل المدرسين والخمسين طالباً الذين كانوا مسجلين في هذه المدرسة (Tibawi, 1961: 33).

ومدارس شبيهة لها تم افتتاحها في بيروت والمناطق المجاورة لها مارس المبشرون الأميركيون من خلالها الوعظ في الداخل إلى الطلاب، والأهالي من الخارج، ومن خلال هذه المدارس أيضاً وزع المبشرون نسخاً عديدة من الكتاب المقدس والكراسات الدينية، وتم استخدام العهد الجديد كتاباً منهجياً للتدريس به في المدرسة (Grabill, 1971: 7)، وقد كان هناك إقبالٌ كبيرٌ على المدرسة التي أقامها المبشرون في عينتاب، من قبل السكان المحليين، الذي انعكس من خلال زيادة أعداد طلابها إلى المئة طالب، وثلاثة معلمين محليين (خضير، ٢٠٠١، ٥٠).

أثار نشاط المبشرين الأميركيين التعليمي بين أبناء الطائفة الأرثوذكسية في بيروت البطريرك الأرثوذكسي، مما دفعه إلى إصدار اللغات التي تحرم على الأطفال التابعين لكنيسته حضور مدارس المبشرين الأميركيين أو التعامل مع نسخ الكتاب المقدس الذي يقوم المبشرون بتوزيعه، مما دفع الكثير من العوائل الأرثوذكسية بإبعاد أطفالهم عن المدرسة، وعلى الرغم من ذلك واصلت المدرسة نشاطها حتى بعد أن فقدت نصف عدد طلابها الأصليين (Tibawi, 1961: 33). وفي عام ١٨٢٦ كانت هناك بداية ضعيفة من قبل كوديل لفتح مدرسة للأطفال اليهود في بيروت، غير إنها لم تستمر سوى يومين فقط، إذ قام بعض المتشددین من أتباع الديانة اليهودية بالاعتداء على المدرسة وحطموا أثاثها وقاموا بتمزيق الكتاب المقدس (Speiser, 1947: 15).

وعلى الرغم من الموقف المتشدد الذي واجهه المبشرون الأميركيون في ممارسة نشاطهم التبشيري بين المسلمين واليهود، والموقف المعارض من قبل رجال الدين المارونيين والأرثوذكس لهذا النشاط بين أبناء طوائفهم، إلا أنه كان هناك بعض النجاح في نشاط المبشرين التعليمي في بيروت الذي يمكن إدراكه من خلال زيادة عدد المدارس التي أقامها المبشرون فيها وفي المناطق المجاورة لها، إذ أنه بحلول عام ١٨٢٦ بلغ عدد هذه المدارس مابين (٦-٩) مدرسة، ضمت أكثر من (٣٠٠) طالب، ارتفعت بسببها تكاليف البعثة التي تم تزويدها من قبل المجلس الأميركي من (١٦٠) دولار عند بداية إرسال البعثة عام ١٨١٩، إلى (٦٩٠.٣٩٣) دولاراً عام ١٨٢٦ (Tibawi, 1961: 42). علماً أن هذه التكاليف لا تشمل نسخ الكتب المقدسة والكراسات الدينية التي وزعها المبشرون في هذه المرحلة، التي زودتهم بها مختلف الجمعيات الدينية البريطانية والأميركية (Boztemur, 2005: 46).

في هذه الأثناء عزز المجلس الأميركي بعثة القدس بإرسال اثنين من أعضائه، وهما إلي سمث (إيلي سمث (١٨٠١-١٨٥٧): مبشر بروتستانتي أميركي، خريج جامعة ييل ومعهد أندوفر اللاهوتي،

انضم إلى المبشرين التابعين للكنيسة المشيخية تحت إشراف المجلس الأميركي للإرساليات الخارجية، للعمل في الدولة العثمانية، تنقل برفقة المبشر هاريسون دوايت عبر أرمينيا وجورجيا وبلاد فارس، وقام بجولتين أيضاً برفقة ادوارد روبنسن إلى الأرض المقدسة، بعد ذلك تابع أهم أعماله على الإطلاق وهو ترجمة الكتاب المقدس إلى العربية، على الرغم من أنه توفي قبل أكمال المهمة، إذ أكملها بعده المبشر الأميركي فاندريك، ونشر عام ١٨٦٦) (Eli Smit (Encyclopedia, 2001) وهومان هالوك Homan Hallok الذي تم تعيينه مساعداً للمبشرين في العمليات الميكانيكية لمطبعة المبشرين في مالطا، وقد كلفا بالعمل مع دانيال تمبل لتولي مسؤولية إدارة مطبعة المبشرين في مالطا، وحال وصول إلي سمث إلى بيروت في شباط عام ١٨٢٧، بدأت معه عمليات طويلة من اجل الطباعة باللغة العربية، ومن اجل هذا الغرض توجه سمث إلى المنصورية في جبل لبنان من اجل تعلم اللغة العربية فيها: (Finnie, 1967: 191).

لم يقتصر رد الفعل من مدارس المبشرين الأميركيين على البطريرك الأرثوذكسي، إذ أصدر البطريرك الماروني في تشرين الأول عام ١٨٢٦ لائحة أخرى ضد المبشرين الأميركيين، اتهمهم فيها بالهرطقة وعداوة الكنيسة الكاثوليكية، واستخدام الحافز المادي بين أتباع كنيسته من اجل تحقيق أهدافهم في تغيير ولائهم الروحي إلى الكنيسة البروتستانتية، كما منع البطريرك كل أتباعه من الاتصال بالمبشرين الأميركيين بأي شكل من الأشكال ودعاهم إلى المقاطعة الصارمة لمدارس المبشرين وكتبهم، أو القبول بأي وظيفة في مؤسساتهم، وهدد بالطرد من كنيسته أي شخص من أتباعه يخالف هذه التعليمات (Erhan, 88: 2001)، وأنه بعد مدة ليست بالطويلة من إصدار البطريرك هذه اللائحة حتى تم إلقاء القبض على الماروني أسعد الشدياق، معلم ومترجم المبشرين الأميركيين، وتم حجزه في سجن البطريرك، لعدم انصياعه لأوامر البطريرك في الابتعاد عن المبشرين الأميركيين وعدم التعامل معهم، وقد توفي على أثرها في السجن (رستم، ١٩٧٣: ٢٧٤).

رافق ممارسة المبشرين الأميركيين لنشاطهم التبشيري في الدولة العثمانية عقبات كثيرة، تمثلت العقبة الأولى بالصعوبات التي نشأت من عدم دراية أفراد البعثة باللغات الشرقية التي تؤهلهم للعمل التبشيري في المنطقة، وعدم وجود جالية بروتستانتية معترف بها في الدولة العثمانية (انطونيوس، ١٩٦٦: ٩٨)، وإلى صرامة القوانين العثمانية التي تمنع العمل التبشيري بين المسلمين أو توزيع الكتب الدينية باللغات العربية أو العثمانية (Speiser, 1947: 13).

أما العقبة الثانية فتتمثل بالموقفين الفرنسي والروسي المعارض لوجود منافس جديد لهما في المنطقة، الذي كان له دور كبير في تأخر تطور العمل التبشيري في الدولة العثمانية في هذه المرحلة (أحمد، ١٩٧٨: ٣٢)، فمنذ أن بدأ المبشرون الأميركيون نشاطهم التبشيري في سوريا حذر القناصل الفرنسيون في بيروت حكومة بلادهم من الخطر المحتمل لنشاط المبشرين الأميركيين على النفوذ الفرنسي في المنطقة، وقد طالب نائب القنصل الفرنسي في بيروت من مختلف البطارقة في لبنان منع أتباعهم من التقرب إلى المبشرين الأميركيين أو التعامل معهم وارتداد المدارس التي أنشأوها، فضلاً عن تحفيز السلطات العثمانية لإصدار الأوامر الخاصة في منع استيراد المبشرين الأميركيين نسخ من الكتاب المقدس أو تداولها (Tibawi, 1961: 43-44)، ويعزى لهم أيضاً الدور الرئيس في إصدار قرار الحرمان من قبل البطريرك الماروني بصورة مباشرة، أو عن طريق حث حكوماتهم بتوجيه التعليمات إلى الكاردينال، رئيس الكنيسة الكاثوليكية في فرنسا، في دفع رجال الدين المارونيين للقيام بإصدار تلك اللعنات ضد المبشرين الأميركيين، كما طالب القناصل الفرنسيون من حكومتهم دعم البعثات الكاثوليكية وتشجيعها في المنطقة على أن تكون هذه البعثات تحت رعاية القنصلية الفرنسية بصورة مباشرة (Erhan, 2001: 88).

أما العقبة الثالثة فهي الوضع غير المستقر للدولة العثمانية خلال هذه المرحلة من النشاط التبشيري (Stokey, 1975: 12)، والمتمثل بالاضطرابات التي رافقت أحداث الثورة اليونانية والتدخل الأوربي لحل المسألة، فضلاً عن الوضع المتأزم الذي نجم عن الحرب الروسية العثمانية لعام ١٨٢٨ (سببت الاضطرابات التي نجمت عن أحداث الثورة اليونانية ١٨٢١-١٨٢٧ وعدم التزام الدولة العثمانية بمعاهدة اق كرمان لعام ١٨٢٦ مع روسيا بشأن الجلاء عن ولايتي الدانوب وتدعيم استقلال الصرب، إعلان روسيا الحرب على الدولة العثمانية في نيسان ١٨٢٨ حققت بعدها القوات الروسية انتصارات ساحقة على القوات العثمانية، استولت في أثرها على أدرنة، انتهت بمعاهدة اديانوبل ١٨٢٩) (الكريتي، ١٩٩٠، ١١٣-١٢٥)، الأمر الذي دفع المبشرين ومساعدتهم إلى التوجه نحو مالطا، وتوقف عملهم التبشيري بالكامل في المنطقة في ذلك الوقت (Grabill, 1971: 8).

أما العقبة الأخيرة التي واجهت المبشرين فهي قوة تمسك السكان الشرقيين بعقيدتهم الدينية، فعلى الرغم من الجهود والنفقات التي قامت بها البعثة، إلا إنها لم تثمر عن نتائج مشجعه، إذ إنها لم تتمكن من تنصير أي مسلم أو يهودي فقد كان المجتمع اليهودي مغلقاً على نفسه، فضلاً عن إن كل طائفة كانت محمية عن طريق نظام الملة (يعود تاريخ نظام الملة إلى عهد السلطان محمد الفاتح (١٤٥١-١٤٨١)، فبعد فتحه القسطنطينية عام ١٤٥٣ منح الكنيسة اليونانية الحرية في ممارسة طقوسها الدينية، ومنح

لرئيسها سلطات مدنية ودينية على جميع المسيحيين في الدولة العثمانية وكذلك ولائهم للسلطان ودفع "الخراج"، ضريبة الرأس، وفض النزاعات التي تحدث بينهم، وقد رقي "كيناريوس"، الذي عين من قبل الفاتح لمنصب العرش البطريركي للكنيسة اليونانية، ومنح لقب "ملت باشي"، أي رئيس طائفة. وفيما بعد امتد منح هذا الامتياز إلى الأرمن واليهود والكاثوليك وغيرهم، لمزيد من التفاصيل (آداموف، ١٩٨٢؛ Kent, 1984: 20) المتبع بالدولة العثمانية، الذي كان لزعماء هذه الطوائف التأثير المباشر في منع التأثيرات الأجنبية على أبناء طائفته (Grabill, 1971: 12)، إذ إن بطارقة هذه الطوائف لم يشاركوا الرأي الأمريكي بتفوق الكالفنية على المسيحية الشرقية، بل إنهم عزموا على الاعتراض عليهم وعرقلة نشاطهم، وقد وجهت اللعنات من قبلهم مراراً وتكراراً لأتباعهم من أجل عدم التقرب من المبشرين الأمريكيين أو التعامل معهم (Finnie, 1967: 124)، فقد وصل المبشرون الأمريكيون وكلهم لهفة إلى تحويل المسلمين واليهود إلى المسيحية، لكنهم واجهوا تمسكاً ومقاومة شديدة، دفعتهم إلى التركيز على الأقليات المسيحية (Szyliowicz, 1979: 116)، وبما إنهم كانوا ينظرون إلى الكنائس الشرقية المسيحية، على إنها كنائس مرتدة عن الدين، اخذوا ينتقدون تمسكها بالنواحي الشكلية وتبجيلهم صور القديسين والملائكة، ونعتهم إياها بالجهل والبعد عن التقوى (رايت، ١٩٨٧: ١٨٠)، فلم يكتف المبشرون الأمريكيون بأن يظل المسيحي أرثوذكسي أو كاثوليكي، بل يجب أن يصبح مسيحياً بروتستانتياً، فبحسب اعتقادهم إن هوى الكاثوليك مع فرنسا، وهوى الأرثوذكس مع روسيا، فإذا تحول هؤلاء إلى البروتستانتية، فإن هواهم سيكون مع الأمريكيين بالدرجة الأولى (خالدي وفروخ، ١٩٦٤: ٤٥).

الخاتمة:

وفق ما تقدم يتضح لنا أن التجارة كانت هي الدافع الرئيس لتوجه الولايات المتحدة الأمريكية نحو الدولة العثمانية منذ أواخر القرن الثامن عشر، ولأهمية التجارة للاقتصاد الأمريكي في تلك المرحلة حرصت الإدارة الأمريكية على تأمينها في البحر المتوسط عبر عقد معاهدات ملاحية وتجارة مع قوى الشمال الأفريقي فعلياً بقوة الأسطول الأمريكي. وقد حتم نمو التجارة الأمريكية مع ميناء سميرنة العثماني، ورغبة الحكومة العثمانية في الاستفادة من الخبرة الأمريكية في مجال صناعة السفن لإعادة بناء أسطولها المدمر في معركة نافارينو عام ١٨٢٧ إلى عقد معاهدة آيار عام ١٨٣٠ بين البلدين.

تركز التغلغل الاقتصادي الأمريكي في الدولة العثمانية بالدرجة الأولى على التجارة، وعلى الرغم من التوسع الملحوظ في إجمالي حجم التجارة بين البلدين، إلا أن التبادل التجاري الأمريكي مع الدولة العثمانية لم يرتق إلى مستوى التبادل التجاري العثماني مع باقي الدول الأوروبية مثل بريطانيا وفرنسا، ومبرر ذلك أن هاتين الدولتين كانتا قد عززتا مركزهما السياسي والاقتصادي في البلاد منذ قرون طويلة مما قلل من فرص باقي الدول الاستعمارية الأقل منها تجربة في هذا المجال، فضلاً عن العامل الجغرافي وبعد المسافة بين البلدين.

كان ميدان النشاط التبشيري من أبرز ميادين التغلغل الأمريكي في الدولة العثمانية، الذي تركز بصورة رئيسة على نشاط الإرساليات التبشيرية الأمريكية في الدولة العثمانية، وقد كان المجلس الأمريكي للإرساليات الخارجية من أبرز الهيئات التبشيرية الأمريكية التي عملت في الدولة العثمانية على الإطلاق. وعلى الرغم من فشل تلك الإرساليات في تحقيق هدفها الرئيس الذي أنشئت من أجله وهو كسب المسلمين واليهود إلى البروتستانتية، إلا إنها نجحت في استقطاب أعداد كبيرة من غير المسلمين إلى البروتستانتية، لاسيما الأرمن، وهو أمر له أهميته الخاصة إذا أخذنا بنظر الاعتبار أنه لم تكن هنالك أي طائفة بروتستانتية في الدولة العثمانية قبل وصول المبشرين الأمريكيين إليها، وكان لمؤسساتهم التعليمية والطبية ودور النشر التي أنشأوها في الدولة العثمانية الفضل الأكبر في هذا النجاح.

قائمة المصادر والمراجع:

١. أسامة عبد الرحمن نعمان الدوري، العلاقات العراقية - الأمريكية في سنوات الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥، (بغداد-٢٠٠٦).
٢. أسد رستم، لبنان في عهد المتصرفية، (بيروت-١٩٧٣).
٣. إنسكلوبيديا الكترونية، منشورة على الانترنت.
٤. بونداريفسكي، الغرب ضد العالم الإسلامي، ترجمة الياس شاهين، (موسكو-١٩٨٥).
٥. بونداريفسكي، سياستان إزاء العالم العربي، ترجمة: خيرى الضامن، (موسكو - ١٩٧٥).
٦. جلين تکر، معارك طرابلس بين الأسطول الليبي والأسطول الأمريكي في القرن التاسع عشر، ترجمة عمر الديدوي أبو حجلة، مكتبة الفرجاني (طرابلس - د.ت).
٧. جواد رضا رزوقي السبع، تغلغل نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية في الدولة العثمانية (١٨٣٠-١٩٠٩)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٦.
٨. جورج انطونيوس، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد، أحسان عباس، (بيروت-١٩٦٦).

٩. دكستر برنكس، فلسفة السياسة الخارجية الأمريكية: دراسة وتحليل، ترجمة: حسين عمر، (القاهرة-١٩٥٢).
١٠. رأفت غنيمي الشبخ، أميركا والعلاقات الدولية، (القاهرة-١٩٧٩).
١١. راي ون ايروين، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة الأمريكية ١٧٧٦-١٨٢٦، ترجمة: إسماعيل العربي، (الجزائر-١٩٧٦).
١٢. سالار اوسي ويوسف إبراهيم الجهماني، تركيا وأمريكا، سلسلة ملفات تركية، ط ١، (دمشق-٢٠٠٠).
١٣. سحر عباس خضير، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه تركيا ١٩١٧-١٩٢٣، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب جامعة بغداد، ٢٠٠١.
١٤. سلوى سعد الغالبي، العلاقات العثمانية الأمريكية ١٨٣٠-١٩١٨، (القاهرة-٢٠٠٢).
١٥. صلاح العقاد، المغرب العربي، (القاهرة-١٩٦٥).
١٦. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، "بداية الإمبريالات الأمريكية في الشرق الأوسط"، مجلة الدارة (الرياض)، العدد ١، السنة الثانية، تموز ١٩٨٢.
١٧. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، "بداية الوجود الأمريكي في البحر المتوسط"، مجلة كلية العلوم الاجتماعية (الرياض)، العدد ٦، ١٩٨٢.
١٨. فؤاد المرسى خاطر، "النشاط الأمريكي في الوطن العربي في القرن التاسع عشر"، مجلة آداب المستنصرية (بغداد)، المجلد ٢، العدد ٢٣، ١٩٧٨.
١٩. قسطنطين بنكوفتش، لبنان واللبنانيون، سلسلة المصادر الروسية لتاريخ بلاد الشام الحديث، ١٨٨٥.
٢٠. الكسندر آداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ج ١، ترجمة: هاشم صالح التكريتي، ط ١، (البصرة-١٩٨٢).
٢١. كمال مظهر احمد، أضواء على قضايا دولية في الشرق الأوسط، (بغداد-١٩٧٨).
٢٢. لينوار تشامبرز رايت، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية إزاء مصر ١٨٣٠-١٩١٤، ترجمة: فاطمة علم الدين عبد الواحد، (مصر-١٩٨٧).
٢٣. مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢٣، ١٩٨٣.
٢٤. مصطفى خالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ط ٣، (بيروت-١٩٦٤).
٢٥. الموسوعة العربية الميسرة، ج ١-٢، (بيروت - ١٩٨٧).
٢٦. نصار غلمية، سيطرة إسرائيل على الولايات المتحدة الأمريكية، ط ١، (بيروت-١٩٨١).
٢٧. نصر شمالي، "قرنان منذ أول حرب أميركية ضد العرب"، جريدة المغرب العربي، ٢٠٠٦
http://www.geocities.com/nassershamali/new_page_141.htm
٢٨. نقولا زيادة، "ليبيا في القرن التاسع عشر"، مجلة الأبحاث (بيروت)، السنة ١١، ج ١، آذار ١٩٥٨.
٢٩. نوري عبد بخيت السامرائي، "مبدأ مونرو وحقيقة أهدافه"، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢٤، السنة ١٤، ١٩٨٩.
٣٠. هاشم سواوي هاشم السوداني، العلاقات الأمريكية العثمانية ١٩٠٨-١٩٢٠، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) كلية التربية - جامعة الموصل، ٢٠٠٢.
٣١. هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية، المرحلة الأولى ١٧٧٤-١٨٥٦، (بغداد-١٩٩٠).

٣٢. هيفاء معلوف الإمام، "العلاقات الأمريكية الشمال افريقية في العصر الحديث"، المجلة التاريخية المغربية، السنة ٦ ، العدد ١٥-١٦ ، (المغرب-١٩٧٩).

References:

- A.C. Bailey, A Diplomatic History of The American People, (New York-1925).
- A.L. Tibawi, American Interests in Syria 1800-1901, A Study of Education, Literature and Religion, (Oxford-1966).
- A.L. Tibawi, British Interests in Palestine 1800-1901, A Study of Religious and Educational Enterprise, (Oxford-1961).
- A.N. Kurat, Turk-Amerikan Munasbetlerine Kisa Bir Bakis 1800-1959, (Ankara-1959).
- American Board of Commissioner for Foreign Missions (A.B.C.F.M.).
- C. D. Paullin, Diplomatic Negotiations of American Naval Officers 1774-1883, (New York-1965).
- Cagri Erhan, Turk-Amerikan Iliskilerinin Tarihsel Kokenleri, (Ankara-2001).
- Carl Max Kortepeter, The Ottoman Turks: Nomad Kingdom to World Empire, Isis Press, (Istanbul-1991).
- Charles Issawi, the Economic History of Turkey 1800-1914, (London-1984).
- David H. Finnie, Pioneers East: The Early American Experience in the Middle East, (Massachusetts-1967).
- E.A. Speiser, The United States and The Middle East, (London-1947).
- Encarta Encyclopedia, Copy Wright, 2006. DVD.
- F.F. Beirn, The War Of 1812, (New York-1949).
- Frank E. Ross, "The Mission of Joseph Donaldson 1795-1799", The Journal of Modern History, Vol. Vii, No. 3, (1939).
- H. Hill, Napo leon Era, (London-1949).
- H. Miller, Treaties and Other International Acts of the United States of America, Vol. I, (Washington-1933).
- Harold Margaret Sprout, the Rise of American Naval Power 1776-1918, First Edition, (Princeton-1939).
- Harry N. Howard, "Bicentennial in American-Turkish Relations", The Middle East Journal, Vol. 30, No. 3, Summer 1976.
- Harry N. Howard, Turkey the Straits and U.S. Policy, (Baltimore & London-1974)
- Henry Smith, the Question of Greek Independence, a Study of British Policy in the Near East 1821-1942, (London-1942).
http://jsri.ro/old/html%20version/index/no_11/boztemur.htm

- J.C. Hurewitz, The Middle East and North Africa in World Politics, A Documentary Record 1535-1914, Vol. I, 2 Editions (New Haven&London-1956).
- James A. Field, American and the Mediterranean World 1776-1882, (Princeton-1969).
- James Grant Wilson, And Others, Appleton's Cyclopedia of American Biography, Six Volumes, (New York-2001): Appleton's Encyclopedia, Copyright, 2001.
- James W. Spain, "The United States, Turkey and The Poppy", The Middle East Journal, Vol. 3, No. 29, Summer-1975.
- Joseph L. Grabill, Protestant Diplomacy and the Near East, Missionary Influence on American Policy 1810-1927, (Minneapolis-1971).
- Joseph S. Szyliowicz, Education and Modernization in the Middle East, (London-1979).
- Leland James Gordon, American Relations with Turkey 1830-1930, An Economic Interpretation, (Philadelphia-1932).
- Marian Kent, the Great Powers and the End of the Ottoman Empire, (London-1984).
- Nasim Sousa, the Capitulatory Regime of Turkey, (Baltimore-1933).
- O.W. Elsbrege, the Rise of Missionary Spirit in America 1700-1816, (Boston-1928).
- Orhan Koprulu, "Tarihte Turk-Amerkan Munasebetleri", Belleten, Li 200,1987.
- P.E. Shaw, American Contact with The Eastern Church, (Chicago-1937).
- Quoted In Edward Mead Earal, "American Interest in The Greek Cause 1821-1827", American History Review, XXIII, (Oct. -1927).
- Recep Boztemur, "Religion and Politics in The Making of American Near East Policy, 1918-1922", Journal for The Study of Religions and Ideologies, No.11 Summer 2005.
- Richard B. Morris, Encyclopedia of American History, (New York-1953).
- Robert W, Stookey, American and The Arab States, Un Easy Encounter, (U.S.A-1975).
- Robert W. Stookey, "The Holy Land And, The American Experience", Middle East Journal, Vol. 30, No. 3, Washington, Summer-1976.
- Roger Trask, The United States Response to Turkish Nationalism and Reform 1914-1939, (Minneapolis-1970).
- Rufus Anderson, History of The Mission of the A.B.C.F.M To the Oriental Churches, 2. Nd Edition, (Boston-1925).
- S.E. Morison, the Maritime History of Massachusetts 1773-1850, (Oxford-1961).
- Samuel Flagg Bemis, A Diplomatic History of The United States, (New York-1970).
- Sydney Nettleton Fisher, Evolution in The Middle East, (Washington-1953).
- Thomas A. Bryson, American Diplomatic Relation with The Middle East 1784-1975: A Survey, (N. J.-1977).

- Wayne S. Vucinich, The Ottoman Empire, Its Record and Legacy, (New York-1965).
- William R. Polk, The United States and The Arab World, 3. Edition, (U.S.A-1975).

أثر مؤلفات الإمام الغزالي على ابن الجوزي

The Impact of Imam Al-Ghazali's Writings on Ibn Al-Jawzi

م. م. أشرف عزيز عبد الكريم *

Ashraf Aziz Abd Al-Karim *

الملخص:

يهدف البحث إلى كشف مدى تأثير العلماء فيما بينهم، والذي بموجبه يولد نتائج إيجابية في مجال التصنيف فابن الجوزي كان من أشد المتأثرين بالغزالي في المجال العلمي بالرغم من نقده بعض مؤلفاته. ومن هذا التأثير هناك تشابه فيما بينهم سواء كان في العناوين أو مضمون بعض الكتب، نأخذ مثال كتاب "إحياء علوم الدين" للغزالي الذي انتهج ابن الجوزي نفس نهجه في مضمون كتابه بكتاب عنوانه "منهاج القاصدين ومفيد الصادقين"، وهناك كتب متشابهة إلى حد ما في العناوين مثل كتاب "التبر المسبوك في سيرة الملوك" للغزالي وكتاب "الذهب المسبوك في سيرة الملوك" لابن الجوزي.

وشملت مادة البحث مشتركات ابن الجوزي من الغزالي في مجالات الوزارة، والمذاهب والفرق والعزلة والمخالطة والوعظ وغيرها من المواضيع.

ولا يخلو البحث من نقد ابن الجوزي للغزالي في بعض المسائل التي وضحها في بعض كتبه مثل "منهاج القاصدين" وكتاب "تلبيس إبليس" هذا النقد لا يدل على كراهية ابن الجوزي لتصوف الغزالي بدليل تردد ابن الجوزي إلى شيوخ ورابطة الصوفية.

ويبدو أن جميع كتب الغزالي كانت في متناول ابن الجوزي من خلال اقتباس أفكار وعناوين ومضامين كتب الغزالي في مجالات مختلفة.

الكلمات المفتاحية: الغزالي، ابن الجوزي، الاقتباس، نقاط التشابه، التأثير.

Abstract :

The purpose of the research is to reveal the vulnerability of scientists among themselves, which generates positive results in the field of classification. Ibn Al-Jawzi was one of the most influenced by Al-Ghazali in the scientific field, even if he criticizes some of his writings. Among these, there is a similarity between them, whether in the titles or in the content of some books. We take the example of the book of Al-Ghazali "Revival of religious sciences" in which Ibn Al-Jawzi took the same approach in the content of his book, in a book entitled "Minhaj al-

* كلية التربية/ جامعة الموصل - العراق.

Email: Mobell160@gmail.com

* College of Education/ University of Mosul - Iraq.

Qasidin w Mufid al-Sadiqin", and there are books that are somewhat similar in titles, such as the book "Al-Tabar al-Masbok fi Sirat al-Muluk" by al-Ghazali and the book "Al-Dhahab al-Masbok fi Sirat al-Muluk" by Ibn al-Jawzi.

The research material included Ibn Al-Jawzi's commonalities with Al-Ghazali in the areas of the ministry, doctrines, sects, isolation, mixing, preaching, and other topics.

The research is not without Ibn Al-Jawzi's criticism of Al-Ghazali in some of the issues that he clarified in some of his books, such as "Minhaj al-Qasidin" and the book "Deceit of Iblis". This criticism does not indicate that Ibn Al-Jawzi hates of Al-Ghazali's Sufism, with evidence that Ibn Al-Jawzi frequent visits to Sufi sheikhs and associations.

It appears that all of Al-Ghazali's books were within Ibn Al-Jawzi's reach by quoting thoughts, titles, and contents of Al-Ghazali's books in various fields .

Keywords: Al-Ghazali, Ibn Al-Jawzi, Quotation, Commonalities, Influence.

المقدمة:

كانت وفاة الإمام الغزالي سنة ٥٠٥ هجرية، وولادة ابن الجوزي ٥١٠ هجرية، وهذا يعني أن ابن الجوزي لم يكن معاصراً للغزالي. بالرغم من ذلك كان ابن الجوزي متأثراً جداً به ومطلع على جميع كتبه وخاصة كتاب "إحياء علوم الدين" حيث قام ابن الجوزي باختصار هذا الكتاب باسم "منهاج القاصدين ومفيد الصادقين" وألف كتاب آخر بهذا الخصوص باسم "إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء" .

يذكر الغزالي في كتابه الغرور أنه سوف يصنف كتاب باسم "تلبيس إبليس" اذا توفر له وقت إلا أنه لم يحدث، فقام ابن الجوزي بتأليف كتاب بعنوان "تلبيس إبليس" وقد اقتبس الفكرة من الإمام الغزالي.

أما بالنسبة لعناوين الكتب المتشابهة فقد اقتبس ابن الجوزي بعض عناوين كتبه من الغزالي على سبيل المثال منهاج العارفين للغزالي ومنهاج الصادقين لابن الجوزي وألف الغزالي كتب في مجال السياسة ككتاب التبر المسبوك في سيرة الملوك وقام ابن الجوزي بتأليف كتاب الذهب المسبوك في سيرة الملوك .

بالنسبة للكتب المتشابهة في المضمون اشترك كلا الإمامين ببعض الكتب مثل "أيها الولد" للغزالي و"لغة الكبد في نصيحة الولد" لابن الجوزي وكلاهما في مجال النصيحة وكذلك ألف كلا الإمامين في مجال الفرق التي ظهرت فألف الغزالي كتاب "فضائح الباطنية" وألف ابن الجوزي كتاب "القرامطة".

شعر الإمامين بالندم في نهاية حياتهما، الغزالي ندم على دراسة علم الكلام والفلسفة ومخالطة رجال السلطة، وتوجه نحو التصوف والعزلة. وابن الجوزي ندم على مخالطة رجال السلطة وفضل العزلة، وله كتاب بهذا الخصوص بعنوان العزلة.

الوعظ أهم ما يميز الإمامين فألفه كتب بهذا الفن وكلاهما أيضًا سلك مسلك التدريس، حيث درس الغزالي بالمدرسة النظامية ودرس ابن الجوزي في خمسة مدارس أهمها الجوزية ومدرسة الشيخ عبدالقادر الجيلاني والمدرسة الشاطئية.

وكان للمسجد الأقصى مكانة لدى العلماء فألف الغزالي كتاب بعنوان معارج القدس في مدارج معرفة النفس بينما كان عنوان كتاب ابن الجوزي فضائل بيت المقدس .

بعدما أصيب الغزالي بمرض قرر أداء فريضة الحج وله كلام عن في هذا الجانب بينما ابن الجوزي زار بيت الله مرتين وألف كتاب الحج بعنوان مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن، وجاء ترتيب الفقرات حسب الأحرف الأبجدية.

التدريس:

التدريس أهم ميزة كانت تميز علماء العصر العباسي وتصنيف الكتب كانت نواته الأولى وسوف نتطرق في هذه الفرقة عن المدارس التي درس بها الإمامين الغزالي وابن الجوزي.

قام الإمام الغزالي بالتدريس في عدة مدارس وكان أهمها المدرسة النظامية من خلال معرفته بالوزير نظام الملك الذي كان له اهتمام بالمدارس حيث قام بإنشاء العديد منها، فلما التقى الإمام الغزالي بالوزير نظام الملك اعجب به لما يمتلكه من علم ومعرفة حيث قدمه ووجهه إلى بغداد، وهناك قام بالتدريس فالتف حوله كبار العلماء، وطلاب المعرفة ينهلون من علمه الجم وغزيرة معرفته (الغزالي، د. ت.، ٨) .

هذا الأمر ولد عدد من التلاميذ إذ يذكر الغزالي " فاقبلت على ذلك في أوقات فراغي من التدريس والتصنيف في العلوم الشرعية، وأنا ممنو (ممنو : اي المنعم علي ويقصد انعم الله عليه) بالتدريس والإفادة لثلاثمئة نفر من الطلبة ببغداد " (الغزالي، د. ت.، ١٥).

وإن أفضل شيء حصل للإمام الغزالي هو التدريس حسب قوله: " ثم لاحظت أحوالي، فإذا أنا منغمس في العلائق، وقد أحذقت بي من كل جانب ولاحظت أعمالي - وأحسنها التدريس والتعليم - فإذا أنا فيها مقبل على علوم غير مهمة، ولا نافعة في طريق الآخرة. " (الغزالي، د. ت.، ٣٦).

ويذكر أيضًا أن التدريس لم يكن خالص لله سبحانه وتعالى إذ يقول " ثم تفكرت في نيتي في التدريس، فإذا هي لم تكن خاصة لوجه الله تعالى ،بل باعثها ومحركها طلب الجاه، وانتشار الصيت (الغزالي، د. ت.، ٣٦).

هذا الأمر دعاه إلى التفكير في مغادرة بغداد متوجه إلى بلاد الشام وهو في حيرة من أمره ومتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة إلا أن الأمر تحول من الاختياري إلى الاضطراري إذ أصيب بمرض إذ يذكر ذلك بقوله " أقفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس، فكنت اجاهد نفسي أن أدرس يوماً واحداً تطيباً لقلوب المختلفة إلى، فكان لا ينطق لساني بكلمة واحدة ولا أستطيعها البتة " (الغزالي، د. ت.، ٣٧). وبعد ذلك تعالج الغزالي من مرضه ولازم العزلة ولم يُدرس مدة عشر سنين. وبعد ذلك عاد إلى وطنه (الغزالي، د. ت.، ٣٩). وقام بالتدريس هناك وعلى الرغم من المراسلات التي قام بها رجالات السلطة بالعودة إلى بغداد والتدريس بها إلا أنه رفضها بالجملة، وبعد وفاة الوزير نظام الملك (٥٠٤ هـ / ١١١٠م) ووفاة شمس الإسلام كيا الهراسي لم يعد هناك من يقوم بالتدريس بالمدرسة النظامية فوق الاختيار على حجة الاسلام الغزالي الذي لم يوافق على التدريس لأسباب دينية (الغزالي، ١٩٧٢: ٧٥ - ٧٦).

أما بالنسبة لابن الجوزي فقام بالتدريس في خمس مدارس جميعها في بغداد وأولها كانت مدرسة أبي حكيم النهرواني والمدرسة الثانية كانت مدرسة ابن شمل (ابن الجوزي، د. ت.، ١٤٩-١٥٠) حيث قام بالتدريس بها بعد وفاة أبو حكيم النهرواني (أبي حكيم النهرواني هو أبو ابراهيم بن دينار ولد سنة ثمانين وأربعمائة قام بالتدريس في مدرسة ابن الشمحل اذا كان عاماً في المذهب والاخلاق والفرائض) (ابن الجوزي، د. ت.، ١٤٩) بشهرين سلمت إلى تلميذه ابن الجوزي فقام بالتدريس بها من بعده (ابن الجوزي، د. ت.، ١٤٩-١٥٠؛ سبط، ٢٠١٣: ١٨) والمدرسة الثالثة هي بنفش الشاطئية (رؤوف، ١٩٦٦: ١٨٤). قام ابن الجوزي بالتدريس بها سنة (٥٧٠ هـ / ١١٧٤م) إذ يقول " سلمت الي المدرسة التي كانت دترا لنظام الدين أبي مصر بن جهير وكانت قد وصلت ملكيتها إلى الجهة المسماة بنفشة فجعلها مدرسة وسلمتها إلى أبو جعفر ابن الصباغ (أبو جعفر ابن الصباغ : ولد سنة ثمان وخمس مئة شافعي المذهب ولي القضاء في بغداد، كان نزيهاً دخل في صلاة العصر، فصلى ثلاث ركعات ومات في الرابعة، دفن بباب حرب) (سبط، ٢٠١٣: ٣٨٥)، فبقي المفتاح معه أياماً استعدت منه المفتاح وسلمته إلى من غير طلب كان مني " (الجوزي، د. ت.، ٢١٤؛ سبط، ٢٠١٣: ١٢٥؛ بن رجب، د. ت.، ٤٧٤).

أما المدرسة الرابعة كانت المدرسة الجوزية (رؤوف، ١٩٦٦: ١٨٢) حيث قام ببناء هذه المدرسة لنفسه يدرّب دينار ووقف عليها كتبه (بن رجب، د. ت.، ٤٨٥) وآخر مدرس درس بها هي مدرسة المخرمي (مدرسة عبد القادر الجيلاني) (رؤوف، ١٩٦٦: ١٤٠) بعد مشاكل حدثت مع أسرة عبد القادر

الجيلاني اذ يذكر ابن رجب في ترجمة الركن عبد السلام حفيد الشيخ عبد القادر الجيلاني إذ قال " أخرجت مدرسة جده من يده ويد أبيه عبد الوهاب وفوضت إلى الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي فذكر فيها الدروس مدة" (ابن رجب، د. ت.، ١٥٥-١٥٦).

إنّ البحث في هذا الموضوع يتطلب كتابة أطروحة وذلك لوفرة المادة، وقد اختصرنا التصوف من وجهة نظر الإمامين، بالنسبة للإمام الغزالي فإنه يعتبر من كبار رواد التصوف في عصره إذ ذكر في كتابه (المنقذ من الضلال) " اني علمت يقيناً أنّ الصوفيين هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرتهم أحسن السير وطريقتهم أقرب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق" (الغزالي، د. ت.، ٣٩).

وقد صنف كتب في التصوف منها كتاب (بداية الهدايا) (الغزالي، ٢٠٠٤، د. ص.؛ الحنبلي، ١٩٨٦: ٢١)، إلا أن أهم كتب التصوف (إحياء علوم الدين) (الغزالي، ٢٠٠٥، د. ص.)، الذي خصص جزء منه في غرور المتصوفين وقسمه إلى أصناف (الغزالي، ٢٠٠٥: ١٣٢٣-١٣٣٥؛ الشامي، ٢٠٠٦: ١٣٨). وأن كتاب إحياء علوم الدين أكثر الكتب التي تأثر بها ابن الجوزي الذي كان رأيه في التصوف ما بين المدح والذم الذي تمثل في بعض المسائل خاصة في كتابه (تلبيس إبليس) وكتاب (صيد الخاطر) أما في كتابه الأول فقد خص الإمام الغزالي في نقده (ابن الجوزي، د. ت.، ١٦٠ - ٣٨٦) وفي صيد الخاطر خص الصوفية بشكل عام (ابن الجوزي، ١٩٦٠: ٥٣-٥٧١).

وجهة نظر ابن الجوزي للتصوف ينقسم إلى رأيين: الأول عن صوفية عصره والثاني عن صوفية القدامى.

بالنسبة للرأي الأول قال فيهم " مختلطة الصوفية اليوم الذين لا نظر لهم في الرزق الحاصل... لا يتواعون ان يأخذوا من ظالم" (ابن الجوزي، ١٩٦٠: ٥٦٨-٥٦٩). ويذكر أيضاً " وقد كان أوائل الصوفية ينفرون من السلاطين والأمراء فصاروا أصدقاء" (ابن الجوزي، د. ت.، ١٦١).

ويذكر أيضاً " كان أوائل الصوفية يخرجون من أموالهم زهد منها... فأما متأخروهم فقد مالوا إلى الدنيا وجمع المال" (ابن الجوزي، د. ت.، ١٧٨-١٧٩).

كان ابن الجوزي محب الصوفية القدامى بدليل ما ذكره " لقد دخلت بعض الاربطة" (ابن الجوزي، د. ت.، ١٧٩) ويذكر أيضاً في ترجمه احد كبار الصوفية في عصره " وكنت ازوره كل سبت وانا صبي فيدعوا لي ويقرأ على صدري" (ابن الجوزي، د. ت.، ٢٨٨) وأيضاً جاء في ترجمة احد كبار علماء

الصوفية منهم منصور ابو نصر الصوفي الهمذاني اذ قال " سمعت عليه الحديث في رباط بهزاد الخادم (ابن الجوزي، د. ت.، ٢٢)

لا يخفى علينا ان ابن الجوزي تتلمذ في صباه على يد علماء الصوفية ولكن الأثر الذي تركه له كتاب الإحياء للإمام الغزالي كان واضحاً من خلال نقد الغزالي في بعض المسائل في كتابه تلبيس إبليس وكذلك اختصاره كتاب الإحياء بكتاب أسماه منهاج القاصدين ومفيد الصادقين (ابن الجوزي، ٢٠١٠، د. ص.٠).

تلبيس إبليس بين الإمامين:

أثر مؤلفات الإمام الغزالي على ابن الجوزي واضحاً وخاصة في تأليف ابن الجوزي كتابه (تلبيس إبليس) إذ أن فكرة الكتاب اقتبسها من الغزالي بدليل ما ذكره الغزالي " سنذكر جملة من مكاييد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع، ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه كتاباً على الخصوص نسميه (تلبيس إبليس) فإنه انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد للسينما في المذاهب والمعتقدات، حتى لم يبق من الخيرات إلا رسمها، كل ذلك اذعاناً لتلبيسات الشيطان ومكايده" (الغزالي، ٢٠٠٥: ٩٧٠).

وما يؤكد صحة ذلك ما ذكره تلميذه ابن العربي إذ قال " وقد قال لي شيخنا الطوسي: إن أمهلت فسأفرد كتاباً لتلبيس إبليس "(العربي، ١٩٨٦: ٦٣٢) .

من خلال ما تقدم يتضح أن ابن الجوزي كان مطلع على كتب الغزالي وقام بتأليف كتابه المسمى تلبيس إبليس وكذلك مطلع على كتاب الإحياء الذي قام باختصاره في كتابان الاول منهاج القاصدين ومفيد الصادقين والثاني إعلام الاحياء بأغلاط الإحياء (سبط، ٢٠١٣: ٩٨) اما بالنسبة لكتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي فقد قسمه إلى ثلاث عشر باباً إذ بدء كلامه عن الشيطان واحتوى الباب الثالث من الكتاب على معنى إبليس ومكايده بينما احتوى الباب الرابع على معنى الغرور "(ابن الجوزي، د. ت.، د. ص.٠) الذي ألف الغزالي كتاب بعنوان الغرور ويتضح أن مادة كتاب تلبيس إبليس فيما يخص الغرور مقتبسه من كتاب الغزالي (الغزالي، ٢٠٠٥: ١٢٩٧-١٣٠٩) .

الحج:

قام الغزالي بأداء فريضة الحج حيث ذكر ذلك في كتابه المنقذ من الضلال إذ قال " ثم تحركت في داعية فريضة الحج، والإستمداد من بركات مكة والمدينة، وزيارة رسول الله (صل الله عليه وسلم) بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله وسلامه عليه فسرت إلي الحجاز "(الغزالي، ٢٠٠٥: ٣٨) إذ ان السبب

الحقيقي وراء اداء فريضة الحج هو المرض الذي أصابه اذ قال " قفل الله لساني حتى اعتقل عن التدريس " (الغزالي، د. ت.، ٣٧) وللغزالي كتاب عن الحج بعنوان (أسرار الحج) فيه تفاصيل دقيقة على فضيلة الحج مقسم إلى فصول " (الغزالي، ٢٠٠٥ : ٢٨٣-٣١٤). ذكر الغزالي الحج في كتابه منهاج العارفين في الباب الثالث والعشرون بشكل مختصر (الغزالي، ١٩٦٨ : ٣٥).

أمّا بالنسبة لابن الجوزي قام باداء فريضة الحج مرتين الاولى كانت سنة (٥٤١هـ / ١١٤٦م) إذ قال في احداثها " حجبت انا ومعى الزوجة والأطفال " (ابن الجوزي، د. ت.، ٥٠)، وقصدها مرة ثانية في سنة (٥٥٣هـ / ١١٥٨م) إذ ذكر " حجبت في هذه السنة فتكلمت في الحرم نوبتين وزرنا قبر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (ابن الجوزي، د. ت.، ١٢٦).

وقد صنف ابن الجوزي كتاب عن الحج وذكر فيه عدة أبواب في أداء فريضة الحج سماه (مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن) (ابراهيم، ١٩٩٥). وله كتاب آخر بعنوان (كتاب أسرار الحج ومهاته) مقسم إلى ثلاث أبواب (ابن الجوزي، ١٩، ١٩٧-٢٣٦)، وله كتاب آخر عن الحج بعنوان (كتاب الحج) مقسم إلى ثلاث عشر باباً (ابن الجوزي، ١٩٦٦ : ٢٠٩-٢٢٠).

الطب:

اشترك الإمامين في تصنيف الكتب في مجال الطب، إذ اقتبس ابن الجوزي كتابه المسماه (الطب الروحاني) (ابن الجوزي، ١٩٨٦ : د. ص.). من الإمام الغزالي الذي بدوره صنف في المجال نفسه كتاب بعنوان (الطب الروحاني للجسم الانساني) (الغزالي، ١٩٩٢)، وله كتاب آخر بعنوان (مجريات الغزالي في الطب الروحاني أو الأسرار المخزونة في الطب الروحاني) (الغزالي، د. ت. : د. ص.). أي أن أغلب كتب الغزالي المذكورة هي نفس الكتاب بمسميات مختلفة وله بعض النصوص التي تدل على معرفته بالطب متأثرة في بطون كتبه على سبيل المثال لا الحصر، إذ ذكر في كتابه ايها الولد في النصيحة الرابعة قال فيها " لو كان لرجل حرارة أو مرض صفراوي، يكون علاجه بالسكننجيل والكشكاب، فلا يصل البر إلا باستعمالها " (الغزالي، د. ت. : ٢١).

لقد ذكرنا إن لابن الجوزي كتاب في الطب بعنوان (الطب الروحاني) وأيضاً له عدة كتب في المجال نفسه منها (كتاب المرض) المقسم إلى ابواب منها باب كتمان المرض، وباب تمحيص المرض للذنوب، وباب ان البلاء علامة المحب، وباب ثواب المريض، وباب ثواب من ذهب بصره، وباب ذكر العدوى، باب مخبي العافية قليلاً قليلاً المذكور في كتاب الموضوعات (ابن الجوزي، ١٩٦٦ : ١٩٩-٢٠٩). له

كتاب (الطب) المذكور أيضًا في كتاب الموضوعات المقسم إلى عدة ابواب منها باب شرب الدواء، وباب الحمى والاغتيال للمحموم وباب الاستشفاء بالقرآن، وباب فضل الحجامة يوم الثلاثاء، وباب تأثير العسل في الأمراض (ابن الجوزي، ١٩٦٦: ٢١٠-٢١٥)، ولابن الجوزي أيضًا كتاب في الطب بعنوان (لقط المنافع) ذكره في كتابه تلبيس إبليس (ابن الجوزي، د. ت.، ٢٧٩).

وله أيضًا نصوص عن الطب وعلاج بعض الحالات إذ يذكر " أن الماء الكدر يولد الحسا في الكلية والسدد في الكبد، وأن الماء البارد فإنه إذا كانت برودته معتدلة فإنه يشد المعدة، ويقوي الشهوة، ويحسن اللون، ويمنع عفن الدم وصعود البخارات إلى الدماغ ويحفظ الصحة، وإذا كان الماء حاراً افسد الهضم وأحدث الترهل وأذبل البدن وأدى إلى الاستسقاء والدق فإن سخن بالشمس خيف منه البرص (ابن الجوزي، د. ت.، ٢١٠).

ونقد الصوفية الذين يرفضون التداوي ويفضلون التوكل على الله (ابن الجوزي، د. ت.، ٢٧٩).

العزلة:

لجأ الإمامين في نهاية حياتهم إلى العزلة وابتعدوا عن مخالطة رجال السلطة. وأن الغزالي له كتاب عن العزلة وكذلك له نصوص وأبواب في هذا الجانب متناثرة في كتبه، سوف نعرضها بشكل مبسط.

فكتابه كان بعنوان (كتاب أداب العزلة) جاء ذكره في كتاب إحياء علوم الدين، وكتاب العزلة قسمه إلى أبواب، الأول كان في حجج المائلين إلى المخالطة ووجه ضعفها وذكر حجج المائلين إلى تفضل العزلة، والباب الثاني في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضلها وقسمها إلى ست فوائد الأولى كانت في التفرغ للعبادة والفكر، والثانية التخلص بالعزلة عن المعاصي، والثالثة الخلاص من الفتن والخصومات، والرابعة الخلاص من شرّ الناس، والخامسة أن ينقطع طمع الناس عنك، والسادسة الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى.

وذكر أيضًا آفات العزلة وقسمها إلى سبع فوائد الأولى في التعليم والتعلم، والثانية النفع والانتفاع، والثالثة التأديب والتأدب، والرابعة الاستئناس والإيناس، الخامسة في نيل الثواب وإنالته، والسادسة من فوائد المخالطة التواضع، والسابعة في التجارب (الغزالي، ٢٠٠٥: ٦٨٦-٧٠٨).

وجاء ذكر العزلة في كتاب (منهاج العارفين) في الباب الخامس والعشرون، كان مختصر الغزالي انه هناك عشرة اشياء يحتاجها الانسان للعزلة وكذلك ذكر ان العزلة هي صيانة الجوارح... وكسر سلاح الشيطان (الغزالي، د. ت.، ٣٧-٣٨).

وهناك نص في كتاب (المنقذ من الضلال) يذكر فيه انه مال إلى العزلة إذ قال " ثم، خلت الشام، وأقمت بها قريباً من سنتين لا شغل لي إلا العزلة والخلو... فكنت اعتكف مدة في مسجد دمشق، أصعد منارة المسجد طول النهار وأغلق بابها على نفسي " (الغزالي، د. ت.، ٣٨).

وفي دمشق عاش قرابة عشرة سنين في عزلة وخلوة إذ قال " ثم اني واطبت على العزلة قريباً من عشر سنين " (الغزالي، د. ت.، ٤٦).

وحتى بعد عودته إلى وطنه استمر في عزلته إذ قال " ثم جذبني الهمم، ودعوات الأطفال إلى الوطن، فعاودته بعد إن كنت ابعد الخلق عن الرجوع إليه، فأثرت العزلة به أيضاً حرصاً على الخلوة وتصفية القلب للذكر " (الغزالي، د. ت.، ٣٩).

أما بالنسبة لابن الجوزي أيضاً مال في نهاية حياته إلى العزلة وله كتاب ونصوص وأبواب في هذا المجال الأولى جاء ذكر العزلة في كتاب (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد) الذي كان مقسم إلى فصول ذكر فيها العزلة في الفصل الثامن بعنوان (العزلة والتمثل بأخلاق اهل العلم) ينصح فيه ولده بالعزلة ويحذره من جلس السوء ويذكره بان العزلة هي اصل كل خير (ابن الجوزي، ٢٠١٤: ٤١-٤٥).

والثانية ذكرها في كتاب صيد الخاطر الأولى بعنوان (العزلة) لا تتجاوز صفتين (ابن الجوزي، ٢٠١٤: ٧٢-٧٤).

والثانية بعنوان (عزلة العالم) لا تتجاوز أربع صفحات يذكر فيها أن أفضل شي للعالم هو العزلة (ابن الجوزي، ٢٠١٤: ٣٢٥-٣٢٨).

والثالثة كانت بعنوان (العزلة للعالم وللعايد) يذكر لا بد للعالم الزاهد العزلة (ابن الجوزي، ٢٠١٤: ٣٦٨-٣٧٠).

والرابعة بعنوان (وجوب العزلة وذم الصوفية) لا تتجاوز صفتين (ابن الجوزي، ٢٠١٤: ٥٦٨-٥٧٢).

ولابن الجوزي كتاب مؤلف من جزء واحد إلا أنه غير مطبوع بعنوان (العزلة) ذكره كل من سبط ابن الجوزي والذهبي والعلوجي (سبط، ٢٠١٣: ٩٨؛ الذهبي، ١٩٩٦: ٣٦٣؛ العلوجي، ١٩٩٢: ١٥٦). وقد ذكر العزلة أيضًا في كتاب (منهاج القاصدين ومفيد الصادقين) بعنوان (العزلة) وهو مختصر لكتاب العزلة للغزالي (ابن الجوزي، ٢٠١٤: ٤٥٩-٤٧٣)، وفي الفصل الثاني خصص ابن الجوزي فصل عن العزلة في كتابه (المدهش) يذكر فيها ان العزلة حمية البدن (بن الجوزي، د. ت.، ٣٣٨-٣٤١).

عناوين الكتب المتشابهة:

تشمل هذه الفقرة الكتب المتشابهة والقريبة بالعنوان والمضمون، الغزالي سبق ابن الجوزي في تأليف الكتب، وقد انتهج ابن الجوزي واقتبس بعض هذه العناوين واختارها عناوين لكتبه.

صنف الغزالي كتاب بعنوان (التبر المسبوك في سيرة الملوك) (الغزالي، ١٩٨٨: د. ص. ٠)، ولابن الجوزي كتاب مقارب لهذا العنوان (الذهب المسبوك في سيرة الملوك) يبدو أنه في سيرة ملوك الزمان السالفة.

وكذلك للغزالي كتاب بعنوان (جواهر القرآن) (الغزالي، ١٩٩٠)، ولابن الجوزي كتاب مقارب من حيث المضمون والعنوان باسم (جواهر المواعظ) (خليفة، د. ت.: ٦١٧)، وأيضًا له كتاب بعنوان (الجوهر) (الحنبلي، ١٩٩٢: ٣٠٩).

اشترك الإمامين في تصنيف كتب الفرق وأنواعها، بالنسبة للغزالي له كتاب يتكلم فيه عن الباطنية بعنوان (فضائح الباطنية) (الغزالي، د. ت. ٠)، وقام ابن الجوزي بتصنيف كتاب يتكلم أيضًا عن الفرق بعنوان (القرامطة) (بن الجوزي، ١٩٦٨).

ومن الكتب المتشابهة في العنوان والمضمون كتاب (منهاج العارفين) (ينظر تفاصيل هذا الكتاب فيما سبق)، وصنف ابن الجوزي كتاب مقارب من حيث العنوان والمضمون باسم (منهاج القاصدين ومفيد الصادقين) (ينظر تفاصيل هذا الكتاب فيما سبق).

أيضًا من المتشابهة في العنوان والمضمون في مجال النصيحة والإرشاد هو كتاب (أيها الولد) (قام بتحقيقه وتقديمه: جميل ابراهيم حبيب) للإمام الغزالي وهو عبارة عن مجموعة من النصائح قدمها الغزالي إلى تلميذه، وقام ابن الجوزي بتصنيف كتاب عن النصيحة والإرشاد بعنوان (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد) (الدرويش، ٢٠١٤) وهو محج عدة نصائح قدمها ابن الجوزي لابنه.

وقام الإمامين بتأليف كتاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، للغزالي كتاب بعنوان (فقه السيرة) (الغزالي، ١٩٦٥) وهو في سيرة الرسول، ولابن الجوزي عدة كتب عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم منها كتاب (الوفاة بفضائل المصطفى) (سبط، ٢٠١٣: ٩٧) وكتاب (مولد النبي) (العلوجي، ١٩٩٢: ٢٤٢) وكتاب (حديث وفاة الرسول) (العلوجي، ١٩٩٢: ١٢٣).

ومن الكتب المتشابهة في العنوان والمضمون هو كتاب (السحر) (الغزالي، د.ت.) للغزالي، وكتاب (نسيم السحر ومنظوم الدرر) (بن الجوزي، ٢٠١٨) لابن الجوزي.

ومن الكتب المختلفة في العنوان والمثابهة في المضمون كتاب إحياء علوم الدين للغزالي وكتاب منهاج القاصدين ومفيد الصادقين لابن الجوزي وهو اختصار لكتاب إحياء علوم الدين أيضًا اختصره بكتاب آخر بعنوان إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء سوف ننطرق عليهم بشكل مفصل بفقرة (ما بين كتاب إحياء علوم الدين ومنهاج القاصدين).

الغرور:

يؤدي غرور الإنسان إلى التنكر للحق والابتعاد عنه، وقد صنف الإمام الغزالي كتاب عن المغرورين بعنوان (ذم الغرور) وهو الكتاب العاشر من ربيع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين، إذ قام الغزالي بتصنيف المغرورين من العلماء والقضاة والصالحين ويذكر ان فرق المغرورين كثيرة إلا انه جمعهم في اربع اصناف، الاول العلماء، والثاني العباد، والثالث المتصوفة، والرابع أرباب الأموال (الغزالي، ٢٠٠٥: ١٢٩٦-١٣٣٥).

اما ابن الجوزي قام باختصار كتاب الإحياء من ضمنه كتاب ذم الغرور للغزالي وسماه نفس تسمية كتاب الغزالي باسم (كتاب ذم الغرور) إلا أنه قام بحذف بعض المسائل منه، وكان تقسيم كتاب ابن الجوزي إلى العلماء، والصنف الثاني ارباب التعبد والعمل، والصنف الثالث المتصوفة، والصنف الرابع أرباب الأموال (ابن الجوزي، ٢٠١٠: ٩١٦ - ٩٧٠).

من خلال ما تقدم ان ابن الجوزي لم يغير من عناوين كتاب الغزالي ولكن قام بحذف بعض الاحاديث والمسائل التي يشوبها الشك.

وقد ذكر ابن الجوزي الغرور في كتابه تلبيس إبليس لكن بشكل مختصر جدا في الباب الرابع في معنى التلبيس والغرور (ابن الجوزي، ٢٠١٠: ٣٨-٣٩).

الفرق:

حمل الإمامين مهمة الدفاع عن الدين الاسلامي ومواجهة الفرق الباطنية، فألف كلاهما كتات عنهم وذكره تفاصيل فرقهم إلا ان الغزالي أطنب في ذكرهم بشكل مفصل من خلال كتابه (فضائح الباطنية)، اما ابن الجوزي ذكرهم بشكل مختصر وان كتابه (القرامطة) هو اختصار لكتاب الغزالي فضائح الباطنية الذي ألفه الغزالي بطلب من الخليفة العباسي المستظهر بالله وقد احتوى الكتاب على عشرة ابواب، كان الباب التاسع بعنوان إقامة البراهين الشرعية على ان الإمام القائم على الحق الواجب على الخلق طاعته في عصرنا هذا هو امام المستظهر والله جرس الله ضلاله (الغزالي، د. ت.، ١٣٥-١٧١).

وقد ذكر الغزالي في الفصل الأول من الباب الثاني في كتابه فضائح الباطنية الألقاب التي تداولتها هذه الفرق على اختلاف العصور وهي عدة ألقاب (الباطنية، القرامطة، الخرمية، الاسماعلية، البابكية، المحمرة، التعليمية، السبعية، الخرمدينية) (الغزالي، د. ت.، ٢١-٢٦)، وهذا يعني ان الغزالي شمل جميل الفرق على عكس ابن الجوزي الذي ألف كتاب عن القرامطة فقط الذي اقتبس فكرته من كتاب فضائح الباطنية للغزالي الذي ذكر القرامطة بشكل مختصر إذ قال عنهم " اما القرامطة فإنما لقبوا بها نسبة إلى رجل يقال حمدان قرمط وكان احد دعائهم في الابتداء، فستجاب له في دعوته رجال فسموا قرامطة وقرمطية " (الغزالي، د. ت.، ٢٢-٢٣).

من خلال قراءة كتاب (القرامطة) و(فضائح الباطنية) تبين أن الإمامين تكفلاً يذكر معنى القرامطة وكشف ميولهم، وقد اعتمد ابن الجوزي بشكل كبير على كتاب فضائح الباطنية للغزالي مع ذكر مواضع الجودة والاختصار وحذف كل ما يخص الفلسفة والمنطق وكذلك بعض المسائل المعقدة التي كانت بعيدة عن فهم عامة الناس.

يتفق الغزالي وابن الجوزي على ان القرامطة والفرق الاخرى هم في الأصل من الباطنية (الغزالي، د. ت.، ١٣٥-١٧١؛ ابن الجوزي، ١٩٦٨: ٢٩)، إذ قال عنهم ابن الجوزي " هؤلاء قوم تبعوا طريق الملحدين، وجحدوا الشرائع وانا أشير إلى البدايات التي بنوا عليها، ثم إلى الباعث لهم على ما فعلوا؛ من نصيب دعوتهم، ثم إلى القابهم ثم إلى مذهبهم وعلومهم " (ابن الجوزي، ١٩٦٨: ٢٩-٣٠).

وقد قسم ابن الجوزي القرامطة وفرقهم حسب ما جاء ترتيب كتابه من حيث القابهم وسبب تسميتهم بالاسماعلية وسبب تسميتها بالباطنية وتسميتهم بالقرامطة الذي أطنب في ذكرهم، ويذكر أيضاً سبب تسميتها بالخرمية وكذلك سبب تسميتها بالبابكية وسبب تسميتها بالمحمرة والسبعية والتعليمية (ابن الجوزي،

١٩٦٨: ٣٥-٥٠) من خلال ما تقدم نلاحظ كمية التشابه في ما ذكره الغزالي عن اصناف الفرق مع ما ذكره ابن الجوزي.

ويذكر ابن الجوزي مذهب القرامطة " واعلم ان مذهبهم ظاهرة الرفض وباطنه الفكر "(ابن الجوزي، ١٩٦٨: ٥٧).

وذكر ابن الجوزي الباطنية في كتابه تلبيس إبليس بفصل منفرد بعنوان تلبيس إبليس على الباطنية وقد أطنب في ذكر تفاصيلهم و تلبيس إبليس عليهم (ابن الجوزي، ١٩٦٨: ٩٩-١١١).

الفلسفة:

يعتبر الإمام الغزالي من رواد الفلاسفة في عصره وله كتب في هذا الجانب منها (تهافت الفلاسفة) (الغزالي، ١٩٦٦) الذي يعتبر من اهم المفاهيم العقلانية النقدية في الاسلام في مجال نقد المنهج والفكر الفلسفي، وله أيضًا كتاب بعنوان (مقاصد الفلاسفة) (الغزالي، ٢٠٠٠).

الذي يتضمن النظام الداخلي الفلسفة وكشف مضامين النظام بحسب ما يراه الغزالي . وهناك كتاب آخر في هذا الجانب بعنوان (المنقذ من الضلال) (ينظر تفاصيل الكتاب فيما سبق) الذي تضمن بحث الغزالي عن الحقيقة ومعاناته من اجل استحصالها.

ويعتبر كتاب المنقذ للغزالي نقطة تحول وابتعاده عن الفلسفة والتوجه إلى المنهج الروحي، ويذكر الغزالي انه قام بدراسة الفلسفة دون استاذ او معلم وانه اطلع على علوم الفلاسفة باقل من سنتين، ثم لم ازال أواظب على التفكير فيه بعد فهمه قريبا من سنة، اعاوده وأتفقد غوائله وأغواره حتى اطلع على ما فيها من خداع وتلبيس، وتحقيق وتخيل اطلاقاً لم اشك فيه (الغزالي، د. ت.، ١٥).

وكذلك يبين الغزالي ان الفلاسفة القدامى افضل من فلاسفة عصره إذ قال " فإنني رأيتهم أصناف، ورأيت علومهم اقساماً، وهم على كثرة أصنافهم يلزمهم وصمة الكفر والإلحاد، وإن كان بين القدماء مهم والاقدميين، وبين الاواخر منهم والاول، تفاوت عظيم في البعد عن الحق بالقرب منه "(الغزالي، د. ت.، ١٥).

ومر الغزالي في مجال الفلسفة بمرحلتين الأولى كان محب لها ومطلع عليها ولملم بها إذ يذكر " ولم أزال في عنوان شبابي... أستكشف أسرار مذهب كل طائفة، لأميز بين محق ومبطل... ولا فلسفياً إلا

واقصده والوقوف على كنهه فلسفته " (الغزالي، د. ت.، ٧). والمرحلة الثانية بدأ يبحث عن حقيقة الفلاسفة وعلمهم وكشف حقيقتهم إذ يذكر " حتى اطلعت على ما فيه من خداع وتلبيس " (الغزالي، د. ت.، ١٥).

وقد قسم الغزالي الفلاسفة إلى اصناف إذ يذكر " واعلم انهم على كثرة فرقهم، واختلاف مذاهبهم، ينقسمون إلى ثلاث أقسام : الدهريون، والطبيعيون، والإلهيون " (الغزالي، د. ت.، ١٦).

وكذلك قام بتقسيم علومهم إذ قال " اتعلم ان علومهم بالنسبة إلى الغرض الذي نطلبه سنه اقسام: رياضية، ومنطقية، طبيعية، وإلهية، وسياسية، وخلقية " (الغزالي، د. ت.، ١٩).

اما بالنسبة لابن الجوزي فإنه قرأ كتب الغزالي الفلسفية وتشبع منها إلا انه لم يؤلف كتاب في هذا الجانب بل هناك نصوص وفقرات عن الفلاسفة مبعثرة في كتبه اغلبها نقد لهم.

نقد ابن الجوزي الفلاسفة في كتابه (صيد الخاطر) بعنوان الفلسفة والرهبانية (ابن الجوزي، ١٩٦٠: ٣١٧-٣١٨) وكذلك قام ابن الجوزي بحرق الكتب الركن عبد السلام حفيد عبدالقادر الجيلاني التي احتوت على الفلسفة (سبط، ٢٠١٣: ٥).

ذكرهم أيضًا في كتابه (تلبيس إبليس) بعنوان ذكر تلبيسه على افلاسفة وتابعيهم (ابن الجوزي، د. ت.، ٤٥-٥٠) وذكرهم أيضًا في (صيد الخاطر) بعنوان الرد على المجسمة والفلاسفة (ابن الجوزي، ١٩٦٠: ٣٧٤-٣٧٥).

وجاء ذكر فلاسفة اليونان في كتاب المنتظم في الجزء الأول (ابن الجوزي، د. ت.، ٤٢٦-٤٢٧) وذكر في الجزء الثاني علماء اليونان وملوكهم (ابن الجوزي، د. ت.، ٣-٤).

وذكر أيضًا كلام عن الفلاسفة في كتاب (ذم الهوى) في سبب الحب والعشق (ابن الجوزي، د. ت.، ٢٢٥)، وجاء ذكر الفلاسفة في كتاب (الطب الروحاني) بعنوان رياضة النفس (ابن الجوزي، ١٩٨٦: ٥٧).

كلا الإمامين كانا متأثرين بالفلسفة ومتطلعين على كتب فلاسفة اليونان وجاء ذكرهم في كتبهم، ولكن مدى هذا التأثير كان متباين بينهم، فالغزالي كان متأثرًا كثيرًا بالفلسفة وألف كتب في هذا المجال مثل كتاب تهافت الفلاسفة، ومقاصد الفلاسفة وجاء ذكرهم أيضًا في كتاب المنقذ من الضلال، اما ابن الجوزي كان تأثيره محدودًا جدًا ونقده لهم كان كثيرًا.

القدس:

للقدس مكانة مقدسة لدى المسلمين والعلماء وكان محط اهتمامهم، إذ صنف اغلب العلماء كتب عن بيت المقدس ومن ضمنهم الغزالي وابن الجوزي.

الغزالي له كتاب بعنوان (معارج القدس في مدارج معرفة النفس) (الغزالي، د.ت.).

يبدو أنه الفه في فترة اقامته في بيت المقدس إذ قال " ثم رحلت منها (يقصد بها الشام) إلى بيت المقدس، وادخل كل يوم إلى الصخرة وأغلق بابها على نفسي" (الغزالي، د.ت.، ٣٨).

ولابن الجوزي كتاب عن بيت المقدس بعنوان (فضائل بيت المقدس) احتوى على خمس وعشرون باباً بدأ بفضل الأرض المقدسة وذكر الجبل الذي عليه بيت المقدس وبداية أسرار البيت وذكر العجائب التي كانت فيه وفضل بيت المقدس وفضل زيارته وفضل الصلاة فيه (بن الجوزي، ١٩٨٠)، ولم يزور ابن الجوزي بيت المقدس ولم يغادر بغداد إلا بأداء فريضة الحج (ابن الجوزي، د.ت.، ١٢٦).

قيمة الوقت:

نشأة الإمامين وانشغالهم في التأليف وتصنيف الكتب السبب في اهتمامهم بالوقت واستغلاله من أجل نشر العلم والمعرفة إلا أنه لم يصنفه كتاب في هذا الجانب. الا ان لهم نصوص ومواعظ في كتبهم. الوقت واستغلاله كان مهم لدى الإمام الغزالي اذ ذكر "ولا ينبغي ان تكون أوقاتك مهمة، فتشتغل في كل وقت بما اتفق وكيف اتفق بل ينبغي ان تحاسب نفسك وترتب وظائفك في ليلك ونهارك، وتعين لكل وقت شغلاً لا يتعداه ولا تؤثر فيه سواه، فيه تظهر بركة الاوقات" (الغزالي، ٢٠٠٤: ١٢٠).

ويذكر أيضاً على أهمية الوقت "وأوقاتك عمرك، وعمرك رأسمالك، وعليه تجارك، وبه وصولك إلى نعيم الأبد" (الغزالي، ٢٠٠٤: ١٢٠).

وينصح الغزالي تلميذه على أهمية الوقت واستغلاله في سبيل العلم والمعرفة " كم ليال أحيتها بتكرار العلم، ومطالعة الكتب وحرمت على نفسك النوم، لا أعلم ما كان الباعث فيه" (الغزالي، د.ت.، ٢٤).

ويذكر الغزالي ان يكون الانسان منظم لوقته اذ قال " ولن تقدر على ذلك الا بأن توزع أوقاتك، وترتب أورادك من صباحك إلى مساءك" (الغزالي، ٢٠٠٤: ٧١).

وينبغي ان لا يستبق المؤمن الوقت وان يكون السعي للحصول على مراده في أوانه " فلا تسأل قبل الوقت وتيقن انك لا تصل الا بالسير" (الغزالي، د.ت.، ٤٠).

ومن مواظب الغزالي عن الوقت والحرص عليه وعدم انفاقه فيما لا فائده منه:

فالوقت هو عمر الانسان، وكل نفس من الأنفاس جوهر لا تقدر بثمن لأنها اذا فاتت لا تعود، وإذا كان الامر كذلك، فينبغي ان يحرص الانسان على وقته فلا يكون قضاءه الا في الخير (الشامي، ٢٠٠٦: ٣٢).

حال ابن الجوزي كحال الغزالي، الوقت مهم بالنسبة له ويجب استغلاله في تصنيف الكتب، فقد ذكر اهمية الوقت في كتابه صيد الخاطر بعنوان قيمة الوقت اذ قال " ينبغي للانسان ان يعرف شرف زمانه، وقدّر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم الافضل فالافضل من القول والعمل" (ابن الجوزي، ١٩٦٠: ٤٦).

وجاء ذكر أهمية الوقت في كتابه لفظة الكبد في نصيحة ولده بعنوان أهمية قيمة الوقت اذ قال (فأنتبه يا بني لنفسك واندم على ما مضى من تفريطك واجتهد في لحاق الكاملين ما دام في الوقت سعة... واذكر ساعتك التي ضاعت فكفى بها عظة... سيكون على فوات واحدة منها).

وينصح أيضاً ولده " واعلم يا بني، ان الايام تبسط الساعات، والساعات تبسط أنفاساً، وكل نفس خزانه" (بن الجوزي، ٢٠١٤: ٣١).

من خلال النصوص المذكورة في قيمة الوقت هي بمثابة نصيحة كانت للتلميذ و للابن على استغلال الوقت في العبادة والرجوع إلى الله وترك المعاصي.

كتب الخلفاء ورجالات السلطة:

صنف الإمام الغزالي كتب في السياسة سواء كانت للخليفة العباسي او رجالات السلطة في عصره، اذ له كتاب بعنوان (فضائح الباطنية) للخليفة المستظهر بالله (ت ٥١٢) الفه بأمر منه اذ يطلب من الغزالي بالدفاع عن الدين الاسلامي ضد الافكار التي تستهدفه، ويذكر الغزالي " حتى خرجت الأوامر الشريفة المقدسة النبوية المستظهرية بالإشارة إلى الخادم في تصنيف كتاب في الرد على الباطنية مشتمل على الكشف بدعهم وضلالتهم، وفنون مكرهم وحيالهم" (الغزالي، د. ت.، ١٢-١٣).

وللغزالي مكانه خاصة لدى الخليفة المستظهر بالله حتى عندما اراد السفر إلى بلاد السام لم يخبر الخليفة بذلك " وسهل على قلبي الاعراض عن الجاه والمال والأهل والولد والاصحاب... حذرا ان يطلع الخليفة اعز الله انصاره وجملة الاصحاب" (الغزالي، د. ت.، ٣٧).

ومن الكتب السياسية الأخرى كتاب (التبر المسبوك في سيرة الملوك) هو كتاب نصح فيه الغزالي السلطان محمد بن ملك شاه السلجوقي يذكر بأن العدل واختيار وزراء صالحين هم أساس ملكه (شمس الدين، ١٩٨٨).

وله كتاب ثالث عبارة عن مجموعة رسائل التي ارسلها إلى اصحاب السلطة، اذ قسم الكتاب إلى خمس ابواب، كان الاول بعنوان الرسائل التي بعثها إلى الملوك والسلطين، والثاني كانت الرسائل التي كتبها للوزراء، اما الثالث كانت بعنوان الرسائل التي كتبها للامراء واركان الدولة، والرابع الرسائل كتبها للفقهاء وأئمة الدين، والخامس فصول في مواظ متفرقة (الغزالي، د.ت.).

ولا يختلف ابن الجوزي عن الغزالي من حيث اهتمام الخليفة ورجالات السلطة به حيث قام بتصنيف عدة كتاب في السياسة سواء للخليفة العباسي او الوزارة والوزراء اذ له كتاب بعنوان (اخبار البرامكة) في الوزارة والعمال (حاجي، د.ت.، ٢٦؛ البغدادي، د.ت.، ٥٢١؛ العلوجي، ١٩٩٢، ٤٩-٨٧).

وله كتاب بعنوان (الشفاء في مواظ الملوك والخلفاء) مادته مشابهة لكتاب التبر المسبوك للغزالي (الغزولي، ٢٠٠٠: ٩٩).

ولابن الجوزي أيضًا كتاب بعنوان (الذهب المسبوك في سيرة الملوك) من خلال العنوان يتضح انه في سيرة الملوك (حاجي، د.ت.، ٨٢٩؛ البغدادي، د.ت.، ٥٢١؛ العلوجي، ١٩٩٢: ١٠١-١٠٢)، ويعتبر كتاب المنتظم من اهم كتبه في مجال السياسة (ابن الجوزي، د.ت.).

وله كتاب أيضًا بعنوان (الفخر النوري) وهو في مجلد واحد غير مطبوع يبدو انه في سيرة نور الدين محمود الزنكي من العنوان (سبط، ٢٠١٣: ٩٧؛ ابن رجب، د.ت.، ٤٩٥)

ومن الكتب المؤلفة للخلفاء العباسيين كتاب "المصباح المضىء في خلافة المستضىء" (ابن الجوزي، ٢٠٠٠؛ سبط، ٢٠١٣: ٩٧؛ ابن رجب، د.ت.، ٤٦٩؛ العلوجي، ١٩٩٢: ١٦٨).

وأيضًا كتاب "النصر على مصر" من الكتب السياسية الذي الفه ابن الجوزي للخليفة العباس المستضىء بامر الله اذ جاء ذكره في كتاب المنتظم في حوادث سنة (٥٧٦هـ / ١١٧١م) عندما اعلان الخطبة للخليفة المستضىء في مصر (ابن الجوزي، د.ت.، ١٩٦) ذكره أيضًا سبطه (ابن الجوزي، ٢٠١٣: ١٧١) وهو مطبوع وله ثلاثة كتب للخليفة الناصر، الأول بعنوان (الأعاصر في ذكر الإمام الناصر) ذكره السبط (ابن الجوزي، ٢٠١٣: ١٧١؛ العلوجي، ١٩٩٢: ١٦٤) وقال انه في مجلد والدافع

وراء هذا الكتاب هو التقرب من السلطة كما فعل مع الخليفة المستضي الذي صنف له كتابات (مصباح المضي والنصر على مصر).

اما الكتاب الثاني أيضًا كان في مدح الخليفة الناصر بعنوان (الفاخر ايام الإمام الناصر) (ابن رجب، د. ت.، ٤٩٦؛ البغدادي، د. ت.، ٥٢٢).

اما الثالث كان في ذم الخليفة الناصر كان بعنوان (عقد الخناجر في ذم الخليفة الناصر) (ابن رجب، د. ت.، ٤٩٦) يبدو انه صنفه ايام نفيه إلى واسط اذ ان الخليفة كان السبب في ذلك.

ما بين كتابان إحياء علوم الدين وكتاب منهاج القاصدين ومفيد العارفين:

يعتبر كتاب الإحياء للغزالي الذي كتبه في القدس واتمه في دمشق إذ قال ابن الجوزي في ترجمته "أخذ في تصنيف الإحياء في القدس، ثم أتمه بدمشق إلا انه وضعه على مذهب الصوفية، وترك فيه قانون الفقة" (ابن الجوزي، د. ت.، ١٢٥).

أصبح كتاب الإحياء موضع اهتمام العلماء والباحثين وأعجاب المريدين والقاصدين على قرأته ومطالعتة من ضمنهم ابن الجوزي إلا أن الأخير أخذ عليه ما اودعه الغزالي في بعض المسائل كالأحاديث التي لا تثبت والروايات التي لا صلة لها، إذ يذكر " وفي كتاب الإحياء آفات لا يعلمها إلا العلماء، وأقلها الأحاديث الباطلة الموضوعية، والموقوفة، وقد جعلها مرفوعة، وإنما نقلها كما اقتراها " (ابن الجوزي، ٢٠١٠: ٦).

ولابن الجوزي نصوص كثيرة ينقد فيها كتاب الإحياء منها ما ذكره في كتابه تلبيس إبليس " وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم (يقصد الصوفية) كتاب الإحياء على طريقة القوم وملاه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها وتكلم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقة " (ابن الجوزي، د. ت.، ١٦٠).

وذكر أيضًا " وذكر في كتاب الإحياء من الأحاديث الموضوعية وما لا يصح غير قليل وسبب ذلك قلة معرفته بالنقل فليته عرض تلك الأحاديث على من يعرف وإنما نقل نقل حاطب ليل " (ابن الجوزي، د. ت.، ١٢٦)

وقال أيضًا " وكان بعض الناس شغف بكتاب الإحياء فاعلمته بعيوبه، تم كتبه له فأسقطت ما يصلح اسقاطه وزدت ما يصلح أن يزيد " (ابن الجوزي، د. ت.، ١٢٦).

كان للأحاديث التي لا تثبت والروايات الضعيفة في كتاب الإحياء سبب في تصنيف ابن الجوزي كتب ينقده، والكتبان هو مختصر كتاب الإحياء، الأول كان بعنوان (منهاج القاصدين ومفيد الصادقين) الذي ذكره سبط ابن الجوزي وقال انه في فصل الرياضات ونحوها (سبط، ٢٠١٣: ٩٨) وقد ذكر ابن الجوزي كتابه منهاج القاصدين إذ قال " وسميت كتابي هذا منهاج القاصدين ومفيد الصادقين"(ابن الجوزي، ٢٠١٠: ٩).

والكتاب الثاني بعنوان (إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء) مكون من جزآن (سبط، ٢٠١٣: ٩٨).

وقد خص ابن الجوزي في كتابه منهاج القاصدين فصل بعنوان (في تصنيف كتاب إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء) ذكر فيه " لما خفت أن تتوق، إلى ذلك الكتاب لمكان ألفك له، أفردت في كتاب (يقصد كتاب إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء) وذكر عيون عيوبه وأوردت هنالك بعض زلاته، لتعليم عله نهي... وانما لم اذكر اغلاطه ها هنا لئلا يتكدر قلب قد شرعنا في تصنيفه، او يتأذى بالتخليط سقيم قد رأينا أول عافيته"(ابن الجوزي، ٢٠١٠: ٨).

ويذكر أيضاً ابن الجوزي " وقد جمعت اغلاط الكتاب وسميت إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء واشرت إلى ذلك في بعض كتابي تلبيس إبليس"(ابن الجوزي، د. ت.، ١٢٥).

كما ذكرنا سابقاً أن كتاب منهاج القاصدين هو اختصار لكتاب الإحياء والهدف كان حذف الأحاديث الضعيفة منه إذ ذكر ابن الجوزي فصل في اختصار كتاب الاحياء في كتابه منهاج القاصدين " وربما رأييتي أقصر في بعض الابواب والفصول، واحذف كثيراً من الأخبار والآثار فلا تظن ذلك سهواً، بل عمدًا لأنني لم أترك ذلك إلا لآفة في المتروك، فربما كانت الاحاديث لا تثبت، والآثار لا تصح، وربما قلت فائدتها، وربما تكون قد سبقت، فاعرف ذلك "(ابن الجوزي، ٢٠١٠: ٧-٨).

وقد اعتبر ابن الجوزي كتاب منهاج القاصدين من الكتب السلوكية إذ نصح ابنه في قرأتها " عليك بكتاب منهاج المريدين فإنه يعلمك السلوك فأجعله جليساك ومعلمك"(ابن الجوزي، ٢٠١٤: ٥٩).

مخالطة رجالات السلطة:

خلاصة التجربة التي خاضها الإمامين مع رجالات السلطة كان لهم آراء في المخالطة.

الغزالي ذكر لنا بعضها في كتابه (أيها الولد) في نصيحة تلميذه أن يبتعد عن مخالطة الأمراء والسلاطين إذ قال "لا تخالط الأمراء والسلاطين، ولا تراهم، لان رؤيتهم ومجالستهم آفة عظيمة، ولو ابتليت من غير اختيار بها، دع عنك مدحهم، وثناءهم" (الغزالي، د. ت.، ٤٦).

ومن نصائح الغزالي لتلميذه أن لا يقبل الهدايا من الأمراء إذ قال "أن لا تقبل شيئاً من عطايا الأمراء وهداياهم وان علمت أنها حلال" (الغزالي، د. ت.، ٤٨).

ويحذر من الطمع وقبول عطاياهم "الطمع منهم يفسد الدين" (الغزالي، د. ت.، ٤٦-٤٧) وخصص الغزالي الباب السادس من كتاب الحلال والحرام عن مخالطة السلطين بعنوان فيما يحل من مخالطة السلطين الظلمة وما يحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والإكرام لهم (الغزالي، ٢٠٠٥: ٥٩٣-٦٠٥).

ويرى الغزالي ان عزلة السلطين هي افضل شيء إذ ذكر "أن يعتزلهم فلا يراهم ولا يرونه، وهو الواجب إذ لا سلامة إلا فيه؛ فعليه أن يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم ولا يثني عليهم ولا يستخير عن احوالهم، ولا يتقرب إلي المتصلين بهم، ولا يتأسف على ما يفوق بسبب مفارقتهم" (الغزالي، ٢٠٠٥: ٥٩٧).

أما بالنسبة إلى مخالطة ابن الجوزي للسلطة ورجالاتها ليس له كتاب بهذا الخصوص لكن له نصوص وعناوين في بعض كتبه إذ ذكر في كتاب صيد الخاطر بعض منها (مخالطة السلطين وأضرارها) (ابن الجوزي، ١٩٦٠: ٥٠١).

وكذلك (شروط مصاحبة السلطين) (ابن الجوزي، ١٩٦٠: ٤٥٩)، ويرى ضرورة العزلة للعالم العابد (ابن الجوزي، ١٩٦٠: ٣٦٤-٣٧٠) وكذلك (النهى عن مخالطة السلطين) (ابن الجوزي، ١٩٦٠: ٣٩٨-٤٠٣).

ويفضل ابن الجوزي العزلة عن مخالطة ومصاحبة السلطين إذ يقول "أشرف وأطيب عيشاً من منفرد في زاوية لا يخالط السلطين" (الجوزي، ١٩٦٠: ٣٩٩).

ويحذر على ضرورة عدم مخالطة العالم الزاهد رجالات السلطة "اعوذ بالله من عالم مخالط للعالم ولا سيما لارباب المال والسلطين" (الجوزي، ١٩٦٠: ٣٦٩).

يخبرنا ابن الجوزي كيف تقرب من السلطة إذ قال " فانتهى الأمر إلى أن صار بعض ولاية الأمور يستحسن كلامي، فأمالني إليه فمال الطبع، ففقدت تلك الحلاوة، ثم استمالني آخر، فكنت أتقي مخالطة ومطاعمة، لخوف الشبهات " (الجوزي، ١٩٦٠: ١٢١).

من خلال ما تقدم من نصوص يتفق الإمامين على أن المخالطة تجلب الظلمة وعدم الاستقرار وتخلق لهم نزاعات وعلاجهم هي العزلة التي نتیجتها الزهد والتعبد والابتعاد عن السلطة.

المذهب:

للغزالي عدة كتب في المذهب الشافعي الأول هو الوسيط في المذهب، والكتاب الثاني بعنوان الوسيط وهو اختصار لكتاب البسيط وقد اعتبره الفقهاء أحد الكتب الخمسة التي عليها مدار الفقه الشافعي، والكتاب الثالث هو الوجيز أيضاً يعتبر من الكتب الخمسة التي عليها مدار الفقه الشافعي (الحنبلي، ١٩٨٦: ٢١).

اما بالنسبة لابن الجوزي، له عدة كتب في المذاهب ولم يكون تأليفه مختصر على مذهبه الحنبلي فقط بل شمل المذهب الأربعة، له كتاب بعنوان (المنفعة في المذهب الأربعة) (سبط، ٢٠١٣: ٩٧) أيضاً له كتاب بعنوان (المذهب في المذهب) (سبط، ٢٠١٣: ٩٧) وكتاب (المذهب الأحمد في فقه الإمام أحمد) (العلوجي، ١٩٩٢: ٢٠٩) وكتاب (مسبوك الذهب في المذهب) (العلوجي، ١٩٩٢: ٢١١).

النكاح:

قام الإمامين بتأليف كتب عن موضوع النكاح وبنوا آفات وفوائد وشرحوا الكثير من المسائل التي تخص النكاح، إذ قام الإمام الغزالي بتأليف كتاب بعنوان (أداب النكاح) وقسمه إلى ثلاث ابواب، وكان القسم الاول مقسم إلى قسمين حيث احتوى الكتاب على جميع التفاصيل التي تخص النكاح من آداب المعاشرة وعلى المرأة من واجبات وما على الرجل من حقوق وواجبات (الغزالي، ٢٠٠٥: ٤٩٧-٤٥٦) إذ قام ابن الجوزي بأختصار كتاب آداب النكاح للغزالي ولم يقوم بتغيير إسم الكتاب فقط قام بحذف بعض المسائل، ولم يغير العناوين الرئيسية (ابن الجوزي، ٢٠١٠: ٣٥٠-٣٧٣).

وألف ابن الجوزي كتاب بعنوان (احكام النساء) الذي احتوى في الباب الثاني والستون في الأمر بتزويج أو فصل النكاح لم يتجاوز الصفتين (بن الجوزي، ١٩٩٧: ١٩٥-١٩٧).

واحتوى كتاب الموضوعات المقسم إلى عدة كتب على كتاب النكاح إذ ذكر فيه ابن الجوزي عدة مشائل تخص النكاح شكلت ثمان وثلاثون باباً (ابن الجوزي، ١٩٩٧: ٢٥٥-٢٨٠) وكذلك احتوى كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي على ابواب تخص النكاح منها في موضوع الحب والزواج (بن الجوزي، ١٩٦٠: ٧٨-٨٤) وكذلك احتوى كتاب صيد الخاطر فيالباب الأخير على شرح مفصل عن النكاح بعنوان كيف يجب أن تعاشر النساء (بن الجوزي، ١٩٦٠: ٦٦٢-٦٦٣).

الوزارة:

من القواسم المشتركة بين الغزالي وابن الجوزي هو كلامهم وتصنيفهم كتب عن الوزراء والوزارة. قام الإمام الغزالي بتأليف كتاب عنوانه (التبر المسبوك في سيرة الملوك) ألفه الغزالي للسلطان محمد بن ملك شاه السلجوقي إذ احتوى الباب الثاني من الكتاب على سياسة الوزراء واهم ما جاء فيه هو الأهمية في اختيار الوزير على ان يكون عادل وصادق لانه أساس الدولة ولم يتجاوز كلام الإمام الغزالي سوى خمس صفحات شكلت حكايات وحكم عن الوزراء (الغزالي، ١٩٨٨: ٨٣-٨٩).

اما بالنسبة لابن الجوزي له كتاب عن الوزارة بعنوان (اخبار البرامكة) ذكره الصفدي وقال انه في تاريخ الوزراء والعمال(الصفدي، ٢٠٠٠، ٦٠) وذكره حاجي خليفة والبغدادي (خليفة، د. ت.، ٢٦؛ البغدادي، د. ت.، ٥٢١) إلا أن الكتاب غير مطبوع ولا نعلم مادة الكتاب ويتضح من خلال العنوان أن مادته عن سياسة الوزراء البرامكة.

واحتوى كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والامم عن ترجمات طويلة لوزراء عصره والذين سبقوه كالوزير ابن هبيرة والوزير ابن يونس (ابن الجوزي، د. ت.، ١٦٦).

الوعظ:

لم يصنف الغزالي كتاب عن الوعظ إلا أن له مقططات موزعة بين كتبه قام أحد الباحثين بجمعها وجعلها كتاب بعنوان مواظ الإمام الغزالي (الشامي، ٢٠٠٦).

وما يؤكد أن الغزالي لم يكن له كتب ولم يكن واعظ هو رسالته إلى أبي حامد احمد بن سلامة بالموصل فقال خلال فصوله " اما الوعظ : فلا أرى نفسي اهلا له، لان الوعظ زكاة نصابه الابتعاد "(الغزالي، ٢٠٠٤: ٣٨) .

وله مواظ في كتاب أيها الولد في نصيحة تلميذه (الغزالي، ٤٤-٤٥) بينما ابن الجوزي له مجالس وعظ، والعديد من كتب الوعظ وأسهمها (الازج في الموعظة) (سبط، ٢٠١٣: ٩٩) وكتاب (بستان الواعظين ورياض السامعين) (خليفة، د. ت.، ٢٤٤؛ البغدادي، د. ت.، ٥٢١) وكتاب (جواهر المواظ)(خليفة، د. ت.، ٦١٧) وغيرها من الكتب.

الخاتمة:

- ١- مؤلفات الإمام الغزالي كانت متنوعة وقد اقتبس منها ابن الجوزي الكثير من العناوين.
- ٢- من خلال قراءة البحث يتضح مدى تأثير ابن الجوزي بالإمام الغزالي في جميع المجالات.
- ٣- هناك عناوين كتب للإمام الغزالي لم يستطع انجازها لظروف معينة قام ابن الجوزي بأنجازها مثل كتاب تلبيس إبليس.
- ٤- قام ابن الجوزي باختصار بعض من كتب الإمام الغزالي مثل كتاب إحياء علوم الدين وفضائح الباطنية.

قائمة المصادر والمراجع:

- ١- ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبدالقادر الارناؤوط، (بيروت: ١٩٨٦)، دار ابن كثير، مج ٦.
- ٢- أبي حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، (٢٠٠٥: بيروت)، دار ابن حزم.
- ٣- أبي حامد الغزالي، الطب الروحاني للجسم الانساني، (بيروت: ١٩٩٢)، المكتبة الثقافية.
- ٤- أبي حامد الغزالي، الاسرار المخزونة في الطب الروحاني، طبعتها ووضحها: عبد الغني محمد علي الفاسي.
- ٥- أبي حامد الغزالي، الاسرار المخزونة في الطب الروحاني، طبعتها ووضحها: عبد الغني محمد علي الفاسي.
- ٦- أبي حامد الغزالي، التبر المسبوك في سيرة الملوك، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، (بيروت: ١٩٨٨)، دار الكتب العلمية.
- ٧- أبي حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق: سعد كريم الفقي، (الإسكندرية: د.ت)، ابن خلدون.
- ٨- أبي حامد الغزالي، أيها الولد، تحقيق: جميل ابراهيم حبيب.
- ٩- أبي حامد الغزالي، بداية الهداية، (بيروت: ٢٠٠٤)، دار المنهاج.
- ١٠- أبي حامد الغزالي، تهافت الفلاسفة تحقيق: سليمان دنيا، ط٤، (القاهرة: ١٩٦٦)، دار المعارف.
- ١١- أبي حامد الغزالي، جواهر. القرآن، تحقيق: محمد رسيد رضا القباني، (بيروت: ١٩٩٠)، دار إحياء العلوم.

- ١٢- ابي حامد الغزالي، فضائح الباطنية، اعتته به وراجعته: محمد علي القطب، (بيروت : د.ت)، المكتبة العصرية، مقدمة المؤلف.
- ١٣- ابي حامد الغزالي، فضائح الباطنية، اعتنى به وراجعته : محمد علي قطب، (بيروت : د.ت) المكتبة العصرية.
- ١٤- ابي حامد الغزالي، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، (بيروت : د.ت)، دار الافاق الجديدة.
- ١٥- ابي حامد الغزالي، مقاصد الفلاسفة، تحقيق : محمود بيجو، (دمشق : ٢٠٠٠)، مطبعة الصباح.
- ١٦- ابي حامد الغزالي، منهاج العارفين، (بغداد : ١٩٦٨)، مطبعة المعارك.
- ١٧- ابي حامد الغزالي، فقه السيرة، ط٦، (مصر : ١٩٦٥)، دار الكتب الحديثة.
- ١٨- احمد الشامي، مواعظ الغزالي، (بيروت : ٢٠٠٦)، دار الكتب الاسلامي.
- ١٩- احمد شمس الدين، (بيروت : ١٩٨٨)، دار الكتب العلمية.
- ٢٠- البغدادي، هدية العارفين، ج ١.
- ٢١- حاجي، كشف الظنون، ج ١.
- ٢٢- حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ١ .
- ٢٣- صالح احمد الشامي، مواعظ الإمام الغزالي، (بيروت : ٢٠٠٦)، المكتب الاسلامي.
- ٢٤- صلاح الدين خليل أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق : أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت : ٢٠٠٠)، دار إحياء التراث العربي، ج ١، ص ٦٠.
- ٢٥- عبد الحميد العلوجي، مؤلفات ابن الجوزي، (الكويت : ١٩٩٢)، طبعة جريدة مزينة، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ص ١٥٦.
- ٢٦- عبد الرحمن بن احمد بن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق : عبد الرحمن بن سلمان العثيمين، (مكة - جامعة ان القرى: د.ت)، مكتبة العبيكان، ج ٢.
- ٢٧- عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، فضائل بيت المقدس، تحقيق : جبران سليمان جبور، ط٢، (بيروت : ١٩٨٠)، دار الافاق الجديدة.
- ٢٨- عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق : محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت : د.ت)، دار الكتب العلمية، ج ١٨.
- ٢٩- عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تلبيس ابليس، (بيروت : د.س)، دار القلم، هذه صفحات نقد ابن الجوزي للغزالي.
- ٣٠- عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، منهاج القاصدين ومفيد الصادقين، تحقيق : كامل محمد الخراط، (٢٠١٠ : دمشق)، دار التوفيق.
- ٣١- عبد الرحمن بن علي بن ابن الجوزي، الطب الروحاني، تحقيق : ابو هاجر محمد السعيد بن سيوني الزغول، (القاهرة : ١٩٨٦)، مكتبة الثقافة الدينية.

- ٣٢- عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، احكام النساء ،تحقيق عمرو عبدالمنعم سليم، (القاهرة : ١٩٩٧)، مكتبة ابن تيمية، ص ١٩٥، -١٩٧.
- ٣٣- عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، القرامطة، تحقيق : محمد الصباغ، ط، ٢، ٣، ٤، ٥ (بيروت دمشق : ١٩٦٨-١٩٨١)، المكتبة الإسلامية.
- ٣٤- عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المدهش، ضبطه وصححه وعلق عليه مروان قباني، (بيروت : د.ت)، دار الكتب العلمية.
- ٣٥- عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المصباح المضئ في خلافة المستضي، (بيروت : ٢٠٠٠)، شركة المطبوعات ؛ سبط، مرآة، ج ٢٢، ص ٩٧ ؛ ابن، رجب، ذيل، ج ٢، ٤٦٩ ؛ العلوجي، مؤلفات، ص ١٦٨.
- ٣٦- عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ذم الهوى، تحقيق : ايمن البحيرة، مؤسسة الكتب الثقافية .،
- ٣٧- عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، لفظة الكبد إلى نصيحة الولد، تحقيق : عبد الحميد محمد الدرويش، (بيروت : ٢٠١٤)، دار المقتبس.
- ٣٨- عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، نسيم السحر ومنظوم الدرر، تحقيق : عبد الكريم الانيس، (دبي : ٢٠١٨)، الشؤون الإسلامية.
- ٣٩- عبد الرحمن بن محمد العلمي الحنبلي، الدرر المنضد في ذكر اصحاب الإمام احمد، حققه وقدم له : عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، (مكة المكرمة : ١٩٩٢)، مطبعة المدني.
- ٤٠- عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي، الموضوعات، تحقيق : عبدالرحمن محمد عثمان، (المدينة المنورة : ١٩٦٦)، المكتبة السلفية، ج ٢.
- ٤١- عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي، صيد الخاطر، حققه : ناجي الطنطاوي، (دمشق : ١٩٦٠)، دار الفكر.
- ٤٢- عبدالعزيز سيد هاشم الغزولي، ابن الجوزي الإمام المربي والواعظ البليغ والعالم المتقن، (دمشق : ٢٠٠٠)، دار القلم، ص ٩٩.
- ٤٣- عماد عبد السلام رؤوف، مدارس بغداد في العصر العباسي، (بغداد : ١٩٦٦)، مطبوعة دار البصري.
- ٤٤- قام بتحقيق هذا الكتاب مرزوق علي ابراهيم (د.م: ١٩٩٥)، دار الدراية.
- ٤٥- قام بتحقيقه: عبد الحميد محمد الدرويش، (بيروت : ٢٠١٤)، دار المقتبس.
- ٤٦- محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، سير اعلاء النبلاء، تحقيق : بشار عواد معروف ومحيى هلال السرحان، (بيروت : ١٩٩٦) مؤسسة الرسالة، ج ٢١.
- ٤٧- محمد بن عبدالله بن العربي، قانون التأويل، تحقيق : محمد السليمان، (بيروت: ١٩٨٦)، دار القبلية للثقافة الإسلامية.
- ٤٨- ينظر : أبي حامد الغزالي، بداية الهداية، (بيروت : ٢٠٠٤)، دار المنهاج.
- ٤٩- ينظر تفاصيل هذه المراسلات: ابي حامد الغزالي، فضائل الأنام من رسائل حجة الاسلام، ترجمه عن الفارسية نور الدين آل علي، (تونس : ١٩٧٢)، المدار التونسية.

٥٠- يوسف بن قزل وغلي المعروف سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق: إبراهيم الزئيقي، (٢٠١٣: بيروت)، دار الرسالة العلمية، ج ٢١.

References:

- 1- Ibn al-Imad al-Hanbali, Nuggets of Gold in News of Gold, edited by: Abdul Qadir al-Arnaout, (Beirut: 1986), Dar Ibn Katheer, vol. 6.
- 2- Abu Hamid Al-Ghazali, Ihya' Ulum al-Din, (2005: Beirut), Dar Ibn Hazm.
- 3- Abu Hamid Al-Ghazali, Spiritual Medicine for the Human Body, (Beirut: 1992), Cultural Library.
- 4- Abu Hamid Al-Ghazali, The Secrets Stored in Spiritual Medicine, captured and explained by: Abdul-Ghani Muhammad Ali Al-Fassi.
- 5- Abu Hamid Al-Ghazali, The Secrets Stored in Spiritual Medicine, captured and explained by: Abdul-Ghani Muhammad Ali Al-Fassi.
- 6- Abu Hamid Al-Ghazali, The Cast Iron in the Biography of Kings, edited and authenticated by: Ahmed Shams Al-Din, (Beirut: 1988), Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- 7- Abu Hamid Al-Ghazali, The Savior from Misguidance, edited by: Saad Karim Al-Fiqi, (Alexandria: D.T.), Ibn Khaldun.
- 8- Abu Hamid Al-Ghazali, O Boy, edited by: Jamil Ibrahim Habib.
- 9- Abu Hamid Al-Ghazali, The Beginning of Guidance, (Beirut: 2004), Dar Al-Minhaj.
- 10- Abu Hamid Al-Ghazali, The Incoherence of Philosophers, edited by: Suleiman Dunya, 4th edition, (Cairo: 1966), Dar Al-Maaref.
- 11- Abu Hamid Al-Ghazali, Jawaher. The Qur'an, edited by: Muhammad Rasid Reda Al-Qabbani, (Beirut: 1990), Dar Ihya' al-Ulum.
- 12- Abu Hamid Al-Ghazali, Esoteric Scandals, take care of it and review it: Muhammad Ali Al-Qutb, (Beirut: D.T.), Al-Maktabah Al-Asriyya, author's introduction.
- 13- Abu Hamid Al-Ghazali, Esoteric Scandals, taken care of and reviewed by: Muhammad Ali Qutb, (Beirut: D.T.), Al-Maktabah Al-Asriyya.
- 14- Abi Hamid Al-Ghazali, Al-Ma'raj Al-Quds fi the Madarij Al-Knowledge of the Self, (Beirut: D.T.), New Horizons House.
- 15- Abu Hamid Al-Ghazali, The Objectives of the Philosophers, edited by: Mahmoud Bijou, (Damascus: 2000), Al-Sabah Press.
- 16- Abu Hamid Al-Ghazali, Minhaj al-Arifeen, (Baghdad: 1968), Battle Press.
- 17- Abu Hamid Al-Ghazali, Fiqh Al-Sira, 6th edition, (Egypt: 1965), Dar Al-Kutub Al-Hadithah.
- 18- Ahmed Al-Shami, Al-Ghazali's Sermons, (Beirut: 2006), Dar Al-Kutub Al-Islami.
- 19- Ahmed Shams Al-Din, (Beirut: 1988), Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- 20- Al-Baghdadi, The Gift of the Knowing, Part 1.
- 21- Haji, Revealing Suspicions, Part 1,
- 22- Haji Khalifa, Revealing Suspicions, Part 1.
- 23- Saleh Ahmed Al-Shami, Sermons of Imam Al-Ghazali, (Beirut: 2006), The Islamic Office.
- 24- Salah al-Din Khalil Aybak al-Safadi, al-Wafi bi al-Wafiyat, edited by: Ahmed al-Arnaout and Turki Mustafa, (Beirut: 2000), Dar Ihya al-Turath al-Arabi, vol. 1, p. 60.
- 25- Abdul Hamid Al-Alwaji, Works of Ibn Al-Jawzi, (Kuwait: 1992), Mazidah newspaper edition, publications of the Center for Manuscripts, Heritage and Documents, p. 156.

- 26- Abd al-Rahman bin Ahmad bin Rajab, The Dhiyl on the Hanbali Classes, edited by: Abd al-Rahman bin Salman al-Uthaymeen, (Mecca - University of Inn al-Qura: d.d.), Al-Obaikan Library, vol. 2.
- 27- Abd al-Rahman bin Ali bin al-Jawzi, The Virtues of Bayt al-Maqdis, edited by: Jeeran Suleiman Jabour, 2nd edition, (Beirut: 1980), New Horizons House.
- 28- Abd al-Rahman bin Ali Ibn al-Jawzi, The Regulator in the History of Kings and Nations, edited by: Muhammad Abd al-Qadir Atta and Mustafa Abd al-Qadir Atta, (Beirut: D.T.), Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, vol. 18.
- 29- Abd al-Rahman bin Ali Ibn al-Jawzi, The Devil's Dressing, (Beirut: D.S.), Dar al-Qalam. These are the pages of Ibn al-Jawzi's criticism of al-Ghazali.
- 30- Abd al-Rahman bin Ali Ibn al-Jawzi, Minhaj al-Qasidin wa Mufid al-Sadiqin, edited by: Kamel Muhammad al-Kharrat, (2010: Damascus), Dar al-Tawfiq.
- 31- Abd al-Rahman bin Ali bin Ibn al-Jawzi, Spiritual Medicine, edited by: Abu Hajar Muhammad al-Saeed bin Siyuni al-Zaghloul, (Cairo: 1986), Library of Religious Culture.
- 32- Abd al-Rahman bin Ali bin al-Jawzi, Ahkam al-Nisa', edited by Amr Abd al-Moneim Salim, (Cairo: 1997), Ibn Taymiyyah Library, pp. 195-197.
- 33- Abd al-Rahman bin Ali bin al-Jawzi, Al-Qarmatiya, edited by: Muhammad al-Sabbagh, edition, 2,3,4,5 (Beirut-Damascus: 1968-1981), the Islamic Library.
- 34- Abd al-Rahman bin Ali bin al-Jawzi, al-Mudhidh, compiled and authenticated by Marwan Qabbani, (Beirut: D.T.), Dar al-Kutub al-Ilmiyyah,
- 35- Abd al-Rahman bin Ali bin al-Jawzi, The Bright Lamp in the Caliphate of the One Who Illuminate, (Beirut: 2000), Publications Company; Sibat, Mirror, vol. 22, p. 97; Ibn, Rajab, Dhayl, vol. 2, 469; Al-Alwaji, writings, p. 168.
- 36- Abdul Rahman bin Ali bin Al-Jawzi, slandering passion, investigated by: Ayman Al-Buhaira, Cultural Books Foundation.
- 37- Abd al-Rahman bin Ali bin al-Jawzi, The Liver's Gesture to the Boy's Advice, edited by: Abd al-Hamid Muhammad al-Darwish, (Beirut: 2014), Dar al-Muqtasab.
- 38- Abdul Rahman bin Ali bin Al-Jawzi, Naseem Al-Sahar and the System of Pearls, edited by: Abdul Karim Al-Anis, (Dubai: 2018), Islamic Affairs.
- 39- Abd al-Rahman bin Muhammad al-Ulaimi al-Hanbali, al-Durar al-Manadd fi Dhikr al-Mannadh fi Dhikr al-Imam Ahmad's Companions, verified and presented to him by: Abd al-Rahman bin Sulaiman al-Uthaymeen, (Mecca: 1992), Al-Madani Press.
- 40- Abd al-Rahman bin Ali Ibn al-Jawzi, Al-Mawdoo'at, edited by: Abd al-Rahman Muhammad Othman, (Medina: 1966), Al-Maktabah al-Salafiyya, Part 2.
- 41- Abd al-Rahman bin Ali Ibn al-Jawzi, The Hunt of Thought, edited by: Naji al-Tantawi, (Damascus: 1960), Dar al-Fikr.
- 42- Abdulaziz Sayyed Hashim Al-Ghazouli, Ibn al-Jawzi, the imam, the educator, the eloquent preacher, and the masterful scholar, (Damascus: 2000), Dar Al-Qalam, p. 99.
- 43- Imad Abdul Salam Raouf, Baghdad Schools in the Abbasid Era, (Baghdad: 1966), Dar Al-Basri Publication.
- 44- This book was edited by Marzouq Ali Ibrahim (D.M.: 1995), Dar Al-Dariah.
- 45- Verified by: Abdul Hamid Muhammad Al-Darwish, (Beirut: 2014), Dar Al-Muqtasab.

- 46- Muhammad bin Ahmed bin Othman Al-Dhahabi, Biography of the Most Noble, edited by: Bashar Awad Marouf and Mohya Hilal Al-Sarhan, (Beirut: 1996) Al-Resala Foundation, vol. 21.
- 47- Muhammad bin Abdullah bin Al-Arabi, The Law of Interpretation, edited by: Muhammad Al-Sulaymani, (Beirut: 1986), Dar Al-Qibla for Islamic Culture.
- 48- See: Abu Hamid Al-Ghazali, The Beginning of Guidance, (Beirut: 2004), Dar Al-Minhaj;
- 49- See the details of this correspondence: Abu Hamid Al-Ghazali, The Virtues of Al-Anam from the Letters of Hujjat Al-Islam, translated from the Persian by Nour Al-Din Al Ali, (Tunis: 1972), Al-Madar Al-Tunisia.
- 50- Yusuf bin Qazal Waghli al-Ma'rouf, the descendant of Ibn al-Jawzi, Mirror of Time in the History of Notables, edited by: Ibrahim al-Zaybaq, (2013: Beirut), Dar al-Risalah al-Ilmiyyah, vol. 21.

أشكال المكان في رواية اكتشاف الحب لمروان ياسين الدليمي

Forms of place in the novel The Discovery of Love by Marwan Yassin Al-Dulaimi

م. م. هالة عادل عبد *

Hala Adel Abd *

الملخص:

يعد المكان جزءاً أساسياً من أجزاء السرد وهو الأرضية التي تجري عليها الأحداث، ولا يمكن وجود المكان من دون الزمان فهما مرتبطان مع بعضهما في نسيج واحد. تظهر المكان في رواية اكتشاف الحب متنوعاً فجاء المكان على أشكال متعددة منها: المكان الأول، والمكان الثاني، والمكان المتخيل، والمكان الواقعي، والمكان الشاهد، فضلاً عن المكان الجسد والمكان الآخر.

انقسم البحث على قسمين وخاتمة. تناول القسم الأول: مهاد نظري عن المكان، وتناول تعريف المكان في اللغة والاصطلاح والفلسفة. والقسم الثاني: تناول تحليل النصوص السردية في رواية اكتشاف الحب للروائي مروان ياسين الدليمي التي تتعلق بالمكان.

الكلمات المفتاحية: المكان، الشخصية، السرد.

Abstact:

Place is an essential part of the narrative and is the ground on which events take place. Place cannot exist without time, as they are linked together in one fabric. The place appears in the novel The Discovery of Love in a variety of forms, including: the first place, the second place, the imaginary place, the real place, and the witness place, as well as the physical place and the other place.

The research was divided into two parts and a conclusion. The first section dealt with: a theoretical introduction to place, dealing with the definition of place in language, terminology, and philosophy. The second section dealt with the analysis of narrative texts in the novel The Discovery of Love by the novelist Marwan Yassin Al-Dulaimi, which relates to place.

Keywords: Place, Character, Narration.

* مديرة تربية نينوى - العراق.

Email: hala.adel.abd1970@gmail.com

* Directorate of Education of Nineveh - Iraq.

المبحث الأول: مهاد نظري عن المكان:

المكان في اللغة موضع لكيثونة الشيء ، والمكان في الاصل (مكون) على وزن (مفعول) (الفراهيدي، ١٩٨٦: ٢٩٤) و (الكون) مصدر كان يكون كونا . ويقال مكنه الله من الشيء وامكنه منه بمعنى استمكن الرجل من الشيء (الجوهري، ١٩٩٩: ٢٢٠٥/٢؛ بن منظور، ١٩٥٥، ٥١٦)، و (المكان والمكانة بمعنى واحد والمكان جمع أمكنة وأماكن جمع الجمع)، وهو بمعنى المنزلة والمكانة (أبادي، ٢٠٠٤، ٢٧٤/٤). ان مفهوم لفظة (مكان) قد ارتبط بموقع الإنسان وموضع وجوده. والمكان اما ان يأتي بدلالة اسم مكان مشتق من (كان التامة)، ونجد هذه الدلالة توظف في الحسيات (الإبياري ومرزوق، دون تاريخ، ١٢٤/٤)، كقوله تعالى: (إذ أنْتَبَذْتُ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا) (سورة مريم: ١٦)، وتوظف أيضاً في المعنويات، كقوله تعالى: (أُولَئِكَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) (سورة المائدة: ٦٠). او يأتي المكان بدلالة اسم فعل بمعنى الزم مكانك (الإبياري ومرزوق، دون تاريخ، ١٢٤/٤)، كقوله تعالى: (مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ) (سورة يونس: ٢٨). اذن المكان في اللغة يدل على الموضع، والموضع بؤرة الحدث الذي يجتمع فيه الزمان والشخصيات في إطار واحد.

المكان في الاصطلاح: تتجسد علاقة المكان بالحدث عبر علاقته بالشخصيات؛ لأن القاص يقود شخصياته إلى المكان الملائم الذي يتفاعل مع فضاء قصته ويتلاحم معها، ولاسيما إذا انتقلت الشخصية من مكان إلى آخر، تنتقل معها احساسها النفسية التي خلقت عبر اندماجها مع المكان الذي تعيش فيه (آبادي، ٢٠١١، ١٣)، إن لفظة (المكان) هي الترجمة العربية لكلمة (place) الإنكليزية و (Espace) الفرنسية ونتيجة لاختلاف الترجمات وظفت العديد من المفاهيم لتدل على المكان كما تداخلت مصطلحات عدة منها: الفضاء، الحيز، الفسحة.

أما الحيز فهو "الفراغ مطلقاً سواء كان مساوياً لما يشغله أو زائداً عليه أو ناقصاً عنه... وفي أكثر اللغة أنه المكان" (التهانوي، ٢٠٠٠، ٣٩)، فـ "الـ(مكان) حيث تتواجد الأشياء بذاتها، و(فسحة) حيث العناصر رموز وخطوط وأشكال مستقلة هي وعلاقتها ومن علائق الأشياء ببعضها إلى الأشياء ذاتها" (المقدسي، ١٩٨٩، ٢٦-٢٥-٢٤)، والمكان الروائي هو "الجغرافية ولو أراد أن يكونها... أنه أكبر من الجغرافية مساحة وأشسع بعداً" (مرتاض، ١٩٩٨، ١٤٤)، و لا بُد من الإشارة الى "إننا نعرف أنفسنا من خلال الزمن في حين ان كل ما نعرفه هو تتابع تثبيطات في أماكن استقرار الكائن الإنساني الذي يرفض

الذوبان والذي يود حتى في الماضي، حيث يبدأ البحث عن أحداث سابقة أن يمسك بحركة الزمن، إن المكان في مقصوراته المغلقة التي لا حصر لها يحتوي على الزمن مكثفاً وهذه هي وظيفة المكان" (باشلار، ٢٠٠٦، ٤٦). فالعلاقة بين الإنسان ومكانه علاقة جدلية قائمة على ترسيخ الذات وإثبات الهوية كونه يشكل المسرح الجغرافي الذي تتحرك عليه الشخصيات وتتفاعل مع ما يوازيه من العناصر الأخرى (المرزوقي وشاكر، ١٩٨٦، ٦٠).

ويرى بعض النقاد التحول البائن لتوظيف مسمى المكان عبر " الانتقال من المكان المعاش الى المكان الفني، هو تحول من عالم الحياة اليومية بحسبته وأشياءه وظواهره المتنوعة والمختلفة إلى عوالم فعالة من التخيل عبر لغات مختلفة: علامات لغوية، ألوان، اصوات، صور، ... من عالم نحيا ونعيش فيه بهدوء ودعة ، حيث الخبرة المباشرة (الحدسية) بالأشياء الى الوعي الجمالي بهذه الاشياء ودورها ودلالاتها ووظائفها، وبكلمة أكثر دقة: نكون ازاء صورة أخرى للعالم / المكان المعاش" (حسين، ٢٠٠٠، ٧٥-٧٦)، وقد "استعمل المكان صدى للتباين الاجتماعي وتطور الأيديولوجيا والأجيال في المدرسة الطبيعية على يد معلمها الأول زولا واصبح عند فلوير بمثابة مرآة تعكس الصدى السايكولوجي للشخصية" (جاسم، ١٩٩٧، ١٥١-١٥٢)، فعكس المكان ما يدور في الشخصية وعبر عن أحزانها وكشف عن مكنوناتها. وقد كثف الروائيون الجدد في تصويرهم للمكان في رواياتهم اذ " أحل المكان محل الزمان بدعوى إن وجود الأشياء في المكان إنما يعد أكثر وضوحاً وأعظم رسوخاً من وجودها في الزمان" (عبد العزيز، ١٩٧٠، ٨).

ورؤية ميشال بوتور أن " المكان الذي نقيم فيه معقد وهذا يعني إننا عندما نكون في مكان ما نفكر دائماً في مكان آخر" (بوتور & أنطونيوس، ١٩٨٢، ٦١)، وكان لأدباء القرن العشرين طريقتان متغايرتان في تجسيد المكان وتمثيله، تعتمد الأولى على تعميم صورة المكان والاكتفاء بملامح موجزة عنه في حين تبالغ الطريقة الثانية في وصف تفاصيل المكان" (لحمداني، ١٩٩٣، ٦٩)، وتبدو "ظاهرة الإغراق في التفاصيل الجزئية للمكان إن لم يكن ذا وظيفة دلالية في الرواية وإنما هي في سبيل الإيهام بالواقع" (درغوث، ١٩٩٩، ٤٤).

أما حسن بحراوي فقد وجد أن المكان ((شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي الذي ستجري فيه الأحداث ،فالمكان يكون منظماً بنفس الدقة التي نظمت بها العناصر الأخرى في الرواية ، لذلك فهو يؤثر فيها ويقوي من نفوذها كما يعبر عن مقاصد

المؤلف ، وتغيير الأمكنة الروائية سيؤدي إلى نقطة تحول حاسمة في الحكمة وبالتالي في تركيب السرد والمنحى الدرامي الذي يتخذه)) (بحراوي، ١٩٩٠، ٣٢). والمكان عند ياسين النصير مرهون لديه بالانتماء: ((دون سواه يثير إحساسا ما بالمواطنة ، وإحساسا آخر بالزمن والمخيلة حتى لنحسبه الكيان الذي لا يحدث شيء بدونه)) (النصير، ١٩٨٦، ٥) وهذا هو التأثير الذي يتركه في ذات القارئ إذ باستطاعة الأديب أن يوظفه لتجسيد الأفكار والرموز والحقائق المجردة ، وبالتالي تقريبها من الواقع (قاسم، ١٩٨٥، ٧٤). وللمكان في العمل الأدبي وظيفة أخرى تتمثل في إغناء الأوصاف والصور الأدبية، بشرط أن يكون نقل البصري فيها نقلا جمالياً مشحوناً بالمعاني تترادف بداخله الحقائق والخرافات فتتشظى فيه الدلالات حسب النسق الفني الذي يندرج فيه ، فيُنقَل بذلك المكان الواقعي إلى أدبي عبر العلاقات المكانية القائمة على اللغة بين الذات الواصفة (أو المؤلف)، والحدث الموصوف (اوسبنسكي، ١٩٧٦، ٦٩؛ مونسي، د.ت.، ٦٥-٦٦) تقنياً. في حين أن المكان عند حميد لحداني له وظيفة محددة تقوم بالدور ذاته الذي يقوم الديكور والخشبة في المسرح وهو بذلك يشكل لوحة جمالية أكثر من كونه عنصراً سردياً تدور حوله بقية العناصر الأخرى (لحداني، ١٩٩٣، ٦٥).

والمكان يمثل محوراً من محاور نظرية الادب، وله فاعلية تمتد (من خلال أشكال معينة ويتخذ معاني متعددة بحيث يؤسس أحياناً علة وجود الأثر) (بورنوف وأونيليه، ١٩٩١، ٩٢)، وعلى الكاتب أن يقوم ببناء المكان في كتاباته بدقة وانتظام، لأن (هذه الصنعة لا تطابق الواقع مطابقة حرفية بل هي تشحن الواقع شحنات مختلفة من المشاعر والأجواء النفسية) (قاسم، ١٩٨٥، ٨٤)، التي تولد فيه مما أغنى التجربة الأدبية إذ (له شروطه الموضوعية التي تميزه من المكان على الأرض أو في الواقع) (النصير، ١٩٨٦، ١٧-١٨)، وقد سماه البعض المكان الواقعي لأنه يمتلك وجوداً في الواقع.

المكان في الفلسفة: تباين المكان في الفلسفة بحسب الفلاسفة . إذ يعد افلاطون المكان "حاوياً وقابلاً للشيء" (بدوي، ١٩٧٥، ١٩٦-١٩٧)، فالاحتواء والقبول صفتان للمكان، وقد تحدث افلاطون عما أسماه (القابل) أو (الوعاء) أو (المحل) اذن المكان عند افلاطون هو ذلك القابل الذي يقبل كل ما يلج فيه فهو الذي يقبل الصور وعليه أن يتشكل تبعاً لها، فهو شبيه بالورقة التي يستخدمها الرسام (بدوي، ١٩٧٥، ٢٣١) في رسمه، والمكان "يحيط بالشيء الذي فيه ويحصره، وإنما يحيط المكان بشيء جسماني، وكل شيء يحصره المكان ويحيط به فهو جسم" (بدوي، ١٩٧٥، ٤٢)، وبذلك لا بد من وجود جسم/جسد في المكان فـ " لا يمكننا الكلام اذن على المكان والاشياء الممتدة الا من وجهة نظر الانسان إذا خرجنا من الشرط الذاتي الذي من دونه لن نقدر على أن نتلقى حدساً خارجياً... فلن يعني تصور المكان شيئاً ولا

يُربط هذا المحمول بالأشياء، إلا من حيث تبدو لنا، أي من حيث هي موضوعات للحساسية والصورة الثابتة لقدرة المتلقي، التي نسميها حساسية هي الشرط الضروري لجميع العلاقات التي بها نحس الموضوعات بوصفها خارجية، فإذا جردناها من هذه الموضوعات فستكون حدى محضاً يحمل اسم المكان...، إن المكان يتضمن جميع الأشياء التي يمكن أن تظهر لنا خارجياً" (كنط، د.ت.، ٦٣). "يقول لايبنتز: إن المكان مجرد شيء ظاهر وفكرة مضطربة، ويستند في إثبات ذلك على حقيقة كون كل جزء من المكان مماثلاً للأجزاء الأخرى" (فال، ١٩٦٧، ١٤٢)، والمكان عند الحكماء هو "السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي" (الأعسم، ١٩٨٤، ١٥٤؛ الجرجاني، ٢٠٠٢، ١٨١)، وعند المتكلمين يعني "الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وتنفذ فيه أبعاده" (الجرجاني، ٢٠٠٢، ١٨١؛ عمر، ١٩٥٦، ٦)، وللمكان أهمية في حياة الإنسان وقيمه الكبرى ومزيته التي تشده إلى الأرض فهو يلعب دوراً رئيساً في حياة الإنسان، وهو الشيء المرئي القريب الذي سجل الإنسان عليه ثقافته وفكره وفنونه (النصير، ١٩٨٦، ١٩٥)، والمكان أيضاً "عبارة عن مساحات ذات أبعاد هندسية أو طبوغرافية تحكمها المقاييس والحجوم" (عثمان، ١٩٨٦، ٧٦) ويختلف شكله بحسب طبيعة تشكيله. إذ "لا يتوقف حضوره على المستوى الحسي، وإنما يتغلغل عميقاً في الكائن الإنساني، حافراً مسارات وأخاديد غائرة في مستويات الذات المختلفة" (حسين، ٢٠٠٠، ١٥٢). والعلاقة بين الإنسان والمكان علاقة مفاعلة (الطنطاوي، ٢٠٠٢، ٣٥)، والمكان هوية الإنسان وانجاده فيه، فضلاً عن مشاعره وأفكاره ووجدانه وعقله في رسم أبعاد المكان وتفاصيله بشكل معين (اليوزبيكي، ١٩٩٨، ١٦٦).

المبحث الثاني: تحليل نصوص الرواية:

(اتجه بنا سائق سيارة الأجرة إلى عيادة الطبيب كاروان، وبعد انتظار في صالة المراجعين استغرق أكثر من نصف ساعة أذنت لنا السكرتيرة بالدخول إلى داخل العيادة، وما لفت انتباهي أول وهلة هيئته البدينة بشكل مفرط لدرجة لم أكن أتوقع أن أرى طبيباً شاباً على تلك الصورة التي لا تتسجم مع مهنته، ولكن رغم وزنه المرتفع كان نشيطاً في حركته، كما أن شخصيته تبعث على الحيوية وعلى الانسجام مع المكان رغم رائحة المعقمات والمطهرات التي تشبّع بها الهواء وكل ما في العيادة من أثاث وموجودات، إضافة إلى قسوة العمل الذي ينجزه والذي يتطلب منه أن يكون على قدر كبير من الجلد والصبر نظراً للألم الشديد الذي يشعر به المريض لحظة انتزاع عينة من أنسجته بسرّجة خاصة أكبر حجماً من تلك

التي تستخدم في زرق الإبر في الحالات الطبيعية حتى إن المريض لا يستطيع أبداً أن يكتف صرخته)(الدليمي، ٢٠٢٠، ٢١)

يبرز في المشهد المكان (المستشفى) فالسرد يبدأ من النقطة أ وينتهي بالنقطة ي في تتابع خطي، إن الشخصية النسوية تعاني من مرض خطير فكان السارد يصف الطبيب الشاب فضلا عن وصف المكان الحر الذي أبدع الواصف فيه مشيرا الى الادوات الطبية وما ستعانيه الذات حين ينتزع منها عينة ربما تصرخ وربما تكتم صرختها.

لقد كان المكان الارضية التي حوت الشخصيات وبقية التفاصيل الاخرى فهو أس لا بد من وجوده في السرد.

("صديقي أبو الطيّب، نحن نبتة لا تعيش خارج هذا المكان الصغير والجميل، وهذه الارض منحتنا روحها فكيف لنا أن نبتعد عنها؟ كما أننا انسجمنا معها ومع العالم المحيط بنا، من أهل وأقارب وأصدقاء وجيران ووجوه كثيرة أخرى لا نعرفها، لكننا تعودنا على رؤيتها في شوارعها ومقاهيها وأزقتها ومكتباتها ومسارحها وصالات السينما فيها، في منطقة الميدان وشهر سوق وشارع فاروق والدواسة والسرجانة وباب البيض وباب لكش وسوق العطارين وأصبحت كل هذه التفاصيل والأماكن جزءاً منا لا نستطيع الانفكاك عنها، وسبباً جوهرياً في عشقنا للحياة") (الدليمي، ٢٠٢٠، ٢٥).

ثمة انتقال من المكان الاول الى المكان الثاني (الأرض) فالحوار اظهر حنين واشتياق الذات الى المكان (الوطن) فضلا عن الحنين الى الاهل والاقارب ووجوه اخرى ثم يكمل الطرف الاول الحوار منتقلاً الى أمكنة تمتلك مرجعية واقعية وجاءت متناوبة (الميدان... سوق العطارين) في تسلسل مقصود ليدل على عراقاة وأصالة مدينته التي اخذت حيزا كبيرا منه في الغربة على الرغم من ابتعاده عنها الا انها حاضرة في ذاكرته.

(لذا كان علينا أن نواجه هذه الانعطافة الحادة التي أصابت كيان أسرتنا وأن نقادى نتائجها ونخرج منها بأقل الخسائر، ولكي يستوعب ولدي المكان الذي أمسينا نقف فيه، وجدت من الأجدى أن أتحدث إليه باعتباره رجلاً، حتى أعيد إليه تماسكه لكن من بعد أن أجعله مطمئناً على صحة والدته، وإن أمامها فرصة كبيرة جداً للشفاء بعد إجراء العملية، وإن مرضها ليس خطيراً كما يظن، خاصة وإن هناك العشرات من النساء قد مررن بنفس التجربة وخرجن منها سالمات معافات وعدنَّ إلى حياتهن الطبيعية وإلى مزاوله عملهن مثل بقية النساء، فحاولتُ أن أقنعه بأن كل شيء سيكون على ما يرام، ولا ينبغي أن تذهب به

ظنونه إلى مخاوف غير واقعية، بل يتوجب عليه أن لا يتخلى عن أحلامه ولا ينشغل بأي شيء يعيقه عن تحقيقها طالما ما زلنا نشمُّ الهواء ونمُدُّ بساط أماننا في امتدادات الحياة الواسعة، فالمشقات يمكن أن تقايننا في أي لحظة، وعلينا أن نتعلم كيفية التعامل معها ومواجهتها والاحتيايل عليها أحيانا للتقليل من أضرارها هذا إذا لم نستطع قهرها) (الدليمي، ٢٠٢٠، ٣٠).

يظهر المكان المتخيل في المشهد السردي فالمكان المتخيل: " هو مكانٌ حقيقي أُعمل فيه الخيال، فأطلقه من حقيقته؛ أي مساحة المكان المتخيل تتأتى من رسم مكان حقيقي ما وتغيير بعض صفاته أو عنوانه مع وجود ما يدل عليه، وهو من صنع الخيال، ويبنى المكان على أساس من التخيل، لكنه لا يكتسب أية ملامح أو أهمية دون ان يتماثل بدرجة أو بأخرى مع العالم الحقيقي خارج النص لذا يستحيل بناء حدث أو شخصية في مكان لا ملامح له (ابراهيم، ١٩٨٨، ١٢٧). أما "عن علاقة المكان بالخيال فنحن نعرف ضمناً ان مظاهر عمليات التخيل تلك انما نعانيها عبر معاينتنا للصورة... في النص"(كحلوش، ٢٠٠٨، ٢٤٥) ففي المشهد جاء سرد الراوي العليم (المكان الذي امسينا فيه) وهو يقصد مكانا متخيلاً عن المرض الذي أصاب الأم وكيف يستوعب ذلك هو وولده من دون شكوى أو اظهار للحزن أمام الأم-الزوجة ومن الأجدر أن يتحملا المشقات وما سيحدث مستقبلا في اي لحظة. اذ لا بد من الصبر ولا بد من التحمل والثبات الى أن يجتازوا تلك المحنة. فالمكان المتخيل اجتمع مع الزمان (لفظة أمسينا) في نسيج سردي ظاهر.

(تفاصيل كثيرة داخل لوحة حياتي الشخصية ستخضع هي الأخرى إلى التأجيل حتى إشعار آخر بعيداً عن سياق طقوسي اليومية التي اعتدت الركون إلى تناسقها، فكان لا بدّ من أن أتحمّل يومياً ولمدة أسبوع مسؤولية تفريغ علبة بلاستيكية بحجم الكف ما أن تمتلئ بخليط لزج من الدم والماء كان ينسكب فيها من خلال أنبوبين بلاستيك رفيعين طولهما بحدود ٧٠ سم ينفذان إلى داخل العلبة عبر فتحتين ضيقتين تمنعان تسرّب السوائل خارجها، وينتهي الأنبوبان من الجهة الأخرى في فتحتين صغيرتين جداً داخل جسدها، الفتحة الأولى تحت الإبط الأيسر حيث المكان الذي أزيلت منه سبع وعشرون غدة لمفاوية، والثانية في منطقة الصدر من الجهة اليسرى أيضاً، وفي نفس مكان الثدي الذي تمت إزالته نهائياً ولم يبق منه سوى قطعة جلدية تمت خياطتها على شكل خط أفقي متعرج) (الدليمي، ٢٠٢٠، ٤٩-٥٠).

ترى ناقدة أن ((الحديث عن المكان أيضاً هو بالضرورة الحديث عن الجسد. وبما أنّ الجسد حيزنا الخاص في المكان والعالم، فهو ما إن ينوجد في مكان حتى يكون قد اشتبك في جدل العلاقة بالجسد.

ومجرد الوجود وأخذ حيز ما في المكان علاقة في اللغة، وهو بداية سلسلة من التفاعلات)) ففي المشهد يصف الراوي تأجيل كل المسؤوليات المحيطة به ثم يسرد عن المسؤولية الاخرى التي ستكون على عاتقه في قادم الايام وهي عملية التداوي التي لا بد منها للقضاء على الورم. اذ يتشكل مكانين بصورة متتابعة: الأول: المكان الجسد الذي سوف يزال منه الورم (المكان الذي أزيلت منه سبع وعشرون غدة لمفاوية).

الثاني: المكان الثدي (مكان الثدي الذي تمت إزالته نهائيا).

اذن تغاير تشكيل المكان عبر التنوع الذي كان مقصوداً من لدن الروائي وهذا يكشف عن جماليات الامكنة الموظفة في الرواية.

(على الرغم من أن صحتها لم تكن تحتل الحركة لأنها تسبب لها الإرهاق إلا أنني لاحظت على محياها ملامح تعبر عن شعور بالراحة وهي تتواجد في مكان جديد غير مألوف لديها، لم يسبق لها أن مرت به من قبل، وهذا ما انتبهتُ إليه مذ دخلنا المطار إلى أن جلسنا في صالة الانتظار، حيث وجدتُها تراقب كل شيء حولها بعينين يلتصق فيهما بريق الدهشة، وتحاول أن تستوعب تفاصيل المكان الفخم والأنيق) (الدليمي، ٢٠٢٠، ٩٢-٩٣).

يعد المكان الجدد تشكيلا من أشكال المكان في الرواية ونستطيع ان نطلق عليه المكان الاخر او المغاير او المكان الثاني. إنه مكان متجدد لم تالفه الشخصيات في رحلة العلاج المفروضة عليهم فلم يسبق للمرأة ان نزلت في مكار او غادرت مدينتها وكان الادهاش بادٍ عليها وهي تعانين المكان الفخم والأنيق.

(ربما لديك هذا الشعور لأنك أول مرة تركبين الطائرة وتكونين على هذا المستوى من الارتفاع).

بهذه الجملة حاولتُ أن أخرجها من هذا الإفراط في التخيل والتحليق بعيداً عن الواقع، وأن تتعامل مع ما تراه ليس باعتباره تجربة خارقة لن تتكرر، وذكرتها بأن هناك ملايين من البشر مثلها ربما يكونون الآن على نفس الارتفاع لكنهم لا يجدون أنفسهم قد أصبحوا أقرب مسافة إلى الله، ولا يعدون ما يمرون به تجربة روحية، إنما هو مجرد انتقال في المكان مثلما يركبون سيارة أو قطار أو باخرة أثناء سفرهم من مكان إلى آخر، فلماذا هذا التوغل العميق في التخيل بما لا يستحق كل هذا الجنوح والشطط في الأفكار والتأملات التي أبعد من أن تكون منطقية؟) (الدليمي، ٢٠٢٠، ٩٦-٩٧).

المكان المذكور في المشهد جاء عبر حديث الرجل مع زوجته وهما في الطائرة . فالرجل كان يذكر زوجته أنهما ينتقلان من مدينتهما الى المدينة الأخرى التي سيجري فيها العلاج فأخذ الرجل يصبر زوجته وهذا جانب انساني يكشف عن محبته لها فضلا عن اعطائها دافعية وهزيمة لمواجهة العلاج واستئصال الورم من جسدها وكيف ستواجه هذا التغير الحاصل في جسدها من دون خوف او جزع او انكسار . لقد كانت تشعر بالخوف لأنها لم تسافر بالطائرة قبل ذلك . ويكمل حديثه معها أنها لا تتوغل في أفكارها وتأمل في مناطق لا منطقية.

(ولم يأسرني في تفاصيل هذا المشهد سوى حالة الهدوء التي كانت تعم أرجاء المكان، باستثناء أصوات رجالية كانت تخترقه قادمة من كشك صغير يقع مقابل باب الفندق، يقدم للزبائن أكالات لبنانية خفيفة مثل بابا غنوج، فتة، حمص بطحينة، كبة محشية، ولم يكن في الكشك سوى عاملين يقدمان الطلبات لثلاثة أو أربعة زبائن يجلسون حول منضدتين صغيرتين. بقيت أتأمل المنظر من الأعلى، ووجدته يعكس وجهًا آخر للمدينة التي كنت قد شعرت بالنفور منها قبل ساعات، حيث كانت تبدو حميمة من خلاله، ولا أشك في أن مثل هذه اللحظات غالبًا ما تبعث في شعورًا بالتواصل والألفة مع المكان حتى لو كان أجنبيًا) (الدليمي، ٢٠٢٠، ١٠١).

(عشت لحظة ترف حقيقية لدقائق معدودة، انفصلت فيها عن هجير أيامي، شعرتُ بها وهي تنهمر في كياني كله، بينما كنت أستمتع بنسمة هواء باردة كانت تتهادى في الفضاء، مع أننا في منتصف شهر حزيران، فوجدت نفسي هائمًا بألفة الأشياء التي كانت تلتقطها عيناوي وهي تغرق في صمت المكان) (الدليمي، ٢٠٢٠، ١٠٩).

هناك فرق بين هدوء المكان في المشهد الاول وصمت المكان في المشهد الثاني:

الصمت شيء إرادي ذاتي شخصي بالإمكان التحكم به، بينما الهدوء شيء لا يمكن التحكم به بل مفروض فرضاً واضحاً. والهدوء فيه جمال وسكينة وطمأنينة. في النص الاول: حالة الهدوء التي كانت مفروضة على المكان أسرت الشخصية حتى اللحظات الزمنية تحولت الى حميمية. لذلك شعرت الشخصية بشيء من الألفة مع المكان بوصفه مكان أليف تأنس فيه الشخصية على الرغم من وجود بعض الشخصيات فيه الا ان الهدوء أطر محيط المكان.

اما في النص الثاني: فقد اجتمع تقاطب فزيقي ما بين هجير الأيام والهواء البارد في الفضاء. فثمة مكانان الاول الفضاء بوصفه حاضنا لصمت المكان فضلا عن شعرية المشهد: (فوجدت نفسي هائما بألفة الأشياء التي كانت تلتقطها عيناى وهي تغرق في صمت المكان).

(وأنا أتأمل الصخرة وهي تقف شامخة وسط الماء مثل كائن أسطوري عملاق، غير عابئة بالأمواج، وكانت بمثابة شاهد على التاريخ، إلا أن متعتنا أفسدتنا امرأة بدينة ملحاحة بينما كنا نتكئ بأذرعنا على السياج الحديدي نتأمل البحر، فما أن لمحتنا حتى اقتحمنا ونحن نحلّق بمخيلتنا مع سحر المكان، فانتزعنا من صفاء تلك اللحظة الأسرة وهبطت بنا على الأرض إلى حيث الكورنيش الذي كان يعج بحركة الناس، بدت المرأة في لون بشرتها المائل إلى سمرة داكنة أقرب ما تكون إلى الغجر، وما عزز ذلك الإحساس تلك الوشوم التي كانت تزين ذقنها وكفيها إضافة إلى سنّها الذهبي الذي كان يلعب بين بقية أسنانها الأخرى) (الدليمي، ٢٠٢٠، ١٢١).

دهشة الشخصية في المكان جعلته ينعته بالسحر، لأن السحر فيه شيء من التغير البصري الجاذب. فأنا المتكلم شاهدت ما لم تشاهده أمام منظر لم تألفه فضلا عن المخيلة التي طافت في سحر المكان، ونستطيع ان نطلق على المكان في هذا المشهد بالمكان الساحر فالصخرة والامواج شكلا لوحة فنية امتلكت جمالية ظاهرة. ثم تصف الشخصية تلك المرأة البدينة وصفا خارجياً لبشرتها ولون اسنانها.

(لأنني وجدت في المكان الذي اخترته زاوية متسعة تمكيني وبشكل خفي من التقاط بعض الصور التي تظهر حجم الازدحام، ولكي أبدو للآخرين كما لو أنني أتصفح المواقع في الهاتف) (الدليمي، ٢٠٢٠، ١٦٠).

تمظهر المكان الثنائي في المشهد (المكان و زاوية متسعة) فالسرد أبان ائتلاف المكان الزاوية مع المكان فالمخاتلة البادية للعيان انه يتصفح الموبايل لكي لا يجذب الاخر بينما هو يلتقط الصور في تلك الزاوية بعد ان اعجب بتفاصيل المكان.

(عندما نلتقي بعد كل واحد وعشرين يوما لتلقي الجرعة الشهرية، وكل واحد منا كان مطمئناً من أنّ ما يبوح به من أوجاع سيلقى آذانا صاغية، ربما لن يجد خارج ذلك المكان من يصغي إليها، فيكشف كل واحدٍ عن تفاصيل مطمورة من حكايات مرت به، فيمضي الوقت بنا سريعاً) (الدليمي، ٢٠٢٠، ١٦٧).

المكان الذي يكون شاهداً على الجرعة الشهرية كشف عن حالة الشخصيات فهو بؤرة الاسرار وهو المكان الشاهد، اذ تبوح فيه الشخصيات بكل الحكايات التي تعرفها من أجل أن يمضي الزمن زمن العلاج

فهو زمن لا تستسيغه الشخصيات لكنه مفروض عليها وهو الزمن الذي ستجد فيه الشخصيات مع بعضها أذان صاغية أثناء الكلام.

(بل أستطيع أن أقول عنه بأنه أكبر فاجعة تلقتها المدينة منذ عشرات السنين، لأن جامع النبي يونس كان جزءاً من تاريخ كل واحد من الأجيال التي عاشت في الموصل، فالمكان له علاقة بكل الموصلين وليس المسلمين وحدهم) (الدليمي، ٢٠٢٠، ١٧٠).

يتحدث الراوي عن المكان الديني (جامع النبي يونس) وعن الفاجعة التي عصفت بأهل المدينة حين قامت الرايات السوداء بتفجيريه على الرغم من عمق إرثه التاريخي وارتباطه بالأجيال التي تعيش في المدينة. فهو لا يخص المسلمون وحدهم. إن المكان الديني مكان روحي تسكن فيه الشخصية وتطمئن وهي تؤدي عبادتها فيه فهو مكان اثير بالنسبة لها.

الخاتمة:

١. يعد المكان محورا من محاور السرد وهو عنصر أساسي يركز عليه الحدث.
٢. اعتنى الروائي في تشكيل للأمكنة عبر الاحداث والشخصيات والزمان، لأن هذه الثلاثية لا بد لها ان تجتمع مع المكان في نسيج سردي واحد.
٣. ظهر المكان الواقعي في الرواية عبر المسميات التي كان لها وجودا في الواقع.
٤. كان المكان الديني نقطة مهمة في حياة اهل المدينة. اذ له خصوصية أثيرة ومميزة لديهم.
٥. المكان الشاهد تظهر عبر تفاعل الشخصيات فيه وسرد حكاياتهم.
٦. ان المكان الثنائي تميز بوجود مكانين متداخلين مع بعضهما البعض لذا اسميناه المكان الثنائي.
٧. اكتسب المكان الجسد فرادة بوصف الجسد الارضية التي تحوي امكنة عدة.
٨. إن المكان الاخر مثل مكانا مغايرا للمكان الذي جمع الشخصيات حين انتقلوا اليه بسبب المرض.

قائمة المصادر والمراجع:

١. إشكالية المكان في النص الأدبي - دراسات نقدية، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، ط١، العراق - بغداد، ١٩٨٦.

٢. اكتشاف الحب اوراق من مدونتي الشخصية، مروان ياسين الدليمي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية - دمشق، ط١، ٢٠٢٠-١٤٤١.
٣. بحوث في الرواية الجديدة، ميشال بوتور، ت. فريد أنطونيوس، دار عويدات للنشر، بيروت-باريس، ط٢، ١٩٨٢.
٤. بلاغة المكان - قراءة في مكانية النص الشعري، فتحية كحلوش، مؤسسة الانتشار العربي، ط١، بيروت - لبنان، ٢٠٠٨.
٥. بناء الرواية - دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم، دار التتوير للطباعة والنشر، ط١، بيروت - لبنان، ١٩٨٥.
٦. البناء الفني لرواية الحرب في العراق - دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة، عبد الله ابراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٩٨٨.
٧. بنية الشكل الروائي (الفضاء - الزمن - الشخصية)، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت-لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٠.
٨. بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، حميد لحداني، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٣.
٩. تاريخ الفلسفة اليونانية: من طاليس (٥٨٥ ق.م) الى افلوطين (٢٧٠م) وبرقليس (٤٨٥م): ماجد فخري، القاهرة، ط١، ١٩٨٩.
١٠. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٢.
١١. جماليات المكان في قصص سعيد حورانية: محبوبة محمدي محمد آبادي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د ط.
١٢. جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٦، بيروت - لبنان، ٢٠٠٦.
١٣. جمهرة اللغة لابن دريد ابي بكر محمد بن الحسن الازدي البصري في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة ببلدة حيدر آباد الدكن، ط١. د.ت.
١٤. الرواية والمكان، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، ط١، العراق - بغداد، ١٩٨٦.
١٥. الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة، سعد عبد العزيز، القاهرة، ١٩٧٠.
١٦. شعرية التأليف - بنية النص الفني وأنماط التشكيل التألفي: بوريس اوسبنسكي، ترجمة: سعيد الغانمي وناصر حلاوي، ط١، ١٩٧٦.
١٧. شعرية المكان في الرواية الجديدة - الخطاب الروائي لادوار الخراط نموذجا، خالد حسين حسين، كتاب الرياض يصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، ٢٠٠٠.

١٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت- لبنان. ١٩٩٩.
١٩. طريق الفيلسوف، جان فال، ترجمة: احمد حمدي محمود، مراجعة: أبو العلا عفيفي، مؤسسة سجل العرب بإشراف الدكتور إبراهيم عبده، القاهرة، ١٩٦٧.
٢٠. العين للخليل ابن احمد الفراهيدي، حققه مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، بغداد، ط ٢ ، ١٩٨٦.
٢١. فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية : د. حبيب مونسي.
٢٢. عالم الرواية، رولان بورنوف وريال أوئليه، ترجمة: تهاد التكرلي، مراجعة: فؤاد التكرلي ود. محسن الموسوي، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والاعلام، ط١، بغداد، ١٩٩١.
٢٣. في نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨.
٢٤. القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، المؤسسة العربية للنشر ، بيروت - لبنان، ط٢، ٢٠٠٤.
٢٥. كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، تحقيق: لطفي عبد البديع، ج٢، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكاتب العربي. مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت - لبنان، ٢٠٠٠.
٢٦. لسان العرب، بن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.
٢٧. مدخل إلى نظرية القصة - تحليلًا وتطبيقًا، سمير المرزوقي - جميل شاكر، دار الشؤون الثقافية العامة (أفاق عربية)، بغداد، ١٩٨٦.
٢٨. مدخل جديد إلى الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، ط١، الكويت، ١٩٧٥.
٢٩. المصطلح الفلسفي عند العرب، د. عبد الأمير الأعسم، مكتبة الفكر العربي، ١٩٨٤م.
٣٠. الموسوعة القرآنية، تصنيف ابراهيم الإبياري وعبد الصبور مرزوق، مطابع سجل العرب، القاهرة، د.ت.
٣١. نظرية المكان في الفلسفة الإسلامية - ابن سينا نموذجًا، د. حسن مجيد العبيدي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، ٢٠٠٧.
٣٢. نقد العقل المحض، عمانوئيل كنت، ترجمة وتقديم: موسى وهبة، مركز الانماء القومي، لبنان.
٣٣. جماليات المكان اعتدال عثمان ، مجلة الأقلام ، ع ٢ ، ١٩٨٦.
٣٤. حقيقة الزمان والمكان ، محمد فرحات عمر ، مجلة الأديب ، ع ١-١٢ ، ١٩٥٦.
٣٥. شخصية المكان في ذكريات الشيخ علي الطنطاوي ، جابر عصفور، مجلة الأدب الإسلامي ، مصر ، مج ٩ ، ع ٣٤ - ٣٥ ، ٢٠٠٢.
٣٦. عندما يصير المكان فسحة، أنطون المقدسي، مجلة المسار (اتحاد الكتاب التونسيين)، ع ٢٤، ١٩٨٩.

٣٧. المكان والزمان، في يوميات نائب في الأرياف، ليلي درغوث، مجلة الحياة الثقافية، ع٥٨، ١٩٩٩.
٣٨. ملامح المكان في قصة الحرب ، القصيدة في العراق ، مؤيد اليوزبكي، آداب الرافدين، جامعة الموصل ، ع٢١ ، ١٩٩٨ .
٣٩. من المكان إلى المكان الروائي ، خالد حسين حسين، مجلة المعرفة، السنة ٣٩ ، ع٤٤٢ ، ٢٠٠٠.
٤٠. غائب طعمة فرمان روائي، د. فاطمة عيسى جاسم، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل - كلية الآداب/ قسم اللغة العربية، ١٩٩٧.

حكم الاختلاط وأثره في المجتمع الإسلامي

The Ruling on Mixing and Its Impact on Islamic Society

الباحث خليل أحمد حمزة النعيمي *

Khalil Ahmed Hamza Al Nuaimi *

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التوصل إلى نتيجة مفادها أن الاختلاط من الأمور التي انتشرت في هذه الأمة الغراء، وابتليت به بلاءً عظيماً، ولا تكاد تخلو أمة من الأمم من الاختلاط، وما له من عظيم الأثر. وقد حاولت هذه الدراسة تعريف الاختلاط من حيث اللغة والاصطلاح، وبيان أدلته الشرعية، وحكمه في الشريعة الإسلامية أيضاً. ومحاولة تدوين المشكلات التي قد تنشأ عن الاختلاط وإيجاد الحل لها ضمن الشريعة الإسلامية. الكلمات المفتاحية: الاختلاط، الشريعة، آثار الاختلاط، المجتمع الإسلامي.

Abstract:

This study aimed to conclude that mingling is something that this nation has become widespread with, and has been afflicted with by a great affliction, and hardly any nation is devoid of mingling, and it has a great impact. I have tried to define mingling in terms of language and terminology, and to explain its legal evidence, and its ruling in Sharia as well. And an attempt to write down the problems that may arise from mixing and find a solution within Islamic law.

Keywords: Mixing, Sharia, Effects of Mixing, Islamic Society.

المقدمة:

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبيه الذي بعثه خير الأنبياء لخير الأمم إلى يوم حسابه، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم وسار على نهجهم، وبعد:

* كلية الآداب والعلوم الإنسانية/ جامعة الجنان - لبنان.

Email: aldlymykhlyl66@gmail.com

* Al-Jinan University – Lebanon.

فقد بحثت في بحثي الموسوم بـ (حكم الاختلاط وآثارها في المجتمع الاسلامي)، لما لهذه الظاهرة من بالغ الأهمية، وكبير الخطر، وذلك لوقوعه في مجتمعاتنا وأسرنا وبيوتنا وأهلينا.

وقد قسم البحث الى مبحثين وتسعة مطالب، فأما المبحث الأول ألا وهو مفهوم الاختلاط وحكمه، ففيه أربع، الأول منها يتضمن تعريف الاختلاط لغة واصطلاحاً، والثاني منها في الأدلة الواردة في حكم الاختلاط، والثالث يتضمن حكم الاختلاط في الشريعة، وأما المطلب الرابع فيه الفرق بينه وبين الخلوة.

وأما المبحث الثاني فهو عن آثار الاختلاط في المجتمع الاسلامي، وأيضا فيه خمسة مطالب، يتضمن الأول من هذه الخمسة أنواع الاختلاط مع الحكم، والثاني منها عن الأسباب المؤدية الى الاختلاط، والمطلب الثالث يتضمن أضرار الاختلاط ومفاسده، والمطلب الرابع فيه آثار الاختلاط الاجتماعي على كيان الأسرة، وأما المطلب الخامس والأخير وفيه آثار الاختلاط على المجتمع ومكوناته.

المبحث الأول: مفهوم الاختلاط وحكمه:

المطلب الأول: تعريف الاختلاط لغةً واصطلاحاً:

الاختلاط لغة: أصله من خلط الشيء بالشيء خلطاً أي ضمه إليه، وفي القرآن العزيز: **وَأَخْرُوجُوا يُذْنُوبُهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ** (التوبة: ١٠٢).

"واختلط الشيء بالشيء وخلطته خلطاً، والخلط: اسم كل نوع من الأخلاط كالدواء ونحوه" (الفراهيدي: ٤ / ٢١٨).

"والخلط: خلطك الشيء بعضه ببعض، واختلط القوم اختلاطاً في الحرب خاصة إذا تشابكوا والاسم الخلط" (ابن دريد، ١٩٨٧: ١ / ٦١٠).

وقال صاحب تهذيب اللغة: (قال الليث): "خلطت الشيء بالشيء خلطاً فاختلط، والخلط كل نوع من الأخلاط كأخلاط الدواء ونحوه" (الهروي، ٢٠٠١م: ٧ / ١٠٧).

وقال أيضاً: (وقال الليث): "رجل خلط: مختلط بالناس متحبيب، وامرأة خلطة كذلك" (الهروي، ٢٠٠١م: ٧ / ١٠٩).

"خلطت الشيء بغيره خلطاً فاختلط، وخلطه مخالطة وخلطاً" (الفارابي، ١٩٨٧: ٣ / ١١٢٤، ابن فارس، ١٩٨٦: ١ / ٣٠٠).

"الخاء واللام والطاء أصل واحد، تقول: خلطت الشيء بغيره فاختلط. ورجل مخلط، أي حسن المداخلة للأمور. وخلافه المزيل" (ابن فارس، ١٩٧٩: ٢/ ٢٠٨).

والاختلاط في الاصطلاح:

لقد قيل في تعريف الاختلاط أقوالاً عدة منها، كما في كتاب اظهر الحق والصواب في حكم الحجاب:

فقيل: (هو اختلاط جنسي الذكور والإناث بمختلف الوجوه، كالاختلاط في الدراسة الجامعية، أو في ميدان العمل بالدوائر الرسمية، والمحلات التجارية، والشركات، والمعامل، وغير ذلك).

وقيل (الاختلاط: هو اجتماع الرجل بالمرأة التي ليست بمحرم اجتماعاً يؤدي إلى ريبة، والأمر بالقرار في البيت وتحريم الخلوة يعتبران نهياً عنه).

والتعريف الاصطلاحي المختار للاختلاط المحرم هو:

(انضمام واجتماع ومداخلة الرجال بالنساء غير المحارم في مكان واحد يمكنهم فيه الاتصال فيما بينهم: بالنظر، أو الإشارة، أو الكلام، أو البدن، من غير حائل أو مانع يدفع الريبة والفساد. والله تعالى أعلم) (القحطاني، ١/ ٥٣٠).

فلفظ الاختلاط يعتبر قديماً من حيث اللفظ، وحديثاً من حيث تعريفه لاختلاط الرجال بالنساء، فلم أجد له تعريفاً عند العلماء القدامى، وكذلك لم أجد له تعريفاً في الكتب الاصطلاحية، إلا في هذا الكتاب.

المطلب الثاني: الأدلة الواردة في حكم الاختلاط:

ذكر العلماء في مسألة حكم الاختلاط أدلة كثيرة من القرآن والسنة، وهنا اذكر ما يتعلق بالاختلاط بغض النظر عن أصحية الاستدلال بها على اباحة أو حرمة الاختلاط، فلست هنا إلا في إيراد الأدلة التي يظن منها ان فيها إشارة الى الاختلاط أو حكمه أو صوره أو أنواعه.

أولاً: الأدلة من الكتاب:

أولاً: هذه الآية تتحدث عن حجاب زوجات النبي (p) عند سؤالهن من قبل الصحابة (١٧) وهذا لزوجات النبي (p) فنساء المؤمنين أولى بالحجاب، فكيف بالاختلاط، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا

مُسْتَفْسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِيهِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِيهِ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَتْ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ (الاحزاب: ٥٣).

قال صاحي السراج المنير: "ولما كان البيت يطلق على المرأة لملازمتها له عادة أعاد الضمير عليه مراداً به النساء استخداماً فقال تعالى: (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ) أي: الأزواج (متاعاً) أي: شيئاً من آلات البيت (فاسألوهن) أي: ذلك المتاع كائنين وكائنات (من وراء حجاب) أي: ستر يستركم عنهن ويستترهن عنكم، وقرأ ابن كثير والكسائي بفتح السين ولا همزة بعدها والباقون بسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها (ذلكم) أي: الأمر العالي الرتبة (أطهر لقلوبكم وقلوبهن) أي: من وسواس الشيطان والريب لأن العين وزيرة القلب فإذا لم تر العين لم يشته القلب، فأما إذا رأت العين فقد يشتهي القلب وقد لا يشتهي، فالقلب عند عدم الرؤية أظهر وعدم الفتنة حينئذ أظهر" (الخطيب الشربيني، ١٢٨٥هـ: ٣ / ٢٦٦).

ثانياً: في هذه الآية والتي تليها بين الله كيفية التعامل ع النساء الأجانب في الحديث والمشي إذا أراد أحدهما شيئاً من الآخر على لسان موسى (ص)، قال تعالى: وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ (القصص: ٢٣).

قال الإمام النيسابوري في تفسيره التفسير البسيط: (وقال ابن إسحاق: (قالتا) نحن امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال (وأبونا شيخ كبير) لا يقدر على أن يغني ذلك من نفسه، وأن يسقي ماشيته، فنحن ننتظر الناس حتى إذا فرغوا سقينا ثم انصرفنا. وهذا معنى قوله: (وأبونا شيخ كبير) (قال مقاتل: لا يستطيع أن يسقي الغنم من الكبر. وقال أبو إسحاق: الفائدة في قولهما: (وأبونا شيخ كبير)) أي: لا يمكنه أن يرد ويسقي، فلذلك احتجنا ونحن نساء أن نستقي) (النيسابوري، ١٤٣٠هـ: ١٧ / ٣٧١).

ثالثاً: كما ذكرت آنفاً، أن الله قد بين أسلوب وآداب الحديث والمشي ع النساء الأجانب، قال تعالى: فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ جَوَّتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ (القصص: ٢٥). قال مجاهد في تفسيره: ((فجاءته إحداها تمشي على استحياء))، يعني: واضعة ثوبها على وجهها ليست بخراجه ولا ولاجة، فقالت له: (إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) فقال لها موسى: امشي خلفي، وصفي لي الطريق، فإني

أخاف أن تصيب الريح ثيابك، فتصف لي جسدك، فلما انتهت إلى أبيها، قالت له: (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين) فقال لها أبوها: وما علمك بقوته وأمانته؟، فقالت: أما قوته فإنه رفع الحجر وحده، ولا يطيق رفعه إلا عشرة، وأما أمانته، فقوله: امشي خلفي، وصفي لي الطريق، لا تصف لي الريح جسدك (مجاهد، ١٩٨٩: ١/ ٥٢٦).

رابعاً: هذه الآية بينت كيفية التعامل مع المواقف التي يقع فيها الإنسان ورطة ومراودة من قبل الطرف الآخر، قال تعالى:

وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ (يوسف: ٢٣).

قال مقاتل (رحمه الله) في تفسيره: "ورادته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب (على نفسها وعلى يوسف في أمر الجماع) وقالت هيت لك (يعني هلم لك نفسي، تريد المرأة الجماع، فغلبته بالكلام) قال معاذ الله (يعني أعوذ بالله) إنه ربي أحسن مثواي (يقول: إنه سيدي، يعني زوجها، أكرم مثواي، يعني منزلتي) إنه لا يفلح (يعني لا يفوز) الظالمون (إن ظلمته في أهله)" (مقاتل بن سليمان، ٢٠٠٣: ٢/ ١٤٥).

خامساً: بينت هذه الآية أحكام الزينة للمرأة حين الخروج من بيتها وأنها لا تتزين لأحد إلا المذكورين في الآية، وفيه أمر صريح بغض البصر وعدم الاختلاط بالناس الأجانب، قال تعالى: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَاءَهُنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (النور: ٣١).

وقال السمعاني في تفسير قوله تعالى: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ (النور: ٣١): وروي أن ابن أم مكتوم أقبل إلى النبي وعنده أم سلمة وميمونة فقال لهما رسول الله: "احتجبا. فقالتا: إنه أعمى، فقال: أعمياوان أنتما".

وقوله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ الزينة: كل ما تتزين به المرأة من الحلي والثياب.

وقوله: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا^{١٨} اختلف القول في هذا: قال ابن مسعود: هي الثياب وهذا اختيار أبي عبيد. والقول الثاني: ما روي عن ابن عباس أنه قال: الكحل. وحكى الكلبي عنه أنه قال: الكحل والخاتم والخضاب، وعنه أنه قال: الوجه والكفان (السمعاني، ١٩٩٧: ٣ / ٥٢٠).

سادساً: بين الله تعالى في هذه الآية أنه يعلم خائنة الأعين في النظر الى غير المحارم من الجنسين، وما تخفي الصدور من الوسوس والشهوات، فقال تعالى: يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ^{١٩} (غافر: ١٩) قال ابن عباس: " يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ^{٢٠} (غافر: ١٩) قال: الرجل يكون في القوم فتمر بهم المرأة فيريهم أنه يغض بصره عنها فإن رأى منهم غفلة نظر إليها فإن خاف أن يفتنوا به غض بصره وقد اطلع الله من قلبه أنه ود أنه نظر إلى عورتها" (ابن ابي شيبة، ١٤٠٩هـ: ٤ / ٣٢٧، برقم: (١٧٥١٣)، لم اجد له حكماً عند المحدثين)

سابعاً: في هذه الآية بين الله لنساء النبي (ﷺ) أن الإقامة وعدم التبرج واجبة في حق المرأة ولا يحل لها الخروج والاختلاط بالناس وعليها بعبادة ربها وطاعة نبيها (ﷺ) وهذا المر اولى بنساء المؤمنين، قال تعالى: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا^{٢١} (الاحزاب: ٣٣).

واختلفت القراءة في قراءة قوله (وقرن في بيوتكن) فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين: (وقرن) بفتح القاف، بمعنى: واقررن في بيوتكن، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة (وقرن) بكسر القاف، بمعنى: كن أهل وقار وسكينة (في بيوتكن). وهذه القراءة وهي الكسر في القاف أولى عندنا بالصواب لأن ذلك إن كان من الوقار على ما اخترنا، فلا شك أن القراءة بكسر القاف، لأنه يقال: وقر فلان في منزله؛ فهو يقر وقورا، وقوله: (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) قيل: إن التبرج في هذا الموضع: التبختر والتكسر. عن قتادة (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى): أي إذا خرجتن من بيوتكن، قال: كانت لهن مشية وتكسر وتغننج، يعني بذلك: الجاهلية الأولى، فنهاهن الله عن ذلك (الطبري، ٢٠٠١: ٢٠ / ٢٥٧).

ومن السنة:

أولاً: عن أسامة بن زيد، (١٧)، عن النبي (ﷺ) قال: ((ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء)) (البخاري، ١٩٨٧: ٧ / ١١، برقم (٥٠٩٦)).

ثانيًا: عن أبي سعيد الخدري، عن النبي (ﷺ)، قال: ((إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)) وفي حديث ابن بشار: ((لينظر كيف تعملون)) (مسلم، ٢٠٩٨ / ٤، برقم (٧٢٤٢)).

ثالثًا: عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله (ﷺ) لعلي (عليه السلام): ((يا علي، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة)) (الحاكم، ١٩٩٠، ٢ / ٢١٢، برقم (٢٧٨٨)). هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

رابعًا: عن عقبة بن عامر: أن رسول الله (ﷺ) قال: ((ياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أفرأيت الحمى قال الحمى الموت)) (البخاري، ١٩٨٧: ٧ / ٤٨، برقم (٥٢٣٢)).

خامسًا: عن نافع، قال: ((خرج عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) وأنا معه على جنازة فرأى معها نساء، فوقف ثم قال: ردهن، فإنهن فتنة الحي والميت ثم مضى، فمشى خلفها)) (الطحاوي، ١ / ٤٨٣، برقم (٢٧٦٣)).

سادسًا: عن عائشة: ((أن أفلح أبا أبي القعيس جاء يستأذن عليها، وهو عمها من الرضاعة - بعد أن نزل الحجاب فأبيت أن آذن له فلما جاء رسول الله (ﷺ) أخبرته بالذي صنعت فأمرني أن آذن له)) (البخاري، ١٩٨٧: ١٣ / ١٣، برقم (٥١٠٣)).

المطلب الثالث: حكم الاختلاط في الشريعة:

"اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد، ومزاحمة بعضهم لبعض، وكشف النساء على الرجال، كل ذلك من الأمور المحرمة في الشريعة (إلا ما أحله الله)؛ لأن ذلك من أسباب الفتنة وثوران الشهوات، ومن الدواعي للوقوع في الفواحش والآثام، قال تعالى: **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** ﴿٥٣﴾ (الاحزاب: ٥٣).

وقد راعى النبي (ﷺ) منع اختلاط الرجال بالنساء حتى في أحب بقاع الأرض إلى الله وهي المساجد وذلك بفصل صفوف النساء عن الرجال، والمكث بعد السلام حتى ينصرف النساء، وتخصيص باب خاص في المسجد للنساء، عن أم سلمة (رضي الله عنها): ((كان رسول الله (ﷺ) إذا سلم قام النساء حين يقضي تسليمه ومكث يسيرا قبل أن يقوم)) (البخاري، ١٩٨٧: ١ / ١٦٧، برقم: (٨٣٧)).

قال ابن شهاب: "فأرى -والله أعلم- أن مكثه لكي ينفذ النساء قبل أن يدركهن من انصرف من القوم". وعن أبي هريرة (٢) قال: قال النبي (٣): ((خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها)) (مسلم، ١/ ٣٢٦، برقم: (٤٤٠)).

وإذا كانت هذه الإجراءات وقد اتخذت في المسجد وهو مكان عبادة طاهر والذي يكون فيه النساء والرجال أبعد ما يكونون عن ثوران الشهوات، فاتخاذها في غيره ولا شك من باب أولى، ومعلوم ما في اختلاط الرجال بالنساء في وسائل المواصلات أو العمل أو الدراسة من مفاصد عظيمة لا تخفى (الطيّار، ٢٠١١: ١١/ ١٠٣).

وقد أمر الله الرجال بغض البصر، وأمر النساء بذلك؛ قال تعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿٣١﴾ (النور: ٣٠ - ٣١) فلو كان الاختلاط سائغا في الشرع لكان في هذه الأوامر الربانية تكليف بما لا يطاق؛ إذ كيف تختلط المرأة بالرجل، وتجلس بجواره في العمل أو الدراسة، ولا ينظر كل واحد منهما للآخر وهما يتبادلان الأعمال والأوراق والدروس؟!

قال الدكتور عبد الله ناصح علوان: "كيف نتصور غرض البصر لكل من الرجل والمرأة وهما مجتمعان في مكان واحد؛ فالآية إذن في مدلولها تنهى عن الاختلاط وتحرمه" (صقر، ٢٠١١: ١/ ٩٤). وعن أبي سعيد الخدري (٢) عن النبي (٣) قال: ((إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)) (مسلم، ٨/ ٨٩، برقم: (٧١٢٤)) حيث أمر النبي (٣) باتقاء النساء، والأمر يفيد وجوب الأمور به، فيجب على الرجال اتقاء النساء، ولا يتحقق هذا إلا بترك الاختلاط بهن، ومن وجه آخر فإن الأمر بالشيء نهى عن أضداده، فيكون نهيا عن مخالطة النساء؛ لأن المخالطة مضادة للاتقاء، والنهي يقتضي التحريم (القحطاني، ١/ ٥٦٩) وإن اختلاط الرجال بالنساء محرم كما هو مبين، لما فيه من تغيير في الطباع الذي جبل عليه الانسان، فالرجل مجبول على العمل والخشونة والغيرة على عرضه، والمرأة مجبولة على السكون في المنزل والحياء وعدم التزين الا لزوجها، وإن الاختلاط يفضي الى النظرة الحرام ثم الشهوة ثم الوقوع في الزنا، أعاذنا الله وإياكم منه.

وعن أبي موسى الأشعري (٢) قال: قال رسول الله (٣): ((أيما امرأة استعطرت، فمرت على قوم ليجدوا من ريحها، فهي زانية)) (النسائي، ٢٠٠١: ٨/ ٣٤٩، برقم: (٩٣٦١)) وسبب المنع من ذلك

واضح، وهو ما فيه من تحريك داعية الشهوة، وقد ألحق به العلماء ما في معناه، كحسن الملبس، والحلى الذي يظهر، والزينة الفاخرة، وكذا الاختلاط بالرجال.

وقد ذكر الهيثمي في "الزواجر": أن خروج المرأة من بيتها متعطرة متزينة من الكبائر، ولو أذن لها زوجها (الهيثمي، ١٩٨٧: ٢ / ٧١).

المطلب الرابع: الفرق بينه وبين الخلوة:

الاختلاط في اللغة هو الممازجة، واختلط الرجال والنساء أي: تداخل بعضهم في بعض. يقال خلطت الشيء بالشيء فاختلط.

جاء في معجم (لسان العرب) في مادة (خلط): "خلط الشيء بالشيء يخلطه خلطاً، وخلطه فاختلط: مزجه واختلطاً، وخلط الشيء مخالطة وخلطاً: مزجه" (ابن منظور، ١٤١٤هـ: ٧ / ٢٩١). وتعريفه بالشرع: هو امتزاج الرجل بالمرأة التي ليست بمحرم - أي التي يباح له زواجها - اجتماعاً يؤدي إلى ريبة.

قال الشيخ عبد الله بن جار الله (رحمه الله): "الاختلاط هو: الاجتماع بين الرجل والمرأة التي ليست بمحرم، أو اجتماع الرجال بالنساء غير المحارم، في مكان واحد يمكنهم فيه الاتصال فيما بينهم، بالنظر أو الإشارة أو الكلام، فخلوة الرجل بالمرأة الأجنبية على أي حال من الأحوال تعتبر اختلاطاً" (صقر، ٢٠١١: ١ / ٦٣).

تعريف الخلوة المحرمة: هي أن ينفرد رجل بامرأة أجنبية عنه، في غيبة عن أعين الناس، وهي من أفعال الجاهلية، وكبائر الذنوب (صقر، ٢٠١١: ١ / ٦٢).

قال الشيخ عبد الله بن جار الله (رحمه الله): "الاختلاط هو: الاجتماع بين الرجل والمرأة التي ليست بمحرم، أو اجتماع الرجال بالنساء غير المحارم، في مكان واحد يمكنهم فيه الاتصال فيما بينهم، بالنظر أو الإشارة أو الكلام، فخلوة الرجل بالمرأة الأجنبية على أي حال من الأحوال تعتبر اختلاطاً" (صقر، ٢٠١١: ١ / ٦٣).

الخلوة: هي وجود المرأة مع الرجل في مكان لا يمكن أن يطلع عليهما فيه أحد، كغرفة أغلقت أبوابها ونوافذها وأرخت ستورها (قلعجي، ١٩٨٨: ١ / ٢٠٠) وخلوة المكان إذا لم يكن فيه أحد، ولا شيء فيه، وهو خال، ومنه خلوة الرجل بنفسه أي إذا انفرد (عبد المنعم، ٥١ / ٢).

وعلى هذا فإن الاختلاط غير الخلوة، لأن الاختلاط من المخالطة وهو الممازجة وأما الخلوة فهو الانفراد بالمرأة الأجنبية والغير الشرعية.

المبحث الثاني: آثار الاختلاط في المجتمع الإسلامي:

المطلب الأول: أنواع الاختلاط مع الحكم:

إن اختلاط الرجال بالنساء له ثلاث حالات: الأولى: اختلاط النساء بمحارمهن من الرجال، وهذا لا إشكال في جوازه. والثانية: اختلاط النساء بالأجانب لغرض الفساد، وهذا لا إشكال في تحريمه. والثالثة: اختلاط النساء بالأجانب في: دور العلم، والحوانيت، والمكاتب، والمستشفيات، والحفلات، ونحو ذلك، فهذا في الحقيقة قد يظن السائل في بادئ الأمر أنه لا يؤدي إلى افتتاح كل واحد من النوعين بالآخر؛ أما المجمع: فهو أن الله تعالى جبل الرجال على القوة والميل إلى النساء، وجبل النساء على الميل إلى الرجال مع وجود ضعف ولين، فإذا حصل الاختلاط نشأ على ذلك آثار تؤدي إلى حصول الغرض السيئ؛ لأن النفوس أمارة بالسوء، والهوى يعمي ويصم، والشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر. وأما المفصل: فالشريعة مبنية على المقاصد ووسائلها، ووسائل المقصود الموصلة إليه لها حكمه، فالنساء مواضع قضاء وطر الرجال، وقد سد الشارع الأبواب المفضية إلى تعلق كل فرد من أفراد النوعين بالآخر، وينجلي ذلك بما نسوقه لك من الأدلة من الكتاب والسنة. أما الأدلة من الكتاب فسته: «...». ثم ذكرها (رحمه الله)، ثم قال: «وأما الأدلة من السنة، فإننا نكتفي بعشرة أدلة»، ثم ساقها — (رحمه الله) (القحطاني، ١/٥٣٣).

المطلب الثاني: الأسباب المؤدية الى الاختلاط:

١- ضعف الإيمان في النفوس فالإيمان الصادق إذا تمكن في القلب ظهرت آثاره على الجوارح فيتعبد المتصف به بأوامر الله ونواهيه، وإذا ضعف الإيمان في النفوس استحسنن القبيح واستقبحن الحسن وصار المعروف عندها منكرا والمنكر معروفا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٢- تقاعس المسلمين عن الدعوة إلى الله وكسلهم عن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتثاقلهم عن القيام بفريضة الجهاد في سبيل الله حتى تركت الواجبات وارتكبت المنهيات و (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) (الروم: ٤١).

٣- قلة العلم الشرعي وظهور الجهل وقلة العلماء العاملين بعلمهم الذين يحملون القدوة الحسنة لمجتمعاتهم وكثرة الجهال الذين يحملون القدوة السيئة لهم.

- ٤- سوء التربية والتوجيه والتعليم أولا من جهة الآباء لجهلهم وغفلتهم أو استهتارهم، وثانيا من جهة المدرسة التي لا تضم الموجهين الأكفاء دينا وعلما وخلقا وسلوكا من الرجال والنساء.
- ٥- وسائل الدعاية والنشر من الصحف والمجلات والإذاعات المشجعة للتبرج والسفور والاختلاط.
- ٦- نظرة أكثر الناس إلى أوروبا وأمريكا وأنها في نظرهم المثل الأعلى في الحضارة والتقدم فيحاولون تقليدهم في كل شيء ويظنون أن الأمة إذا تبرجت واختلطت وانحلت صارت قوية مثل أوروبا وأمريكا، وما علموا أن القوة لله جميعا **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** (٨٢: يس) وفي قصص الأمم الماضية في نجات المؤمنين وهلاك الكافرين في القرآن لنا عظة وعبرة حيث أهلكهم الله في الدنيا وأعد لهم عذاب النار في الآخرة لما كفروا به وعصوا رسله ولنتأمل قول الله تعالى : **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ** (طه: ١٣١) وقوله تعالى: **وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ** (ابراهيم: ٤٢) وقوله تعالى: **لَا يَغْرِبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ** (متع قليل ثم ما أولهم جهنم وبئس المهاد) (١٩٧: آل عمران).

المطلب الثالث: أضرار الاختلاط ومفاسده:

فإن الدعوة إلى نزول المرأة للعمل في ميدان الرجال المؤدي إلى الاختلاط سواء كان ذلك على جهة التصريح أو التلويح بحجة أن ذلك من مقتضيات العصر ومتطلبات الحضارة أمر خطير جدا له تبعاته الخطيرة وثمراته المرة وعواقبه الوخيمة. رغم مصادمته للنصوص الشرعية التي تأمر المرأة بالقرار في بيتها والقيام بالأعمال التي تخصها في بيتها ونحوه.

ومن أراد أن يعرف عن كثب ما جناه الاختلاط من المفاسد التي لا تحصي فلينظر إلى تلك المجتمعات التي وقعت في هذا البلاء العظيم اختيارا أو اضطرارا بإنصاف من نفسه وتجرد للحق عما عده يجد التذمر على المستوى الفردي والجماعي والتحسر على انفلات.

قال الشيخ سيد سابق (رحمه الله): المرأة من بيتها وتفكك الأسر، ونجد ذلك واضحا على لسان كثير من الكتاب بل في جميع وسائل الإعلام، وما ذلك إلا هدم للمجتمع وتقويض لبنائه (ابن باز، ١٤٢٣هـ: ١ / ٢١).

"لما يترتب عليه من هتك الأعراض ومرض القلوب، وخطرات النفس، وخنوثة الرجال، واسترجال النساء، وزوال الحياء، وتقلص العفة والحشمة، وانعدام الغيرة" (صقر، ٢٠١١: ٢٠ / ١).

المطلب الرابع: آثار الاختلاط الاجتماعي على كيان الأسرة:

قال الاستاذ سيد قطب في كتابه: (السلام العالمي والاسلام): إن من حق الرجل كما إن من حق المرأة أن يطمئن كلاهما الى رفيقه وألا يتعرض للإغراء الذي قد تتحرف معه عواطفه عن شريكه، إن لم يقده ذلك الانحراف الى الانزلاق والخطيئة، مما يهدد الرباط المقدس المتضمن في الزواج، ويطيّر عن جوه الثقة الكاملة والاطمئنان (سيد قطب، ٢٠٠٦: ٢٠ / ١).

أن اقتحام المرأة لميدان الرجال الخاص بهم يعتبر إخراجا لها عن تركيبها وطبيعتها. وفي هذا جناية كبيرة على المرأة وقضاء على معنويتها وتحطيم لشخصيتها ويتعدى ذلك إلى أولاد الجيل من ذكور وإناث لأنهم يفقدون التربية والحنان والعطف. فالذي يقوم بهذا الدور وهو الأم قد فصلت منه وعزلت تماما عن مملكتها التي لا يمكن أن تجد الراحة والاستقرار والطمأنينة إلا فيها وواقع المجتمعات التي تورطت في هذا أصدق شاهد على ما نقول (ابن باز، ١٤٢٣هـ: ٢٢ / ١).

ولعل من أهم مساوئ الاختلاط هدم كيان المرأة والتقليل من شأن الرجل، مما يكون له أبلغ الأثر في تكوين الأسرة في مجتمعنا الإسلامي المعاصر، وعلى أخلاقيات الناس من الجنسين (المرسي، ١٩٩٨: ١ / ٢٣٠).

المطلب الخامس: آثار الاختلاط على المجتمع ومكوناته:

قال الأستاذ حسن البنا (رحمه الله): "يرى الإسلام في الاختلاط بين المرأة والرجل خطرا محققا فهو يباعد بينهما إلا بالزواج، وعليه فإن المجتمع الإسلامي مجتمع انفرادي لا مجتمع مشترك. يزيد الاختلاط قوة الميل، وقديما قيل: إن الطعام يقوى شهوة النهم. .. والمرأة التي تخالط الرجال تتفنن في إبداء ضروب زينتها، ولا يرضيها إلا أن تثير في نفوسهم الإعجاب بها" (صقر، ٢٠١١: ١ / ٢١).

ومما لا شك فيه أن آثار الاختلاط وخيمة على جميع أفراد المجتمع، فهو يدمر العباد، ويذر الديار بلاقع، حتى صارت هذه الدول التي تدعي الرقي والحضارة تعمل المدارس غير المختلطة لما رأت

من عواقب الاختلاط، ولما يكون في عدم الاختلاط من صفاء الذهن والاهتمام بالعلم، بعيدا عن التفكير بالنساء، والنظر إليهن.

فالاختلاط سبب عظيم من أسباب الشرور في المجتمع، من جراء هذه العلاقات المحرمة بين الرجال والنساء، حتى نشأ في هذه المجتمعات الحيوانية الأسر المفككة، والأولاد غير الشرعيين، عدا عن الأمراض الفتاكة التي سرى الكثير منها إلى بلاد الإسلام، كالإيدز وغيره (غانم، ١ / ٥٠).

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله (ﷺ) وخير خلق الله أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فيطيب لي أن أوجز أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الرسالة المباركة إن شاء الله تعالى وهي على النحو الآتي:

١. تبين أن الاختلاط في الشرع هو عبارة عن دمج الرجال بالنساء في مكان عام.
٢. وأن حكم الاختلاط هو مُحَرَّم إِلَّا لِمَحَرَّمٍ أو ضرورة.
٣. وأن الاختلاط غير الخلوة، فالخلوة عبارة عن اختلاء الرجل بالمرأة في مكان لا يراه إنسان.
٤. ومن الأسباب المؤدية الى الاختلاط ضعف الإيمان في النفوس، وتقاعس المسلمين، وانتشار الجهل وانحسار العلم.
٥. ومن آثار الاختلاط الاجتماعي والفردى على كيان الأسرة أن يشك الزوج بزوجه والزوجة بزوجها، وقلة تهذيب السلوك.

ولله الحمد أولاً وآخراً

قائمة المصادر والمراجع:

❖ القرآن الكريم.

١. صقر، شحاتة محمد، الاختلاط بين الرجال والنساء، أحكام وفتاوى - ثمار مرة وقصص مخزية - كشف ١٣٦
شبهة لدعاة الاختلاط، تقديم: مجموعة علماء، ط ١، دار اليسر، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٢. القحطاني، د. سعيد بن علي بن وهف، إظهار الحق والصواب في حكم الحجاب والتبرج، والسفور، والخلو بالمرأة الأجنبية، وسفرها بدون محرم، والاختلاط في ضوء الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح، تقديم: الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.
٣. ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله (ت ١٤٢٠هـ)، التبرج وخطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله، ط ١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ.
٤. النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، التفسير البسيط، تحقيق: ط ١، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ.
٥. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٦. السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط ١، دار الوطن، الرياض - السعودية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٧. مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت ١٠٤هـ)، تفسير مجاهد، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، ط ١، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
٨. مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق أحمد فريد، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٩. الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهر، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط ١، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ٢٠٠١م.
١٠. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (p) وسننه وأيامه، ط ١، دار الشعب - القاهرة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧م.
١١. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط ١، دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٨٧م.
١٢. الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (ت ٩٧٤هـ)، دار الفكر، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٣. الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي شمس الدين (ت ٩٧٧هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ١٢٨٥هـ.

١٤. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
١٥. الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري (ت ٣٢١ هـ)، شرح معاني الآثار،
١٦. الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، دار العلم للملايين - بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
١٧. السيد سالم، أبو مالك كمال، صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة، تعليق فضيلة الشيخ/ ناصر الدين الألباني، وفضيلة الشيخ/ عبد العزيز بن باز، وفضيلة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر، ٢٠٠٣ م.
١٨. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠ هـ)، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
١٩. الطيار، أ. د. عبد الله بن محمد، والمطلق، أ. د. عبد الله بن محمد، الفقه الميسر، والموسى، د. محمد بن إبراهيم، ط ١، دار الوطن للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
٢٠. أبو حبيب، الدكتور سعدي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، ط ٢، دار الفكر، دمشق - سورية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٢١. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفي الإفريقي (ت ٧١١ هـ)، لسان العرب، ط ٣، دار صادر - بيروت، ١٤١٤ هـ.
٢٢. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥ هـ)، مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط ٢، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٢٣. السباعي، مصطفى بن حسني (ت ١٣٨٤ هـ)، المرأة بين الفقه والقانون، ط ٧، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٢٤. الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥ هـ)، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
٢٥. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢٦. ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد العبسي الكوفي (ت ٢٣٥ هـ)، مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط ١، مكتبة الرشد - الرياض، ١٤٠٩ هـ.

٢٧. عبد المنعم، د محمود عبد الرحمن معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة.
٢٨. قلعي، محمد رواس، وقنيبي، حامد صادق، معجم لغة الفقهاء، ط ٢، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٢٩. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت ٣٩٥ هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
٣٠. المرسي، كمال الدين عبد الغني من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، ط ١، دار المعرفة الجامعية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

أزمة النفط العالمية في صحيفة الأهرام القاهرية

The Global Oil Crisis in Al-Ahram Cairo Newspaper

م. م. هبة سليم عباس *

Hibah Saleem Abbas *

الملخص:

مثلت أزمة الطاقة (النفط) نقطة تحول في موازين العلاقات الدولية بعد أن استخدم العرب سلاح النفط العربي في صراعهم مع إسرائيل بكفاءة لم تكن متوقعة أدت إلى إحداث أزمة طاحنة في أسواق النفط العالمية تأثرت بها جميع دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية واليابان، كما أدت إلى انقسام دول السوق الأوروبية المشتركة. وقد كان قرار الحظر عنصرًا أساسيًا في رسم السياسة الخارجية الأمريكية، لاسيما وأنه بدأ يحدث أثره في شقين: أحدهما يقضي بخفض الإنتاج وهذا من شأنه أن يؤثر على جميع الدول المستهلكة للنفط كأوروبا الغربية واليابان، والآخر منع النفط عن بعض الدول كأمريكا، وعليه قررت الأخيرة اتباع سياسة مستقبلية اعتمدت الهيمنة من خلال التحكم باقتصاد الدول المنتجة للنفط تحاشيًا لأي أزمة مستقبلية، كما أنها بدأت تبحث عن وسائل بديلة للنفط. الكلمات المفتاحية: النفط، حرب أكتوبر، حظر النفط، أزمة الطاقة، الأهرام.

Abstract:

The energy (oil) crisis represented a turning point in the balance of international relations after the Arabs used the Arab oil weapon in their conflict with Israel with unexpected efficiency, which led to a severe crisis in the global oil markets that affected all the countries of Western Europe, the United States of America and Japan, and also led to a division. Sharp among the European Common Market countries.

The embargo decision was an essential element in formulating American foreign policy, especially since it began to have its impact in two parts, one of which required reducing production, and this would affect all oil-consuming countries such as Western Europe and Japan, and the other was to prevent oil from some countries such as America, and therefore the latter decided to follow a future policy that relied on hegemony from While controlling the

* كلية الآداب/ جامعة الكوفة - العراق.

Email: Comhabhs.alsalihi@uokufa.edu.iq

* College of Arts/ University of Kufa - Iraq.

economy of oil-producing countries to avoid any future crisis, they also began looking for alternative means to oil.

Keywords: Oil, October War, Oil Embargo, Energy Crisis, Al-Ahram.

المقدمة:

تكمّن أهمية النفط كونه المحور الأساس الذي تقوم عليه الحضارة المعاصرة، سيما لدى العديد من الدول المتقدمة والتي تمتلك شركات نفطية كبرى، ونتيجةً للأهمية العظمى التي يشكلها النفط فقد استخدم كسلاح للضغط في الصراع العربي الصهيوني لدى الدول العربية خلال حرب ١٩٧٣ مما أدى إلى ارتفاع أسعاره على الدول المشاركة والمؤيدة للكيان الصهيوني ووقف انتاجه بشكل جزئي كي تمتنع تلك الدول عن مساعدة العدو عسكرياً واقتصادياً، وهذا يعد نقطة تحول هامة في طبيعة العلاقات العربية-العالمية وفي المحافل الدولية. وهنا تكمن المشكلة على الصعيد الدولي حيث لجأت الدول الكبرى المستهلكة للنفط إلى وضع استراتيجية لتعويض الخسائر باقتصاديات الدول المنتجة لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية التي اتبعت منذ عام ١٩٧٣ إلى اليوم استراتيجية قائمة على الهيمنة والحصار الاقتصادي وعدم الاستقرار السياسي للدول المنتجة للنفط لتبقى مهيمنة على إنتاجها تفادياً لأي أزمة مستقبلية.

جاء الهدف من اختيار هذا الموضوع عنواناً للدراسة من أجل تسليط الضوء على دور الأمة العربية في حرب تشرين عام ١٩٧٣ وكيفية استخدامها للنفط كسلاح في صراعها مع الكيان الصهيوني والتعريف بسياسة الحظر النفطي التي اتبعتها هذه الدول العربية ضد اسرائيل والدول المؤيدة لها، ومن ثمة بيان تأثير هذا الاستخدام وهذه السياسة على الدول العالمية أمثال الولايات المتحدة الأمريكية وهولندا واليابان وغيرها من الدول الأخرى.

قسم بحثنا المعنون ب"أزمة النفط العالمية عام ١٩٧٣ في صحيفة الأهرام القاهرية" إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة تضمنت أبرز الاستنتاجات التي توصلت اليها الباحثة في ضوء ما ورد في متن البحث من معلومات، اذ جاء المبحث الاول للتعريف بتداعيات السياسة لحرب أكتوبر، بينما تطرق المبحث الثاني إلى الموقف الدولي من حظر النفط.

اعتمدت الباحثة وبشكل أساسي على أعداد صحيفة الأهرام القاهرية لاستقاء المعلومات التاريخية حول سياسة الحظر النفطي من خلال ما كتبه من مقالات عدة وبأقلام مختلف كتابها في هذا المضمار حيث تمثل صحيفة الأهرام سياسة الدولة المصرية بشكل عام.

استعانت الباحثة ببعض المصادر الأخرى في تدوين المعلومات الخاصة بالتعريف ببعض الشخصيات والاحداث التي لها صلة بعنوان البحث مثل كتاب (الصراع الدولي على النفط العربي) للمؤلف حافظ برجاس وهو يدرس طبيعة السياسة الدولية أزاء أزمة الطاقة وأهمية النفط العربي للعالم العربي والإجراءات التي تتخذها الدول الصناعية للحد من أزمة النفط في حالة نشوب الصراعات وخاصة منطقة الشرق الأوسط.

المبحث الأول : التداعيات السياسية لحرب أكتوبر:

إن لكل زمن سلاح وإنّ السلاح الذي يصعب استخدامه في ظرف من الظروف قد يكون السلاح الوحيد في أزمة معينة، وهذا ما حدث مع سلاح النفط الذي أثبت بأنه متصل التأثير ليس من السهل أجهاضه، سلاح تتعاظم فعاليته وآثاره على صعيد الصراع الدولي وبخاصة الصراع العربي الصهيوني (جريدة الأهرام، سلاح البترول بين السياسة والاقتصاد، العدد ٣١٧٥٠، ١٤ تشرين الثاني ١٩٧٣).

لا سيما بعد أن أصبحت الاعتبارات السياسية هي التي تتحكم في النفط فبقدر ما كان النفط مادة اقتصادية تجارية أصبح النفط مادة سياسية واستراتيجية وجزء لا يتجزأ من العلاقات الدولية (حافظ برجاس، ٢٠٠٠، ص: ٩٢)، ففي السادس من أكتوبر ١٩٧٣ نجحت القوات المصرية من عبور قناة السويس واقتحام خط بارليف ليعلن بدء حرب أكتوبر بين القوات المصرية والسورية من جهة وبين الكيان الصهيوني من جهة أخرى وبسبب الانتصارات العسكرية التي حققها الجانب العربي بدأت الولايات تشحن لهذا الكيان ذخائر المدفعية الثقيلة والمدفعية المضادة للطائرات فضلاً عن تزويدها بطائرات من طراز فانتوم وسكاي هوك بهدف تغيير الميزان العسكري في الشرق الأوسط وإعادة بناء القوة العسكرية للكيان الصهيوني بقدر أكبر مما كانت عليه قبل الحرب (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٤٩، ١٣ تشرين الثاني ١٩٧٣)، أمام هذا الدعم المالي والعسكري للكيان الصهيوني عرضت الولايات المتحدة مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية في الشرق الأوسط للخطر فقد أدرك العرب أن القاعدة الأساسية من قواعد ممارسة القوة في السياسة الدولية تقول "بأننا إذا أردنا أن نمارس ضغطاً له قيمة فعلية وتنتج عنه آثار عملية فلا بد من توفر ثلاث شروط"

١- أن يكون سلاح الضغط موجود (وهو البترول).

٢- أن يكون قابلاً للاستعمال (أزمة الطاقة).

٣- أن يكون الطرف الآخر الذي يتعرض للضغط في شك من أن هذا الضغط سوف يمارس يقيناً بل أن ممارسته قد بدأت فعلاً (جريدة الأهرام، بصراحه يكتبها محمد حسنين هيكل، العدد ٣١٧١٨، ١٣ تشرين الأول ١٩٧٣).

عندما قررت الدول العربية المنتجة للنفط خفض انتاجها فوراً وبمعدل ٥٪ تزداد كل شهر ٥٪ على ان يطبق هذا القرار على الولايات المتحدة الامريكية في المقام الاول وعلى الدول الصناعية المساندة للكيان الصهيوني مقابل ان تمنح الدول المؤيدة للعرب نصيبها العالي من النفط وقد اتخذت تلك القرارات في الجلسة الثانية التي عقدها في الكويت (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧١٨، ١٨ تشرين الأول، ١٩٧٣).

ان أهمية هذه القرارات ليس تخفيض النسبة إلى ٥٪ كحد أدنى وانما في تخفيض معدل الزيادة التي كان سيزدادها انتاج البترول العربي وهذا المعدل كان يصل إلى ٥٪ شهرياً وهذا يعني حرمان الدول المستهلكة ليس من الزيادة المتوقعة فحسب وانما من نسبة الخفض التي ستكرر شهرياً (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٢٧، ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٣).

كان تعامل المؤتمر مع النفط كسلاح سياسي في المعركة حريصاً على النظر اليه من ثلاث زوايا تتمثل باحتمالات الحرب الطويلة الأمد بين مصر وسوريا ضد العدو الإسرائيلي وبالتالي ضرورة ان يكون النفط سلاحاً في هذا الصراع فضلاً عن الدعم المالي للمعركة وبالتالي استمرار تدفق البترول فضلاً عن مصالح الدول الصديقة بأن يكون لها وضع خاص ليكونوا عوناً لهم فيما لو أساء العرب تقدير استخدام سلاح النفط (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٢٧، ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٣).

لم يعد هناك احتمال تراجع عن فكرة استخدام (النفط) كسلاح ولم يعد هناك تراجع عن استخدام هذا السلاح في المكان المناسب لاحتياجات المعركة ولم يعد هناك تراجع عن موقف (النفط) من الدول المساندة للكيان الصهيوني واعتبر وزراء النفط أنفسهم في حالة انعقاد دائم فقد كان هدفهم رفع سعر النفط العربي إلى درجة تضمن معها ان عائداتها البترولية رغم خفض الانتاج سوف تبقى على ما كانت عليه عندما كان الانتاج كاملاً (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٤٠، ٤ تشرين الثاني ١٩٧٣).

لم يكتفِ وزراء النفط بخفض الإنتاج وحظر إرساله إلى الدول المؤيدة إلى الكيان الصهيوني فقط وإنما تقييد صادرات النفط العربية بمنع هذه الدول من إعادة شحن البترول إلى الدول التي فرضت عليها حظر مثل الولايات المتحدة الأمريكية (جريدة الأهرام، ١٩٧٣، ٥ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٤١).

لقد كان انعقاد المؤتمر حسب رأي المراقبون الغربيون في وقت كانت عواصم العالم الغربي بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية تعاني من أزمة طاقة حادة (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٤١، ٥ تشرين الثاني).

اذ ان الحقول النفطية تنتج كل سنة اقل من السنة التي سبقتها بما يعادل ٢،١ وفنزويلا وكندا ليس لديها الاحتياط الكافي لمواجهة زيادة الاستهلاك في أمريكا بلغ سنة ١٩٧٢ أكثر من ٥٪ والمنطقة الوحيدة في العالم القادرة على أمدادهم بما يحتاجون تأتي من الاراضي العربية وكانوا الامريكيون مطمأنين لحصولهم على كل ما يحتاجون من المملكة السعودية وايران فقد عبر هنري كيسنجر "ان علاقتنا مع اهم مصادر النفط في الشرق الاوسط حسنة جدا ونستبعد حدوث تطورات في المستقبل تجعلهم يقطعون امداداتنا النفطية". كان هذا الكلام في شهر سبتمبر ولكن السعودية قطعت إمداداتها في الاسبوع الثالث من شهر تشرين الاول تبعتها معظم الدول العربية المنتجة والمصدرة للنفط (جريدة الأهرام، لكي يكون البترول سلاحاً ماضياً، العدد ٣١٧٤١، ٥ تشرين الثاني ١٩٧٣).

ففي السابع عشر من تشرين الاول أوقفت المملكة العربية السعودية تراخيصها للشركة العربية الأمريكية للنفط في السابع عشر من تشرين الاول عام ١٩٧٣ لتنفيذ برنامج التوسع الذي وضعته شركة ارامكو العربية حيث زاد الانتاج بمقدار ٦,٥٥ مليون برميل يومياً في شهر يناير إلى متوسط انتاج يومي قدره ٨,٢ مليون برميل يومياً خلال شهر الشهر الجاري ولكن بعد قرار خفض الانتاج الذي التزمت به الدول العربية المصدرة للنفط ومن ثم قرار الحظر وما ترتب عليه من ايقاف إرسال النفط إلى الولايات المتحدة خفضت السعودية انتاجها إلى ٣,٦ مليون برميل أي ما يعادل انتاج فنزويلا كله (جريدة الأهرام، تخفيض السعودية من البترول يساوي كل إنتاج فنزويلا، العدد ٣١٧٤٤، ٨ تشرين الثاني ١٩٧٣).

أمام هذا الأمر أعلن جون لاف مستشار الرئيس الأمريكي نيكسون لشؤون الطاقة ان "عدم ارسال البترول العربي إلى أمريكا يهدد الاقتصاد الأمريكي بحدوث انكماش اقتصادي خطير في البلاد ويخفض معدل النمو فيها بنسبة مئوية تصل إلى ٩٠٪" فضلاً عن صناعة الصلب في أمريكا مهددة هي الاخرى بالانخفاض اذا استمر وصول الامدادات اليها بنسبة ١٥٪ إذا ما استمرت الدول العربية في استخدام النفط

كسلاح في المعركة قد أيد بيرينجار وزير النقل الأمريكي هذا الكلام بأن انقطاع النفط العربي سيؤدي إلى أزمة خطيرة في الأمن القومي الأمريكي والتأثير على القوات المسلحة الأمريكية لأن نسبة ما تستورد أمريكا من تبلغ ٢٠٪ النفط العربي من مجموع الامدادات النفطية لأمريكا (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٤٧، ١١ تشرين الثاني ١٩٧٣).

أدى هذا الامر إلى حدوث انقسامات داخل حكومة نيكسون وإلى مشاعر من الشك بين الشعب الأمريكي (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٦٤، ٢٧ تشرين الثاني ١٩٧٣، ص: ٣) لاسيما بعد ان طلب نيكسون من الشعب الأمريكي " تقبل التضحيات وشد الأحزمة على البطون وتغيير أسلوب حياتهم" جاء ذلك بعد تصريحه بأن الولايات المتحدة الأمريكية تواجه بسبب قطع الدول العربية لإمداداتها النفطية أسوأ أزمة طاقة منذ الحرب العالمية الثانية خصوصاً أن الأمريكيون قد أدركوا ان حظر النفط العربي عن أمريكا سوف يستمر حتى انسحاب القوات الصهيونية من كل الأراضي العربية المحتلة والغاية منه هي توليد ضغط قوي من المستهلكين في دول غرب أوروبا واليابان وعلى الولايات المتحدة بصورة غير مباشرة للضغط على الكيان الصهيوني فاذا لم تتحقق الطالب العربية فسوف يستمر التصعيد بإجراءات خفض الانتاج (جريدة الأهرام، العدد ٣١٤٤٨، ٨ تشرين الأول ١٩٧٣).

وهي مطالب معتدلة وفق رأي روبرت أندرسن أحد كبار خبراء النفط الأمريكي ورئيس شركة النفط الأمريكية وان تحقيقها خطوة تمكن الولايات المتحدة الأمريكية من أن يكون لها تأثير طيب في منطقة الشرق الأوسط مرة أخرى (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٥٢، ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٣).

ولمواجهة أزمة الطاقة الناتجة عن العجز في النفط العربي والمتوقع ان يصل ال ١٨٪ والذي وصف بأنه أخطر مما كان متوقعا وافقت إدارة الطاقة في وزارة الخارجية على استراتيجية تقوم على مرحلتين الأولى يقضي بخفض الإنتاج البنزين بنسبة ٤١٪ من اجمالي المنتجات البترولية بدلا من النسبة الحالية ٤٧٪ وذلك بهدف زيادة انتاج أنواع الوقود البترولية وخاصة التي تستخدم في الصناعة وسيترتب على ذلك خفض نسبة البنزين المخصصة لأصحاب السيارات الخاصة ٥٪ لتوفير نسبة أكبر من البنزين لسيارات الطوارئ والسيارات المتصلة بالأعمال العامة (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٥٢، ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٣). (ريتشارد نيكسون (١٩١٣-١٩٩٤): رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابع والثلاثين، شهد عهده تقارب مع حكومة الاتحاد السوفيتي في ظل سياسة الوفاق الدولي وركز في سياسته على مساندة التطور الاقتصادي في الدول

الآسيوية، أسهم مع وزير خارجيته هنري كيسنجر في حل أزمة الشرق الأوسط وانتهاء حرب ١٩٧٣، تتحى عن الحكم بسبب قضية ووترجيت) (طاهر، ٢٠١٨، ص ٧٤).

أما المرحلة الثانية تقضي بتوزيع وقود التدفئة بالبطاقات بحيث تخفض بنسبة ١٥٪ للمنازل و ٢٥٪ للأعمال التجارية و ١٠٪ للمصانع والسماح باستخدام وقود الفحم رغم اضراره الخطيرة بالنسبة لتلوث البيئة وخفض استخدام الكهرباء بنسبة ٢٠٪ بحيث تعمل المحال التجارية ساعات اقل ليلا وبالرغم من هذه الاستراتيجية فقد أعترف إدارة الوقود في وزارة الداخلي بأن العجز سيصل إلى ٣١١ الف برميل يوميا وأنه اذا لم تنفذ هذه الاستراتيجية فان العجز سيصل إلى ٣ مليون برميل يوميا (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٥٢، ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٣).

وقد كان لإجراءات الحد تلك اثر كبير في هبوط مركز الدولار الذي تأثر بسبب حالة اليأس التي سادت الاوساط الغربية (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٦٣، ٢٧ تشرين الثاني ١٩٧٣).

وعليه يمكن القول ان سلاح النفط هز العالم اقتصاديا وسياسيا وحدث تغيرا في طبيعة العلاقات الدولية لكن الدبلوماسية الامريكية بقيادة هنري كيسنجر استطاعت ان تنتزع قرار برفع الحظر النفطي بعد ستة اشهر من تنفيذه لقاء التوصل إلى اتفاق فصل القوات في سيناء وقد تم ذلك في ١٨ اذار ١٩٧٤ (حافض برجاس، ٢٠٠٠: ص ٩٥).

المبحث الثاني: الموقف الدولي من حظر النفط:

ندرك ان دخول النفط العربي المعركة كسلاح سياسي ليس ضغطا سياسيا واقتصاديا فحسب بل هو يقضي بتعميق فجوة الخلاف بين الولايات المتحدة الامريكية من جهة وبين اليابان واوروبا الغربية من جهة أخرى نتلمس ذلك من رغبة اليابان من التخلص من القيود التي فرضت على النفط والمتمثلة بحرمان الغرب من أداة هامة في منافستها الصناعية والاقتصادية في العالم الاشتراكي (جريدة الأهرام، سلاح البترول بين السياسة والاقتصاد، العدد ٣١٧٥٠، ١٤ تشرين الثاني ١٩٧٣).

تعد اليابان من اكثر الأمثلة النموذجية في الكيفية التي دارت بها هذه المعركة والمحاولات المضادة في مواجهتها الان ومستقبلا، وما ينبغي ان يبذل من الجانب العربي للاحتفاظ بالانتصار فيها

فاليابان نموذج للدولة الصناعية الذي تسهم في تقدمها نصيب كبير جدا من بترول الشرق الأوسط (جريدة الأهرام، الاحتفاظ بالانتصار في معركة البترول، العدد ٣١٧٦٢، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٣).

حيث شكل النفط العربي نسبة ٧٧٪ من احتياجات الطاقة في اليابان وكله مستورد تقريباً ونصفه من العالم العربي ولهذا كان استخدام النفط كسلاح سياسي أوقع صدمة على اليابانيين وقد حذر الساسة ورجال الاعمال والاقتصاديون من ان اليابان تواجه اخطر ازمة منذ الحرب العالمية الثانية وانها ستواجه ركودا شديدا في المجال الاقتصادي والتجاري خلال العام القادم، عندما يظهر اثار خفض الامدادات النفطية (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٦٠، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٧٣).

أمام هذه التطورات عقد كاكويتانكا رئيس وزراء اليابان اجتماعا مع هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي في الخامس عشر من تشرين الأول ١٩٧٣ أوضح فيه الآثار الخطيرة التي حلت بالاقتصاد الياباني من جراء تخفيض الدول العربية لصادراتها النفطية واليابان مضطرة لكي تحصل على النفط إلى التخلي عن حيادها التقليدي في الشرق الأوسط وتبنى سياسة مؤيدة للعرب وتستعد إلى الإعلان عن سياسة جديدة تؤيد الموقف العربي تجاه الكيان الصهيوني طالبا من هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية تفهم الوضع لكن الأخير رد عليه قائلا " ان مشاكل اليابان الاقتصادية لا تهمني " (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٥٦، ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٣).

جاء الموقف الياباني هذ بناءً على تصريحات الشيخ أحمد زكي اليماني وزير النفط السعودي ان على اليابان ان تقطع علاقتها مع الكيان الصهيوني اذا ارادت ان تستثنى من قرار خفض امدادات النفط العربي " (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٥٦، ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٣).

فضلاً عن ضغط رجال الاعمال والصناعة الذين طالبوا بضرورة انتهاج سياسية مؤيدة للعرب اذا استمر استخدام سلاح النفط الذي قد يتعرض ثلث الاقتصاد في العالم إلى التضرر والاصابة لاسيما في ما يخص الصناعات البتروكيميائية وصناعة الصلب في اليابان فضلا عن الاحتياجات اليومية الاستهلاكية لمشتقات النفط (جريدة الأهرام، ٢١ تشرين الثاني ١٩٧٣، العدد ٣١٧٥٧).

نشرت الصحف الصهيونية بان اليابان ستعرض إلى مقاطعة يهودية اذا استسلمت للعرب وقطعت علاقاتها الدبلوماسية مع الكيان الصهيوني وان هذه المقاطعة ستكون فعالة بسبب نفوذ دوائر الأعمال

اليهودية ذات الفروع الكثيرة في الولايات المتحدة الأمريكية وباقي دول العالم (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٥٧، ٢١ تشرين الثاني ١٩٧٣).

ان تهديد الكيان الصهيوني لليابان بتنظيم مقاطعة يهودية عالمية ضد بضائعها يمكن ان يواجه بموقف عربي من شأنه ان يبطل هذه المقاطعة والسوق العربي قادر على احتوائها بشكل يفوق المقدرة اليهودية ليس هذا فحسب فامن الأمة العربية من خلال ممارسة استخدام سلاح النفط فقد تخطت طرفا في صراعات كبيرة فهي قد قربت اليابان إلى موقف الاتحاد السوفيتي المؤيد الرئيسي للعرب بالقدر الذي أبعدتها به عن الولايات المتحدة الأمريكية وبذلك استخدم العرب الإمكانات النقدية والتسويقية والتجارية كأسلحة إيجابية في صراعها ضد الكيان الصهيوني (جريدة الأهرام، الاحتفاظ بالانتصار في معركة البترول، العدد ٣١٧٦٢، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٣).

لهذا أصدرت اليابان خطابا أوضحت فيه بأنها ستحجم عن أي اجراء من شأنه ان يستفز الدول النفطية كما طالبت بضرورة انسحاب الكيان من الأراضي العربية المحتلة ولا مانع لديها من أن تعيد سياستها تجاه الكيان الصهيوني حسب التطورات (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٦٢، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٣).

كانت قرارات الحظر موجه بالدرجة الأساس ضد الولايات المتحدة الأمريكية إذ أن أغلب الدول الأوروبية لديها مخزون من النفط يكفي لاستهلاكه لمدة شهرين على الأقل لكن الدول العربية حددت هولندا لأنها كانت بمثابة نقطة عبور شحنات الأسلحة الأمريكية إلى إسرائيل فضلاً عن إيطاليا وبلجيكا التي كانتا من نقاط الشحن الرئيسية اذ ان ما يقارب حوالي ٥٠٠ ألف برميل تحصل عليها الولايات المتحدة عن طريق الدول الأوروبية وعلية فقد قررت إيطاليا وقف تصدير الكيوسين والجازولين (جريدة الأهرام، ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٣، العدد ٣١٧٢٧).

طرح هولندا مشروعاً يقضي بأعاده توزيع النفط على دول الأعضاء من خلال الاجتماع دول السوق المشتركة الا ان المشروع قد تمت معارضته من قبل فرنسا وبريطانيا لان ذلك من شأنه أن يؤثر على طبيعة العلاقة بين فرنسا وبريطانيا من جهة وبين الدول العربية من جهة أخرى إذ أنهم أدركوا أن العلاقة مع العرب كفيلة بتأمين النفط العربي لهم لاسيما بعد زيارة محمد حسن الزيات مستشار الرئيس أنور السادات إلى فرنسا وتصريحه "بأن لا تقلق بشأن امدادات النفط العربي اليها وذلك لأن العرب يقدرون موقفها الصديق (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٤٢، ٦ تشرين الثاني ١٩٧٣).

اعتبرت بريطانيا اجتماعات العرب وقرارهم في حظر النفط تصعيداً خطيراً لسلح البترول في المعركة. كما اعتبر بمثابة تخدير للدول الغربية وسم بطيء ينساب بين طيات حرب طويلة الأمد وان العرب بتصرفهم هذا يريدون من الحكومات الغربية ان تحدد موقفها بوضوح من النزاع العربي وعليه أعلنت بريطانيا ضرورة الاقتصاد إلى اقصى حد ممكن في التدفئة فعلى أصحاب سيارات ان يحدوا من تحركاتهم ويلجأ إلى المواصلات العامة ويعتبر هذا أول رد فعل في بريطانيا إزاء نقص النفط (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٦٥، ٢٩ تشرين الثاني ١٩٧٣). فضلاً عن ذلك فقد أعلنت دول السوق الأوروبية المشتركة (فرنسا، ألمانيا، بلجيكا، لوكسمبورغ، هولندا، إيطاليا، المملكة المتحدة، الدانمارك، اليونان، اسبانيا، البرتغال، ايرلندا، السويد، فلندا، النمسا) في السادس من تشرين الثاني إلى ضرورة انسحاب الكيان من الأراضي التي احتلتها منذ عام ١٩٦٧ على اعتبار ان ذلك من شروط الحيوية المسبقة للتوصل إلى تسوية كما دعوا إلى ضرورة تنفيذ قرارات مجلس الأمن بانسحاب القوات المتحاربة إلى موقع ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول) وإنشاء قوة طوارئ دولية للإشراف على اطلاق النار (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٤٣، ٧ تشرين الثاني ١٩٧٣).

نستنتج من ذلك ان الدول المستهلكة للنفط تخشى ان تظهر بمظهر "الاتحاد" ضد العرب بدليل انهم رفضوا احياء نشاط الهيئة الاستثمارية للصناعة الدولية التي تظم هذه الهيئة ١٥ شركة عالمية تبقى في حالة ركود ولا تنشط الا في الازمات عندما تعهد اليها الحكومات بتوحيد المعلومات والموارد (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٣٣، ٢٨ تشرين الأول ١٩٧٣).

أعلنت الدول العربية في الثامن عشر من تشرين الثاني بأن قرار الحظر لا يطبق على دول السوق الأوروبية وان هذا القرار صدر تقديراً لموقف دول السوق الأوروبية اثناء حرب الشرق الأوسط وقد استثنيت هولندا من ذلك القرار (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٥٥، ١٩ تشرين الثاني ١٩٧٣) بسبب موقفها المؤيد للكيان إذ كان سبباً في قيام سبع دول عربية قطع صادراتها النفطية إلى هولندا فقد اعلن جوب دين بول رئيس وزراء هولندا ان الموقف خطير جداً وان بلاده تجري حالياً مشاورات دبلوماسية تحاول من خلالها اقناع الدول العربية بأعاده النظر في قرارها وحل ما يعرف بسوء التفاهم وتعتبر السعودية المصدر الرئيسي لنفط الذي تستورده وقد بلغ ما استوردته هولندا من نفطها الخام العام الماضي ١٨ مليون طن وبقرار السعودية عانت هولندا عجزاً قدره بلغ ٤٠,٧ مليون طن من جملة واردات هولندا التي بلغ ٦٨ مليون سنوياً (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٣٣، ٢٨ تشرين الثاني ١٩٧٣).

هذا وأعلنت الدول العربية في السابع من تشرين الثاني ١٩٧٣ بمقاطعة البرتغال اقتصاديًا لموقفها العدائي ضد العرب لسماحتها باستغلال أراضيها في نقل المعدات الأمريكية للكيان الصهيوني اثناء الحرب (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٤٤، ٨ تشرين الثاني ١٩٧٣).

إزاء هذه التطورات العالمية وسياسة العدوان التوسعية التي اتبعها الكيان الصهيوني والتأييد الأمريكي لها والدعم اللامتناهي للكيان الصهيوني من قبل القوات الأمريكية، أعلنت منظمة الوحدة الإفريقية (التي تأسست في أديس ابابا في أثيوبيا سنة ١٩٦٣ على يد الغاني كوامينكروما بهدف تشجيع التكامل الاقتصادي والسياسي بين دول الاعضاء (وسام أحمد طه، العدد ٣٩، ج ١، ص ٣٠٣)) والتي تتألف من (٤٢) دولة قرار بفرض حظر شامل على الكيان الصهيوني حتى تتمثل لقرارات الأمم المتحدة التي تلزم الكيان الصهيوني بالانسحاب من جميع الأراضي العربية المحتلة دون أي شروط مسبقة ومعاملة إسرائيل على درجة واحدة مع نظم الحكم الاستعمارية والعنصرية في القارة الإفريقية فضلاً عن تشديد العزلة عليه في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والتجارية حتى يتم التوصل إلى حل عادل ودائم لمشكلة الشرق الأوسط (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٥٨، ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٣).

وبهذا تكون حرب أكتوبر (تشرين الأول) قد أبرزت وحدة الصف العربي وقدرة العرب على الاضرار بمصالح حلفاء العدو الصهيوني وفي مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية التي تخلص منها حتى حلفاؤها الذين اكدوا بأن انتمائهم للحلف الأطلسي لا يعني بالضرورة معادات الدول العربية (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٣٤، ٢٩ تشرين الأول ١٩٧٣).

الخاتمة:

لقد توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج تمثلت في الآتي:

١-لقد برزت الحرب كأداة لتحريك حالة الاحرب والاسلام السائدة في ذلك الوقت وانها الطريق للوصول إلى سلام.

٢-غيرت الحرب نظرية الأمن للكيان الصهيوني فأن صمامات هذه النظرية قد أصابها الشروخ فالحيش الذي لا يهزم قد تلقى هزيمتين صارختين تمثلت الأولى بعبور قناة السويس في السادس من أكتوبر والثانية اقتحام أقوى خط دفاعي وهو خط بارليف وهذا له انعكاس نفسي على المجتمع الصهيوني.

٣- أن قرارات العرب باستخدام النفط سلاح في المعركة لم يكن وليد انفعال جبهة القتال وانما هي قرارات نابعة من الرغبة في تغيير واقع الواجهة بين الدول العربية والدول الداعمة والكيان الصهيوني والمتمثلة بأمريكا وأوروبا الغربية.

٤- كانت حرب أكتوبر كفيلة بخلق سلسلة من أسباب التوتر والضيق في العلاقات بين أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية التي انتهجت خطأ منفصلاً عن خط الولايات المتحدة الأمريكية والمتمثل بعدم مساندتها على صعيد السياسة الخارجية في منطقة الشرق الأوسط.

٥- عمقت الشرخ داخل جامعة الدول العربية بين مؤيد وناقد لهذه الحرب، والسياسة المصرية بشكل عام انتهت إلى توقيع اتفاقية سلام مع ذلك الكيان الصهيوني والتي يترتب عليها عزلة عربية.

٦- دفع الولايات المتحدة إلى اتباع استراتيجية ضد الدول العربية المنتجة للنفط قائمة على وضع اقتصادها رهن السياسة الأمريكية والعمل على تفكيكها سياسياً، وما يحدث الآن في الوطن العربي جزء من تلك الاستراتيجية.

٧- أن السياسة الخارجية الأمريكية مبنية على تأمين الطاقة وأمن الكيان الصهيوني.

قائمة المصادر والمراجع:

١. حافظ برجاس، الصراع الدولي على النفط العربي، (لبنان: بيسان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠).
٢. حيدر كاظم طاهر، حرب السادس من تشرين الأول ١٩٧٣ في الصحافة البغدادية-دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الكوفة: كلية الآداب، ٢٠١٨).
٣. وسام أحمد طه، التطور التاريخي لفكرة الوحدة الإفريقية حتى قيام المنظمة ١٩٦٣، مجلة بحوث الشرق الأوسط، القاهرة، العدد ٣٩، ج ١.
٤. بلا مؤلف، ١٩٧٣، أمريكا تزيد ميزانيتها الدفاعية لتغطية تسليح إسرائيل وضعف الاستعدادات الأمريكية في الحرب، جريدة الأهرام، ١٣ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٤٩.
٥. بلا مؤلف، ١٩٧٣، أمريكا مهددة بانكماش اقتصادي خطير، جريدة الأهرام، ١١ تشرين الثاني العدد ٣١٧٤٧.
٦. بلا مؤلف، ١٩٧٣، خفض انتاج البترول فوراً بنسبة ٥٪ تتزايد شهرياً حتى يتم الانسحاب جريدة الأهرام، ١٨ تشرين الأول، العدد ٣١٧١٨.
٧. بلا مؤلف، ١٩٧٣، اجتماع عاجل لوزراء البترول العرب لإعلان إجراءات جديدة موحدة، جريدة الأهرام، ٤ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٤٠.

٨. بلا مؤلف، ١٩٧٣، انقسامات في حكومة نيكسون حول أسلوب معالجة أزمة البترول، جريدة الأهرام، ٢٧ تشرين الثاني، العدد (٣١٧٦٤).
٩. بلا مؤلف، ١٩٧٣، رجال الاعمال اليابانيون يطالبون حكومتهم بتأييد العرب والتخلي عن موقفها الحيادي، ٢١ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٥٧.
١٠. بلا مؤلف، ١٩٧٣، هبوط في أسعار الدولار وتوقع كساد اقتصادي في الغرب، جريدة الأهرام ٢٧ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٦٣.
١١. بلا مؤلف، ١٩٧٣، هولندا تعلن أن موقفها خطير وأوروبا كلها تخشى نتائج نقص البترول، جريدة الأهرام، ٢٨ تشرين الأول، العدد ٣١٧٣٣.
١٢. بلا مؤلف، ١٩٧٣، مطالبة اليابان بقطع علاقاتها مع إسرائيل، جريدة الأهرام، ٢٠ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٥٦.
١٣. بلا مؤلف، ١٩٧٣، مقاطعة اقتصادية عربية للبرتغال، ٨ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٤٤.
١٤. بلا مؤلف، ١٩٧٣، تصدع في التحالف الأمريكي الياباني بعد بيان طوكيو عن أزمة الشرق الأوسط، جريدة الأهرام، ٢٤ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٦٠.
١٥. بلا مؤلف، ١٩٧٣، قيود جديدة على تصدير البترول لأحكام الحصار البترولي على هولندا وأمريكا، جريدة الأهرام، ٥ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٤١.
١٦. بلا مؤلف، ١٩٧٣، كبار الخبراء يحذرون من آثار خفض البترول العربي، ١٦ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٥٢.
١٧. بلا مؤلف، ١٩٧٣، كبار الخبراء يحذرون من آثار خفض البترول العربي، جريدة الأهرام، ١٦ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٥٢.
١٨. جون دي أونيس، ١٩٧٣، تخفيض السعودية من البترول يساوي كل انتاج فنزويلا، جريدة الأهرام، ٨ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٤٤.
١٩. سمير كرم، ١٩٧٣، الاحتفاظ بالانتصار في معركة البترول، جريدة الأهرام، ٢٦ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٦٢.
٢٠. صلاح نصر، ١٩٧٣، نظرة إيجابية لقرارات خفض انتاج البترول العربي وحظر تصديره إلى أمريكا، جريدة الأهرام، ٢٢ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٢٧.
٢١. عبد الله الطريقي، ١٩٧٣، لكي يكون البترول سلاحاً ماضياً، جريدة الأهرام، ٥ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٤١.
٢٢. محمد حسنين هيكل، ١٩٧٣، جريدة الأهرام، ١٣ تشرين الأول، العدد ٣١٧١٨.
٢٣. محمد سيد أحمد، ١٩٧٣، سلاح البترول بين السياسة والاقتصاد، جريدة الأهرام، ١٤ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٥٠.

الصراع الطبقي

الأقلية البرجوازية والأكثرية الأرستقراطية

قراءة ثقافية: رواية ليلة مجنونة لمحمد بن جرش أنموذجاً

Class Struggle

The Bourgeois Minority and The Aristocratic Majority Cultural Reading: The Novel A Crazy Night by Muhammad bin Jarsh is an example

م. جعفر أحمد عبدالله محمد *

Jaafar Ahmed Abdullah Muhammad*

الملخص:

إنّ الصراع الطبقي ما بين البرجوازية الكادحة، والأرستقراطية التي تعيش في رفاة متعممة كان الثيمة التي هيمنت على رواية ليلة مجنونة. فالصراع يكشف عن الحالة الإيجابية والسلبية للشخصيات. فضلاً عن التفاوت الطبقي بين المجتمع. وهنا ينمو الصراع عبر استراتيجية انتظمت بوساطة عنصر السرد وتقانة الوصف حين اشتبك في أحداث الرواية وكوّننا بؤرة واحدة. انقسم البحث إلى مهاد نظري ومبحثين، تناول المهاد النظري الكشف عن بعض المصطلحات: الصراع، الطبقة، النقد الثقافي، الأقلية، البرجوازية، الأرستقراطية. وتناول المبحث الأول الأقلية البرجوازية وحدود الشخصية الضعيفة. بينما تحدث المبحث الثاني عن الأكثرية الأرستقراطية وسطوة الشخصية القوية. ثمّ ختم البحث بأبرز النتائج التي توصلنا إليها.

الكلمات المفتاحية: الصراع، الطبقة، الأقلية، الأغلبية، البرجوازية، الأرستقراطية، الثقافية.

Abstract:

The class struggle between the toiling bourgeoisie and the aristocracy that lives in blissful luxury was the theme that dominated the novel A Crazy Night. Conflict reveals the positive and negative state of the characters. As well as the class disparity between society.

* الكلية التربوية المفتوحة، مركز نينوى/ مديرية التربية نينوى - العراق.

Email: Tr1he5ua1@gmail.com

* Open Educational College, Ninevah Center/ The Nineveh Education Directorate - Iraq.

Here, the conflict grows through a strategy organized by the narrative element and the technique of description when they clash in the events of the novel and form a single focus.

The research was divided into a theoretical section and two sections. The theoretical section dealt with revealing some terms: conflict - class - cultural criticism - minority - bourgeoisie - aristocracy. The first section dealt with the bourgeois minority and the limits of the weak personality. While the second section dealt with the aristocratic majority and the influence of the strong personality. Then the research concluded with the most important results we reached.

Keywords: Conflict, Class, Minority, Majority, Bourgeoisie, Aristocracy, Cultural.

مهاده نظري:

أولاً: الصراع:

يعد الصراع الشحنة الرئيسة التي يستكشف فيها الكاتب بواطن الشخصية المعاصرة. إذ يشتغل الصراع على وفق استراتيجية تجمع العناصر الدرامية التي تبدأ من نقطة معينة ثم تمر بمراحل معقدة إلى أن تصل إلى الحل في خاتمة الصراع بصرف النظر عن الحالة الطبيعية أو اللابيعية، الإيجابية أو السلبية لحسم التحديات التي تمر بها الشخصيات في العمل الأدبي. ولعل مفهوم الصراع الدرامي يدل على المفاضلة بين قوتين متعارضتين ينمو بمقتضى تصادمهما بالحدث الدرامي، فعندما يصدم البطل بعقبة يحاول التغلب عليها، وقد يكون طرف الصراع مع البطل في تحديات طبيعية أو تحديات بشرية أو تحديات اجتماعية أو تحديات داخلية أو تحديات غيبية كالقدر والآلهة (حمادة، ١٩٧١: ١٩٠). فالصراع بين ضديدين مختلفين ونزعات تتعارض معه، وهو إما أن يكون خارجياً بمعنى نزاع بين شخصيتين أو عالمين أو طبقتين بحسب توظيف الكاتب، وربما يكون داخلياً بين الذات والأنما، وثمة صراع حول الأجيال الأدبية يبين نوعاً من القواعد والرؤى الفنية، فضلاً عن صراع آخر على مستوى الأصالة والحدث وجدلية المحافظة والتجاوز وغيرها من أشكال الصراعات الأخرى (علوش، ١٩٨٥: ١٣٤). أمّا عن أقسام الصراع أو أشكاله فالبعض يحدده بالسّاكن ذي السرعة البطيئة والصراع الواثب الذي ينمو على شكل طفرات مباغته والصراع الصّاعد الذي يكون موافقاً لافتراضات تطوره وأخيراً الصراع المتوثب الذي يشعرنا بقرب نشوبه (عبدالوهاب، ٢٠٠١: ٩٣)، إذن الصراع "ادراك جوهر التعارض، وتحصيل فهم معمق لطبيعة الإنسانية في إطارها الاجتماعي" (عشور، ٢٠١٩).

ثانياً: مصطلح الطبقة:

ينتمي مصطلح الطبقة إلى الماركسية وإلى علم الاجتماع فالطبقة جماعة لها وعي وقيم وعادات وتقاليد معينة وأعراف خاصة بهم وهوية خاصة بها وصولاً إلى الظروف التي تمرّ بها كلّ طبقة من الناحية المادية والاجتماعية والثقافية. والطبقة تقوم ببناء قدرتها الفكرية والثقافية عبر مبدعيها وتميّزهم. إنّ مصطلح الطبقة في النقد الثقافي يشير ((إلى المقولات المعتمدة على المصادر الاقتصادية للمجموعات المختلفة من الناس في مجتمع بعينه، وإلى التنظيمات الثقافية والاجتماعية التي تنبثق من هذا التقسيم. أي إنّ لتقسيمات الطبقة الاقتصادية نتائج ثقافية، فأعضاء طبقات بعينها تميل إلى أن يكون لها مستويات تعليمية ومناصب، وأساليب حياة، وقيم، وحساسية جمالية متشابهة... إلخ ويختلفون من هذه الجوانب عن أعضاء من شرائح اجتماعية اقتصادية أخرى)) (أيزابجر، ١٩٣٣: ٨٨).

فأيّ طبقة تعتمد اعتماداً مباشراً على المصادر التي تؤمن لها حياة تناسبها فضلاً عن النظام الثقافي الذي تدير عليه الطبقة عبر مستويات مختلفة منها مادية تتحكم في مواردها، ومنها مناصب تحدد وجودها ضمن الطبقات الأخرى والقيم التي توارثتها عبر موروثها الأسري أو المجتمعي ممّا أفردتها وميّزها عن بقية الطبقات الأخرى، وفي كلّ طبقة هناك أناس يكون شدة الصراع الطبقي وتأثيراته عليهم نفسياً ومعنوياً لذا نجدهم يبحثون عن الخلاص من هذه القوانين التسلطية التي تحدّهم وتقرض عليهم قسراً بعض الأشياء التي لا يحبذونها أو يقبلوها حتى لا يصلوا إلى مرحلة اليأس التام جراء تلك الضغوطات التي تحيط بطبقتهم سواء أكانت الطبقة معدمة فقيرة برجوازية أم ثرية ثراء فاحشاً أرستقراطية.

ثالثاً: النقد الثقافي:

بات مصطلح النقد الثقافي بالتعبير النحوي مركب إسنادي وصفي، شطره الأول في دلالاته أصبح من البديهيات عن النقد، وشطره الآخر لاحقة مائزة له عن غيره، تعنيه من دون غيره من أنواع النقود السابقة له. فلاحقة (النقائي) التي سمي بها النقد مشتقة من كلمة الثقافة والنسبة إليها. لذا فإن مفهوم هذا النوع من النقد في وهلته الأولى ومن حيث المصطلح - يرتبط كثيراً بالحمولات الدلالية لكلمة ثقافة (التمييز والشجيري، ٢٠١٤: ١٦٠). فالنقد الثقافي يعرف ك ((نشاط وليس مجالاً معرفياً خاصاً بذاته،... مهمة متداخلة، مترابطة متجاوزة، متعددة كما أن نقاد الثقافة يأتون من مجالات مختلفة ويستخدمون أفكاراً ومفاهيم متنوعة وبمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد، وأيضاً التفكير الفلسفي وتحليل الوسائط

والنقد الثقافي الشعبي، وبمقدوره أيضا ان يفسر (نظريات ومجالات علم العلامات، ونظرية التحليل النفسي والنظرية الماركسية والنظرية الاجتماعية والأنثروبولوجية.. الخ) ودراسات الاتصال، وبحث في وسائل الإعلام، والوسائل الأخرى المتنوعة التي تميز المجتمع والثقافة المعاصرة (وحتى غير المعاصرة) ((أيزابجر، ١٩٣٣: ٣٠). اذن النقد الثقافي حصيلة اجتماع نظريات عدة ودراسات متعددة تنصهر في بوتقة واحدة، وهذا ما يميزه عن بقية النقود الأخرى، ((وإذا ما كانت كلمة (ثقافة) نصًا تاريخيًا وفلسفيًا فهي أيضًا محل صراع سياسي)) (انغلتن، ٢٠٠٦: ٤٨). تتجاذبها قوى مختلفة تغدو الغلبة فيها للأقوى. أما الجانب الآخر للصراع السياسي فيتمثل في ثقافة النص الأدبي وهذا ما يمنحه سيروية تعطي الميزة للنص الأفضل. وثمة مبدآن يعتقد فيهما نقاد الثقافة، الأول: من الممكن أن تتغير الثقافة الى المفهوم الطبقي، والثاني: وأصبحت الثقافة مطلوبة بسبب تداخلها مع مجالات التاريخ والفن. ولذلك سوف تتداخل تلك المجالات مع المعطيات الثقافية للوصول نحو توجه متخصص للمجالات المعرفية، ولعل ارتباط علم الاجتماع مع التاريخ والتاريخانية الجديدة والفلسفة ومقولاتها أسهم في تأثيث الدراسات الثقافية وتطورها وتقدمها بشكل ملحوظ. فضلا عن الجانب السياسي للحكومات وبالتحديد الديمقراطي. اذ يرى تيري انغلتن أن النظريات الأدبية قائمة على خطاب غير محدد يضم كتابات أدبية وأخرى غير أدبية كما يضع قاعدة لنقل الاهتمام من الأدب إلى الاهتمام بالدراسات الثقافية. ويجد ضرورة الاهتمام بأنظمة الخطاب والممارسات الدالة من كل الأنواع مثل الفيلم والتلفاز والقص ولغة العلم وكل ما من شأنه أن يحدث آثارا ويصوغ أشكالاً من الوعي واللاوعي (الرباعي، ٢٠٠٧: ١٨-٢٣) هذه الآثار ستشكل قيمة معرفية من شأنها أن تعطي فاعلية للفرد الثقافي والمجتمع الثقافي على حد سواء.

وتكمن أهمية الدراسات الثقافية الخاصة بالأدب عبر ردم الهوية بين الفن والمجتمع تلك الهوية التي صنعتها المناهج الشكلية بفعل انشغالها بالفن وإقصائها للمجتمع. ولعل أهمية الدراسات الثقافية تكمن في انشغالها بالإثنين معاً دون أن تخصص نفسها لهذا أو لذلك، وكان هذا هو التجديد النظري الحاسم، الذي تمثل في رفض إعطاء الأولوية لا للفن ولا للمجتمع والتجديد أيضا يكمن في رؤية أن ثمة علاقات أساسية بين هذين المجالين اللذين بيدوان منفصلين (لتش، ٢٠٠٠: ٤٠٠؛ التميمي والشجيري، ٢٠١٤: ١٦٨) عن بعضهما ومتقاربين في الآن نفسه. ويبدو التطور الهائل الذي شهدته الثقافة عبر الثورة التكنولوجية بعد النصف الثاني من القرن العشرين أدى الى بروز النقد الثقافي والاهتمام به بوصفه حصيلة تواشج الثقافة مع علم الاجتماع والتكنولوجية المتطورة والوسائل الحديثة ومد الجسور المعرفية عبر وسائل التواصل التي حققت نقلة نوعية في الأدب صاحب ذلك ولادة اشياء لم تكن معهودة قبل ذلك.

وقد اتجهت الدراسات الثقافية آنذاك إلى إبراز أهمية الثقافة التكنولوجية والوسائل الحديثة التي تقدمها فبدلاً من قراءة النصوص المطبوعة أصبح هناك الصور السمعية والبصرية وأشرطة الحاسوب؛ ففي السبعينيات والثمانينيات احتلت (الحقيقة التكنولوجية) كما يسميها بودريار موقعا بارزاً في مجتمع ما بعد الحداثة عبر نقد الخطاب الإعلامي؛ لأن من خصائص هذه المرحلة اختفاء الذات والمعنى والحقيقة وهذا التغير هو نتيجة الحقيقة التكنولوجية التي غيرت بدورها الخطاب الإعلامي فحلت الوسيلة محل الرسالة (بعلي، ٢٠٠٧: ٢٨-٢٩؛ التميمي والشجيري، ٢٠١٤: ١٦٩). وحلت الصورة السمعية بديلاً عن قراءة النصوص، وأصبحت القراءة الموجزة المكثفة بديلاً عن القراءة الطويلة التي لا طائل منها، لذا اعتمد التلخيص والتقنين بسبب الثقافة التكنولوجية، والغاء دور الذات وعدم التدقيق في الحقائق بصرف النظر عن انطولوجيتها. إذ لم تعد مؤثرة أو أن هناك داع للبحث عنها، وهذا يعني أن دائرة الاهتمام في الدراسات الثقافية ما عادت تحيط بالنص فقط وإنما تحيط بما يحيط بالنص كذلك فهي تعنى بكيف ينتج النص؟ وبأية طريقة يقدم النص؟ وكيف يؤثر النص، ومدى تأثيره؟ كما أن (النص) في مفهوم الدراسات الثقافية توسّع ليشمل النص الأدبي وغيره من نصوص الثقافة كنصوص الفنون (من موسيقى ورسم ونحت وتمثيل) والنص الدرامي والنص الإعلامي. ولعل هذا التوسع المفهومي الذي رآته الدراسات الثقافية حسنة لها (التميمي والشجيري، ٢٠١٤: ١٦٨) فهو ميزها عن بقية الدراسات الأخرى.

رابعاً: الأقلية/الأقليات:

قبل البدء بتعريف عام وشامل للأقلية لا بد من تحديد مراحل تسلسلية متعاقبة منها: الهوية المحددة بهم، والتمايز الاجتماعي (التمييز بين الأكثرية)، والولاء وتراتبية الانتماء للأقلية. ((إذاً فالقدرة على التصنيف تؤدي إلى عرقنة Ethnisation المجموعات التابعة (الأدنى بينهم) فهم يصنّفون انطلاقاً من خصائص ثقافية خارجية تعد ملازمة لهم وشبه ثابتة؛ وهذا ما يشكل ذريعة لتهميشهم أي لجعلهم أقلية: إن شدة اختلافهم تمنعهم من المشاركة في قيادة المجتمع. بل هو تأكيد هوية شرعية هي هوية المجموعة المهيمنة وقد يتطور الأمر ليتحول إلى سياسة فصل عرقي للجماعات الأقلية المحكوم عليها، نوعاً ما، بأن تراوح في مكانها وهو المكان الذي وضعت فيه وفقاً لتصنيفها)) (كوش، ٢٠٢٣: ١٠٢). لذلك إن مطلب الأقلية/الأقليات هو مبدأ التسامح بالدرجة الأساس، والعيش بسلام وأمان واطمئنان. فعبارة الأقليات تذكرنا بتجزئة المجموعة الواحدة إلى مجموعتين داخليتين اثنتين أي أن تكون على الأقل احدهما أكثر عدداً من الأخرى، ويمكن

لأكثرية أن تضيف هذه الأقلية بعض الخصائص؛ فالأكثر عدداً سيشكلون الأقوى من وجهة نظر سياسية حصراً في الأنظمة الديمقراطية. كما يمكن أن يحصل العكس بمعنى أن يُعد الأقل عدداً هم الأفضل (بوريلو، ١٩٨٦: ٥٠) وهكذا دواليك.

و((وفقاً للحالة العلائقية، لاسيما علاقة القوة بين مجموعات التماس-التي يمكن أن تكون علاقة قوى رمزية- يمكن أن تتمتع الهوية الذاتية الفردية)) بشرعية أكبر من الهوية الجماعية. وهذه الهوية الجماعية أو المتعددة تكون في حالة هيمنة مميزة، تترجم عبر الآثار التي تعاني منها مجموعات الأقليات، وغالباً ما تؤدي في هذه الحالة إلى ما سميناه بـ"الهوية السلبية" ونظراً لأن الأغلبية تعرّف الأقلية على أنها مختلفة بالنسبة للمرجعية التي تشكلها هذه الأغلبية فإن الأقلية لا ترى في نفسها إلا اختلافاً سلبياً... مرتبطة بقبول صورة الذات التي كونها الآخرون عنهم واستبطانها عندها تبرز الهوية السلبية كهوية تدعو للخل وتكون مكبوتة إلى حد ما وهو أمر غالباً ما يتبدى على شكل محاولة لإلغاء العلامات الخارجية للاختلاف (السليبي) ((كوش، ٢٠٢٣: ١٠٠)). بذلك سوف تتشكل من الأقليات شخصيات ايجابية/ سلبية بحسب طبيعة السياسة العنصرية والولاء المبالغ به وصولاً الى مصطلح الأقلية.

إن لا بُد لقارئ النقد الثقافي أن يتمتع بالخبرة وهو يضع مجساته وآلياته النقدية ليتفحص النص الأدبي وقراءة السياق الثقافي ومن ثم تفكيكه وإعادة انتاجه بما يخدم النص أولاً والاشتغال النقدي ثانياً؛ فالقراءة والحالة هاته تبتعد عن قيود البنيوية والسيمائية وتحرر منهما فهي قراءة انعكاسية للنص بمعنى ((إعادة انتاج للواقع المادي ومن ثم تقرأه في ضوء هذا الواقع. إنها طريقة في تلقّي التمثيل في النصوص السردية تتأى عن التعميم والقول بوجود النسق أو النظام الكلي)) (الخرراوي، ٢٠١٤: ١١٨).

تُعد الطبقة الأرستقراطية الطبقة الحاكمة، والأرستقراطيون هم النخبة ذو السلطة والنفوذ والقوة. كبراء المجتمع. أما الطبقة البرجوازية فهي الطبقة الكادحة الفقيرة التي تعاني من ظروف صعبة، ويرى ماركس أن الطبقة البرجوازية هي الطبقة الصناعية العاملة الطبقة المحرومة.

في رواية (ليلة مجنونة) ثمة شخصيات ايجابية وشخصيات سلبية تناوبت بصورة متعاقبة شكلت أقلية وأكثرية، وعلى هذا الأساس انقسم البحث على مبحثين اثنين:

الأول: الأقلية البرجوازية / الشخصية الضعيفة / داخل المستشفى.

الثاني: الأكثرية الأرستقراطية/ الشخصية القوية/ خارج المستشفى.

المبحث الأول:

- السؤال وقيّمته التطبيقية وصولاً إلى التمييز:

جاء في المعجم الوسيط: ((وسئل يسئل سؤالاً وتساءلاً ومساءلة، استخبره عنه، والسائل الكثير السؤال)) (آبادي، ٢٠٠٥: ٥٨٦) فالسؤال الاستخبار من أجل الحصول على إجابة حول مسألة ما والسؤال ((قضية) QUESTION ما هو موضع نقاش؛ موضوع يجري تناوله بنحو خاص فعل لسانی قوامه الإعلام إما بوظيفة العبارة، وإما بمنطوق مع توسيع قليل للمعنى)) (لاند، ٢٠٠٨: ١٠٩٤)، والإعلام يأتي بوظيفة العبارة بوساطة حوار بين طرفين أو أكثر. لذلك حين ((نتناول مسألة تظهر استحالتها للعيان، هل الأرض هي البحر... أم هي السماء... هي... هو؟ لكن هذه النقيصة يصعب توضيحها أيضاً في بعض الأحيان، عندما يُسأل عما إذا كان النوع الفلاني من الأشياء حسناً أو قبيحاً، بينما هناك في العدد أشياء حسنة وأشياء قبيحة)) (لاند، ٢٠٠٨: ١٠٩٤) إذن السؤال يحتاج الى جواب أو ربّما في بعض الأحيان لا يحتاج إذ ربما يكون متوجّهاً إلى القارئ.

((سألني أبي ذات مرّة:

- لماذا يا ولدي تخصصت في الطب النفسي؟ لماذا لم تكن جراحاً مثلاً؟ إنّ الجراحين كلهم أثرياء ويتقاضون اجوراً مذهلة)) (جرش، ٢٠٢٢: ٨).

ثمّة ثقافة مجتمعية توازي التساؤل الفكري عن الصراع الطبقي، فالسؤال يحمل إشارات عدة منها العتب، واللوم، والتأنيب عبر تكرار اللفظة الاستهزامية فضلاً عن التوكيد على الطبقة الأرستقراطية للوصول إلى ذلك التخصص الذي سيوصل إلى الطبقة العليا الأرستقراطية، فالمهنة هنا تتعلق بالماديات اقتصادياً أكثر من الإنسانية بحسب الشخصية. كما جاء السؤال عبر تقانة الحوار ليكشف عن المعرفة وعن القيمة والموضوع والسلوك الاجتماعي. لقد جاء السؤال ليدل على التفاوت الطبقي بين عالمين متضادين.

فالشخصية الضعيفة منصور يحاول أن يجد جواباً لسؤال والده عبر تقانة الحوار.

((ما شدّ انتباهي هو التحصين الشديد في المستشفى، فهو أشبه ما يكون بمستشفى للمجانين أقرب منه للعلاج النفسي والنقاهاة. هل يمكن أن يكون هناك بمثل تلك الفخامة لهؤلاء الأثرياء؟)) (جرش، ٢٠٢٢: ٢١).

تتعجب الشخصية من انشاء مكان فخم لمرضى فقد كان على قدر كبير من المساحة والعناية؛ لأنهم الطبقة الصفوة فهم لا يرضون إلا بالأفضل، إن الشخصية الضعيفة منصور من الأقلية البرجوازية تحاول استيعاب فكرة المكان وفكرة الطبقة عبر المنولوج الذي تتأوب ما بين تقانة الوصف الخارجي للمكان وبين القيمة التساؤلية عن حال الطبقة الصفوة. فالتساؤل يُطرح عبر استفهام جاء بوساطة منولوج داخلي وكأنه صراع يعتمل داخل الشخصية.

((وقد بتّ أتساءل كثيراً: لماذا يحصل هؤلاء الأثرياء على كل تلك الامتيازات والاعفاءات؟!)) (جرش، ٢٠٢٢: ٣٨).

يحمل التساؤل في طياته فكرة الأنا العليا وفكرة التفضيل عن الباقيين وهذا ما شحن ذاكرة الشخصية البرجوازية وهي تتساءل في فضول عن الامتيازات التي تحصل عليها الطبقة الأرستقراطية وتحرم منها الطبقة البرجوازية، وعلى الرغم من اقتناع الشخصية بواقعها وحالها إلا أنها تساءلت كثيراً عن حصول الأثرياء على كل شيء في الحياة من دون تعب أو مشقة بينما الفقراء لم ولن يحصلوا على جزء يسير من تلك الامتيازات؛ فالمجتمع يستمد واقعه من البيئة التي تعيش فيها تلك الطبقات على الرغم من اختلافها وصراعها الظاهر أو الباطن. فالتساؤل له قيمة ثقافية شكلت صراعاً لدى الشخصية.

((أتراهم سيصدقوننا؟ سعيد الساري وزمرته ليسوا بحاجة لتجارة المخدرات إن لديهم الكثير من الأموال؟)) (جرش، ٢٠٢٢: ١٥٢).

في تقانة الحوار المباشر بين الشخصيتين يستفهم الدكتور منصور عن الثري سعيد الساري صاحب المستشفى ويندهش ايضاً في حيرة عن مزاوله تجارة المخدرات في المستشفى والمفارقة ان سعيد الساري لا يحتاج لإنماء ثروته من المخدرات بسبب ثراءه الفاحش. فالصراع الدائر كشف عن جدلية وضع الشخصية الأرستقراطية عموماً. إذن هناك صراع طلبقي بين شخصية منصور البرجوازي وسعيد الأرستقراطي.

((لم يكن عادل مجرد زميل قديم لنا كان أحد ابناء الأغنياء المستهترين الذين لا يخشون المستقبل، فحتى أن نجح أو رسب فسوف يفتح مشروعه الخاص الذي سيولد عملاقاً بفضل رأس المال الضخم الذي تملكه عائلته، وقد كان ذلك فور تخرجه انشأ عادل شركة هندسية وسرعان ما كان لها اسمها في السوق)) (جرش، ٢٠٢٢: ٥٦).

يكشف المشهد عن شخصية عادل التي انفردت باستهتارها فهو ثري لكنه غير كل الأثرياء أو غير طبقته المخملية. فالصراع الذي نشأ في ذات الشخصية تنبأ بمشروع عادل الفخم ويرجع ذلك إلى رأس المال

الضخم الذي توارثه عادل من عائلته المخملية، وثمة حقيقة أخرى ادرجها السارد أن المال سيجعل الشركة تنمو وتشتهر بفترة زمنية خارج كل التوقعات. وفي ذلك استباق زمني لما سيحصل للشخصية الأرستقراطية. فالصراع قائم بين جاء عبر السرد بين شخصية عادل الثري المستهتر وبين منصور الذي كانت زوجته تعمل لديه مما شكّل ثيمة تكررت في أغلب المشاهد السردية.

-الإغراء الرأسمالي وتميز الطبقة الأرستقراطية:

مما لا شك فيه أنّ الطبقة الأرستقراطية تتميز بالرفاهية وكثرة المال لذا يكون الإغراء الرأسمالي نتيجة حتمية لظهورها أمام المجتمع ظهوراً يليق بها فضلاً عن التنافس الشديد مع بقية الأرستقراطيين من داخل الطبقة ذاتها خصوصاً اذا كانت مسيطرة ومهيمنة على الطبقة البرجوازية. فالإغراء الرأسمالي سيجذب الآخر ويغريه ثم يقوم بالتحكم به:

((مؤسسة كبرى شهيرة في مجال المنتجات الصحية، تملك مصحة نفسية في جزيرة منعزلة، مع بعض الصور الخلابة للمكان، مكان اشبه بالمنتجع السياحي الفاخر، اتصلت برقم الهاتف الذي معي، رد علي أحدهم بصوت بارد مؤكداً صحة العنوان... بعد المقابلة بيومين تلقيت اتصالاً منهم يخبرني أنّ الاختيار قد وقع عليّ وابلغوني بالراتب الذي كان خيالياً ربّما خمسة اضعاف راتبي في المستشفى الحكومي)) (جرش، ٢٠٢٢: ١٨).

((فنزلاء الطابق الثاني قد صنفوا أنفسهم بأنهم الصفوة، وهم الذين عليهم الحصول على الامتيازات الخاصة باعتبارهم الأغنى والأكثر ثراءً، المال من يضع الفرضيات، المال هنا عنصر التميز تماماً كما هو هناك في المكان الذي جئت منه في العالم الآخر)) (جرش، ٢٠٢٢: ٢٩).

إنّ عنصر الإغراء الرأسمالي كشف عن الصراع الداخلي لدى الشخصية وحديثه عن تلك المصحة النفسية الفاخرة الذي نُعتت بالمنتجع السياحي وهنا تحولت دلالة المكان من الإنساني إلى الرأسمالي منتجع سياحي؛ لأنّ المال هو سيد الأشياء هو المتحكم الذي يصنع الصراع والتميز بين الطبقة الأرستقراطية بوصفها الأقوى وبين الطبقة البرجوازية الأدنى. حتى من الناحية الوظيفية الراتب في المصحة النفسية كان أضعاف الراتب في المستشفيات الحكومية فالمال أقوى حتى من السلطة ممّا دفع شخصية منصور البرجوازية إلى العمل في المصحة.

- الوصف الممهد للحدث:

يمهد الوصف للحدث وعبر "الوضعية وما تقرضه من تناقض بين الشخصيات الذي يعبر في نموه وتدفعه، ليس عن اندفاع الحدث فحسب، بل يمثل درجات وعي الشخصيات الذي يتبلور من خلال تضاعيف الحدث وهو يخرق الأزمان بعد توليدها " (الدليمي، ١٩٩٨: ٨٠).

ويعمد المؤلف الى تكثيف الوصف وربما تقنيته نتيجة لتوالي الحدث أو الاستطراد في الوصف المكاني أو وصف الشخصيات بل وحتى وصف الأشياء ليبين للقارئ تسلسل منظومة الوصف للوصول الى الحدث. ((الجزيرة التي يقوم عليها المستشفى لا وسيلة للوصول إليها سوى هذه المروحية، كانت الجزيرة من أعلى ترتدي وشاحين من اللونين الأخضر في وسطها، والأبيض المشبوب المائل إلى الاصفرار على طول شواطئها الرملية، كانت الجزيرة أكبر مما تصورت أشبه بغابة استوائية في وسط المحيط. يقع مبنى المستشفى في الناحية الشمالية منها، مبنى مكون من ثلاثة طوابق على شكل حدوة حصان، يغلب عليه الطراز المعماري الروماني القديم، وقد طُلي كامل المبنى باللون الأبيض لتناغم فريد مع اللون الأزرق الذي طليت فيه الأبواب والنوافذ والشرفات، يحتل المبنى مساحة مقدرة صورت بسياج حديدي عال، عندما امعنت النظر في المستشفى قبل هبوطنا وجدت مساحة كبيرة عليها ملاعب للجولف مسورة جيداً بأسلاك شائكة)) (جرش، ٢٠٢٢: ٢٠).

ثمة تناوب منتظم ما بين تقانة الوصف والسرد . فالأسبقية للوصف (وصف الجزيرة) فالواصف طابق الجزيرة كمكان مفتوح مع المرأة كجسد ثم يأتي السرد بعد تقانة الوصف (كانت الجزيرة أكبر...) و (يقع مبنى المستشفى...) إن هذا التمهيد إعلان لهيمنة تقانة الوصف وتسيدها للمشهد السردى ليأتي الحدث آخرًا عبر خطاطة سردية متسلسلة: (عندما أمعنت... شائكة) فالوصف مهّد للحدث عبر خطاطات:

- السرد الوصفي

- السرد الموضوعي

- الحدث.

المبحث الثاني:

- الوصف الممهد للسرد:

إهتم الكتاب بالوصف لأنه يقوم بتقريب الصور أو الشخصيات أو الأشياء أو الأماكن عبر " استقراء الظواهر المميزة لمكان طبيعي حقيقي أو مصنوع من الخيال، وتتبع الجزئيات، كما يقوم على استخدام الحواس ولاسيما النظر والسمع لملاحظة الأشكال والألوان والحركات والأصوات" (فتوح، ١٩٩١: ٦٩) إذ يحدد الجزئيات الكبيرة والصغيرة لذا عُدَّ " نظاماً أو نسقاً من الرموز والقواعد يستعمل لتمثيل العبارات أو تصوير الشخصيات أي مجموع العمليات التي يقوم بها المؤلف لتأسيس رؤيته الفنية" (الناقوري، ١٩٨٦: ٢١٧)، إن إسهام الوصف يتمظهر عبر تعيين الحدث وإظهار ملامح الشخصية فضلاً عن نقل صورة للأشياء.

وقد حظي الوصف بمكانة واسعة في النقد الحديث. إذ مثَّل " الخطاب الذي ينصب على ما هو جغرافي أو شئني أو مذهري فيزيونومي.. سواء أكان ينصب على الداخل أو الخارج، ويمكن أن يحضر الوصف في شكل دليل مفرد أو شكل دليل مركب، أو جملة أو متتالية من الجمل " (محفوظ، ١٩٨٩: ٦) وثمة فاعلية بصرية تستقطبها العين أثناء الوصف فالواصف يستخلص فكرة من الشيء الذي سوف يصفه ثم يقوم بتحويل الفكرة الى صورة تتمثل في الذهن بحسب هوية الواصف. إنَّ الوصف في الرواية يتوقف على عنصر التخيل وعنصر التجسيد لأنه يحدد الأبعاد الدلالية للشيء الموصوف سواء أكان شخصاً أم مكاناً فهو " لا يأتي بلا مسوغ؛ بل إنَّ كلَّ مقطع من مقاطعه يخدم بناء الشخصية، وله أثر مباشر وغير مباشر في تطوير الحدث" (قاسم، ٢٠٠٤: ٨٣) فضلاً عن أهميته في معمارية المكان وتحديد أطره وأبعاده إذ يشغل الوصف على إظهار الشخصيات فضلاً عن تشكيل المكان.

((ففي مجتمعنا ينظرون إلى الطبيب النفسي على أنه (طبيب المجانين)، لا أمل في وصوله الى الثراء، ويستحي الناس من الذهاب إليه، ناهيك عن الشك في قدراته العقلية)) (جرش، ٢٠٢٢: ٦-٧). استطاع الكاتب أن ينوع في كتابته لجنس الرواية فمرة يأتي السرد أولاً ثم يليه الوصف ومرة يأتي الوصف ثم يعقبه السرد، وأحياناً ثمة خطاطات يتحكم بها الكاتب في إبراز نصه الابداعي. كما حوّل الروائي الفكرة إلى صورة واقعية ملموسة وحاضرة.

فالتخيل يمتص من الواقع نظرة الناس نحو الطبيب النفسي وهي مشكلة طرحها الروائي بقصدية معلنة، لأنَّ المجتمعات الأجنبية تختلف نظرتها عن المجتمعات العربية فيما يخص مهنة الطبيب النفسي.

وبذلك كان الوصف الممهد للسرد مظهرًا مهمًا في البناء العام للشخصية. فالصراع يتمظهر عبر (الكلمة) لفظة الطبيب النفسي التي تحولت الى سخرية (طبيب المجانين) في المجتمعات العربية بينما في المجتمعات الغربية لها مدلولها الحقيقي من دون سخرية أو انتقاص.

-أنسنة الأشياء:

حين يؤنس الروائي بعض الجمادات فهو يريد أن يبت الحياة فيها. فثمة قصدية في ذلك ولعلّ مبعث ذلك إضفاء الحياة على بعض الأشياء أو الموجودات التي تتفاعل مع الشخوص وبذلك يصبح لها دور مهم في النص الروائي بعد أن كانت جامدة لا حياة فيها، " والأنسنة ظاهرة عامة في الفن، والفنان حين يؤنس الأمكنة... والأشياء وظواهر الطبيعة ويخضعها لعملية تفاعل حميمة مع الإنسان، تحقق الدور الإنساني الذي أسنده إليها حين طمح إلى تشكيلها تشكيلاً إنسانياً ذا ملامح محددة، وتعايير بيّنة، في عمله الإبداعي يمنحها - وهو في ذروة حالته الانفعالية - خاصيته الإنسانية متخذاً أحد الأوضاع الآتية: فهو إما أن يدور بمشاعره حولها، ومعها، أو يمزج احساساته بها، أو ينصهر فيها، وعن الحالة الأولى نقول: إنه متعاطف معها، وعن الثانية متحد بها، وعن الثالثة منعدم فيها". (منيف وأحمد، ٢٠٠٢: ٩).

((كان النّاي صاحب المخلص منذ طفولتي، رأيت أحد المشردين يعزف عليه، أحسست أنّه لا يعزف فقط بقدر ما هو يفرغ احزانه و أوجاعه ويودعها بأنفاسه الحارة على فتحات تلك الآلة الرقيقة، وتحتل هي كلّ تلك المعاناة، أحببت النّاي وكان عمري وقتها سبع سنوات، كان صديقي الوحيد، واتقنت العزف به في التاسعة، ولكنني لم أفكر في احتراف العزف عليه، ولم أشارك في أنشطة المدرسة الموسيقية)) (جرش، ٢٠٢٢: ٢٠).

تتخذ الشخصية من النّاي صاحباً مخلصاً، فالسرد كشف عن أنسنة الجماد (الناي) لأنّه صاحب المخلص النّاي، ثم يبدأ السرد بصيغة المتكلم لتسترجع الشخصية بداياتها مع النّاي. إذ تمزج عواطفها مع النّاي وكأنّها تتحد معه. فالنّاي كان بديلاً عن البشر على الرّغم من وجودهم حوله إلا أنّ الصّراع تجلّى في داخل الشخصية، وقد امتلك النّاي خصيصة زادت من تعلق الشخصية به لأنّها تفرغ كلّ شحنات الغضب، وكلّ شحنات السّعادة أثناء العزف.

-الحوار بوحاً جدلياً للكشف عن المسكوت عنه:

يعد الحوار وسيلة " تمثيل للتبادل الشفاهي، وهذا التمثيل يفترض عرض كلام الشخصيات بحرفيته، سواء كان موضوعاً بين قوسين أو غير موضوع" (زيتوني، ١٩٩٨: ٧٩)، ويتكون من طرفين أو أكثر. إذ

"يعبر في نموه وتدفقه، ليس عن اندفاع الحدث فحسب، بل يمثل درجات وعي الشخصيات الذي يتبلور من خلال تضاعيف الحدث وهو يخترق الأزمان بعد توليدها، وهذا التعجيل في سريان الحدث وتغلغله يعني دفعا جديدا للشخصيات وأفكارها وبابا مشرعا لصراعاتها الدائرة في سياقات الحدث" (الدليمي، ١٩٩٨: ٨٠)، ولا بُدَّ "من وجود متكلم ومخاطب، ولا بد فيه كذلك من تبادل الكلام ومراجعته" (صليبا، ١٩٨٢: ٥٠١)، أو ربما يأتي الحوار فردياً ظاهراً أو خفياً، "وبعد أن تتضح معالم الحدث في بلورة وجهة الحدث، يعتمد المؤلف إلى زيادة تكثيف الحوار وإيجازه، وضغطه وهذه نتيجة تحتمها صرامة الحدث واندفاعه وتركيزه باتجاه النهاية، فالتفصيلات التي تكون ضرورية في بدء الحلقات الأولى من الحدث تفقد أهميتها بعد بلوغ الحدث شوطاً متقدماً في تضاعيفه عبر سلسلة الأزمان" (الدليمي، ١٩٩٨: ٨١) التي تأتي في الرواية.

((- ألا ترى أنّ حبنا يفتر ويتناقص يوماً بعد يوم. هكذا قالت لي جواهر بحدة ونحن نجلس في إحدى المقاهي في وسط المدينة. نظرت إليها في دهشة متفاجئاً من عبارتها.

- أرى أنّه يصمد أمام عواصف الفقر والظروف الصعبة.
- إنّه ينهار يا حبيبي، ينهار وأنت لا تدري. واصلت جواهر كلامها بالاندفاع نفسه:
- كلّ ما يحدث حولنا لا يؤثر فيك وتتركني وحدي في ساحة المعركة أصد سهام أبي وأمي النارية.
- إنني أكافح من أجل تأمين الحياة الكريمة.
- أنت تحلم، إنّ لم تكن لديك عيادتك الخاصة فلن يقبل أحد أن تشاركه عيادته لم لا تبحث عن مصحة نفسية خاصة تعمل بها؟

هناك الكثير من المصحات النفسية لعلاج الإدمان والاكتئاب؟

- لقد بحثت بالفعل، ولكن لم أجد فرصتي في احداها.
- إذا فمعضلتك لا حل لها، وهب أنك تمكنت من الزواج، هل سيكفي راتبك الهزيل لتعيش عليه أسرتك؟

كان استخدامها لصيغة ضمير المخاطب تزعجني، وتنبئ بأنها تمهد لقرار ما، فقررت أن اختصر عليها الطريق)) (جرش، ٢٠٢٢: ١٢).

إنّ انتظام الحديث بين الشخصيتين (منصور - جواهر) كشف عن الواقع البروليتاري اللذين يرضخان تحت سياطه، فمنصور قد مضى عليه زمن طويل منذ أن خطب جواهر، وجواهر استرسلت في الحديث

معه عن الحاح والديها بتعجيل الزواج، على الرغم من أن منصور كان من عائلة كادحة إلا أنه فهم ما أرادته جواهر؛ فالحوار أظهر أحداثاً لا يعلمها القارئ، ونقد واقع الشخصية البرجوازية، وأبان عن شخصيات (الأم - الأب) وعرض المشكلة بين الشخصيتين عبر ضمير المخاطب الذي كانت تتحدث فيه مع منصور. لقد ازداد الصراع في ذات الشخصية البرجوازية حين تأكد منصور من مشاعر جواهر فضلاً عن انتقاصها من شخصيته بسبب عدم تأمين وظيفة وتأخر زواجهما.

- الشرف طريقة إغوائية :

الشرف هو الحسب، وهو المتأصل في سلالة عائلة معينة أو شخص ما، فهو أصل الإنسان وأصوله المتوارثة مجده وسموه وارتفاعه بين أسرته أو مجتمعه، بينما الإغواء هو الجذب أو الاجتذاب بشهوة أو رغبة سواء أكانت عفوية تلقائية أو إرادية مقصودة وهي إما بالقول أو الفعل.

١. ((لم تكن سامية ترى عيباً في التقرب لأحدهم من أجل أن أنال وظيفة أحفظ بها ماء وجهي من جذوة الفقر)) (جرش، ٢٠٢٢: ٥٥)

تعد شخصية سامية شخصية منفتحة وجريئة، فالمقطع يختصر الكثير ليظهر أن الشرف وسيلة إغوائية للوصول إلى وظيفة تنتشلها من الفقر وتغير حياتها. فالجسد من منظور الشخصية الأنثوية لا يتقيد بحدود بل يكسر جميع الأخلاقيات حين يتقرب من أي أحد ليعود بالمنفعة المادية عليها.

والشرف هو رأسمال الشخصية كما حدد ذلك بيير بورديو، فالشخصية لم تحافظ على رأس المال الذي تمتلكه بل باعته بأبخس الأثمان ولم ترى في ذلك عيباً، وكان بإمكانها أن تكتفي بعمل لا يجعلها تفقده بهذه السهولة لكن الرغبة ومحاولة الوصول إلى مستوى عال جعلها في الحضيض ومن ثم أفقدها عقلها لتدخل المصحة.

إن الشخصية الأنثوية وجدت في جسدها الوسيلة لتغير واقعها البرجوازي إلى واقع ربما يقترب من الأرستقراطي. فالصراع الطبقي كان ذاتياً محضاً.

الخاتمة:

١. كشفت الدراسات الثقافية عن ابراز الثقافة، فالنقد الثقافي نشاط مشتق من الثقافة ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحمولات الدلالية لكلمة الثقافة.

٢. يعد الصراع بين الطبقة الأرستقراطية والطبقة البرجوازية نقطة صدام في غالبية المشاهد السردية في رواية ليلة مجنونة.

٣. شكلت الطبقة الأرستقراطية هوية جماعية استطاعت ان تهيمن على الطبقة البرجوازية.

٤. يحمل التساؤل فكرة الأنا العليا للطبقة الأرستقراطية عبر الاختلاجات التي كانت تؤثر في الطبقة البرجوازية .

٥. كشف عنصر الإغراء الرأسمالي عن الصراعات الداخلية والخارجية لدى الطبقة الأرستقراطية.

٦. ثمة نقد لواقع الطبقة البرجوازية عبر تقانة الحوار المباشر بوحًا جدليًا للكشف عن المسكوت عنه.

قائمة المصادر والمراجع:

١. آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز. القاموس المحيط، رتبته ووثقه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط٣. بيروت - لبنان، ٢٠٠٨.
٢. انغلتن، تيري. نظرية الثقافة، ترجمة: نائر ديب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط١. ٢٠١٩.
٣. أيزابجر، أرثر. النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ترجمة: وفاء ابراهيم و رمضان بسطاويسي، المشروع القومي للترجمة ٦٠٣، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١. ٢٠٠٣.
٤. بعلي، حفناوي. مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠٠٧.
٥. بوريلو، بودون وف. المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة: د. سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط١. ١٩٨٦م، ١٤٠٦هـ.
٦. التميمي، عبدالله حبيب و الشجيري، سحر كاظم حمزة. سيرورة النقد الثقافي عن الغرب، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد (٢٢) العدد (١)، ٢٠١٤.
٧. جرش، محمد بن حمدان. ليلة مجنونة، منشورات دار سويد للنشر والطباعة والتوزيع، الترجمة: الإمارات العربية المتحدة، الشارقة، ط١، ٢٠٢٢.
٨. حمادة، إبراهيم. معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، دار الشعب، القصر الميني، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١. ١٩٩٤.
٩. الخضراوي، أديس. السرد موضوعا للدراسات الثقافية، تبين للدراسات الفكرية والثقافية في اللغة والتاريخ والهوية، مجلة فصلية محكمة يصدرها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسة، العدد (٧) المجلد الثاني، شتاء ٢٠١٤.
١٠. الدليمي، منصور نعمان نجم. إشكالية الحوار بين النص والعرض في المسرح. دار الكندي للنشر والتوزيع، ط١. اردب- عمان، ١٩٩٨.
١١. الرباعي، عبدالقادر. تحولات النقد الثقافي، دار جرير للنشر والتوزيع، الرياض، ط١. ٢٠٠٧.
١٢. زيتوني، لطيف. معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، ط١. ٢٠٠٢.

١٣. صليبا، جميل. المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتب اللبناني، ج ١. بيروت - لبنان، ١٩٨٢.
١٤. عبد الوهاب، شكري. النص المسرحي، مؤسسة حورس الدولية، ط ٢. الإسكندرية، ٢٠٠١.
١٥. علوش، سعيد. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط ١. بيروت، ١٩٨٥.
١٦. غيور، نادية سعيد. الصراع الاجتماعي الاتجاهات النظرية التقليدية والسوسيولوجية، <https://www.academia.edu/40955318>.
١٧. فتوح، عيسى. دراسات في الأدب والنقد: منشورات اتحاد والكتاب العرب، دمشق، ط ١. ١٩٩١.
١٨. قاسم، سيزا. بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ. دار التنوير للطباعة والنشر، ط ١. بيروت - لبنان، ١٩٨٥.
١٩. كوش، دوني. مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، المؤلف: ترجمة: قاسم المقداد، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا- دمشق، ط ٢. ٢٠٢٣.
٢٠. لالاند، اندريه. موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط ٢. بيروت-باريس، ٢٠٠١.
٢١. لتش، فنسنت. النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات الى الثمانينيات، ترجمة: محمد يحيى، مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، المشروع القومي للترجمة ١٨١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط ١. ٢٠٠٠..
٢٢. محفوظ، عبد اللطيف. وظيفة الوصف في الرواية، دار اليسر للنشر، المغرب، ١٩٨٩م.
٢٣. منيف، عبد الرحمن وأحمد، مرشد. أنسنة المكان في روايات، دار التكوين، دمشق - حلبوني، ٢٠٠٩.
٢٤. الناقوري، إدريس. ضحك كالبكاء، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١. بغداد، ١٩٨٦م.

Wild's The Happy Prince and its Utopian Values

القيم الطوباوية في الأمير السعيد لويلد

م. م. رجا عارف عبدالصاحب *

Rihab Arif AbdulSahib *

Abstract

This study aimed to study the themes of equality, freedom, security, and enlightened thought in Wild's *The Happy Prince*. This essay examined Wild's goal of constructing utopian realms by going through suffering. According to this research, the primary characters in *the Happy Prince* story, The Happy Prince, The Swallow, The Reed, The Little Match Girl, and God intended for their deeds to lay the groundwork for a world filled with virtue. This essay also demonstrated how the utopian themes included in *the Happy Prince* tale are a type of socialist theory that aims to draw attention to specific beliefs and behaviors by picturing them in a perfect community or state. the purpose of this study was to investigate utopia as a genre of fiction and the imagination, which offers many intriguing possibilities for explanation. In the utopian society that *The Happy Prince* and the Swallow constructed, kindness and love prevail over avarice and apathy. Through their deeds, Wilde painted a picture of a society in which people put others' needs first and work to improve the world.

Keywords: Wild's *The Happy Prince*, Main Characters, Utopianism, Socialism.

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى دراسة موضوعات المساواة والحرية والأمن والفكر المستنير في رواية ويلد (الأمير السعيد). تناول هذا المقال هدف ويلد المتمثل في بناء عوالم طوباوية من خلال المرور بالمعاناة. وفقاً لهذا البحث، فإن الشخصيات الأساسية في قصة الأمير السعيد: الأمير السعيد والسنونو والقصب وفتاة النقاب الصغيرة، وإرادة الله أن جعل أفعالهم موضع أساس لعالم مليء بالفضيلة. أظهر هذا المقال أيضاً كيف أن الموضوعات الطوباوية المضمنة في حكاية الأمير السعيد هي نوع من النظرية الاشتراكية التي تهدف إلى لفت الانتباه إلى معتقدات وسلوكيات محددة من خلال تصويرها في مجتمع أو دولة مثالية. كان الغرض من هذه الدراسة هو دراسة اليوتوبيا كنوع من الأدب القصصي والخيال، والذي يقدم العديد من الاحتمالات المثيرة للاهتمام للتفسير. في المجتمع المثالي الذي بناه الأمير السعيد والسنونو، يسود اللطف والحب على الجشع

* كلية الآداب/ جامعة ذي قار - العراق.

Email: rihabarif@utq.edu.iq

* College of Arts/ University of Thi-Qar – Iraq.

واللامبالاة. ومن خلال أفعالهم، رسم وايلد صورة لمجتمع يضع فيه الناس احتياجات الآخرين في المقام الأول ويعملون على تحسين العالم.

الكلمات المفتاحية: وايلد الأمير السعيد، الشخصيات الرئيسية، اليوتوبيا، الاشتراكية.

1.1. Background of the Study

This study provides an overview of the utopian values found in Oscar Wilde's tale *The Happy Prince*. First off, since the data to be gathered is based on words rather than numbers, I employ qualitative methodologies. It's possible to view the research as being better suited for use in analyzing events or scenarios associated with the study topic. The Greeks are the ones who first gave us the definition of the word utopia. Thomas More's work of the same name from 1516 is credited with giving the word its current meaning in our contemporary society. In fact, the majority of the contemporary utopian tradition in western Europe originates from this book; at the very least, it introduces the most common theme in that tradition (Fledisti, 2021, p. 42).

The word "utopianism" encompasses a wide range of approaches to envisioning, characterizing, or attempting to create a better society. Utopian thought originated with Thomas More, who coined the term utopia. The term utopia, which originally meant "good place," has evolved to refer to a depiction of a made-up place, typically a civilization, that is superior than the author's own society and acts as a critique of it. In his work *Utopia*, More painted a picture of a society that was noticeably superior to England at the time (1516). In certain instances, it is meant to be a path toward social reform; in others, it is even meant to be an objective to be attained. Oscar Wilde was a poet, critic, playwright, and novelist of Anglo-Irish descent. He is considered one of the best Victorian-era playwrights. Throughout his life, he penned a novel, nine plays, and a large number of poetry, short tales, and articles. Additionally, Wilde backed the Aesthetic movement, which prioritized aesthetic goals over moral or societal concerns. This idea is best expressed by the phrase "art for art's sake" (Sturgis, 2018, p. 56).

Oscar Wilde (1854–1901) was a brilliant writer, humorist, and dramatist. He was born in the middle of Queen Victoria's Victorian era in England, which lasted from 1837 to 1901. The remarkable changes the country experienced throughout this period of English history had an impact on how the people of the time lived and thought (Sturgis, 2018, p. 81).

1.2. Review of Related Literature

Sevcu (2019) examines some of the reviews of the literature on Oscar Wilde's *The Happy Prince* in her thesis, "Wilde's Social Criticism of the Victorian Society in *The Happy Prince* and Other Tales." In light of this theory, both adults and children still find great enjoyment in Wilde's story. The book has been examined from a number of angles. This thesis examines the societal criticism of Wilde found in specific stories. The Victorian era is criticized in Wilde's fairy tales for its materialism, which stifled other points of view, as well as for its hypocrisy and selfishness, which were associated with the middle and upper classes. The enormous disparity between the rich and the poor has led to economic inequality and human suffering, which has been reinforced by materialism, hypocrisy, and greed.

Wu (2020) uses *The Happy Prince* as an example in her paper, "The Writing Art of Wilde's Fairy Tales: The Reshaping of Love and Kindness Under the Cloak of Estheticism." Underneath Oscar Wilde's wild exterior is a pure love for the best and an unquenchable heart. Oscar Wilde was a controversial and tragic aesthete who had been tragically ruined for nearly a century. He wore his carefully woven "art for the sake of art" aesthetic coat and cultivated a fantasy fairy tale garden. Using "*The Happy Prince*" as an example, the author attempted to examine three facets of Wilde's craft in writing fairy tales: 1. The goodness of the bones is superseded by the beauty of appearance, 2. The world's evil is shaped by its natural beauty, 3. The love of life is reflected in the beauty of death. Morality and love are sometimes seen as worthless, yet via fairy tales, they have been given a tragic but beautiful second chance at life.

Mutmainnah, Putra, and Gultom (2020) in their article Proceedings of the First International Seminar on Language, Literature, Culture, acknowledge Oscar Wilde's education and his tragedies and supernatural short stories, including the remarkable *The Black Cat*, which is still talked about today. After that, in 1888, Wilde was able to gain recognition for his writings when his collection *The Happy Prince* and Other Tales was published. *The Happy Prince*, *The Nightingale and the Rose*, *The Selfish Giant*, and *The Devoted Friends* are among the stories included in the anthology. Given that there are seven pieces in one collection, it's probable that Wilde made a mistake in one of the pieces.

Mutmainnah, Putra, and Gultom (2020) in the Proceedings of the First International Seminar on Language, Literature, Culture, and Oscar Wilde is

Education, present a study that seeks to identify a literary device in Wilde's collection *The Happy Prince* and Other Tales as well as to examine the creation and impact of the device throughout the collection. One of Freud's great theories, the psychopathology of everyday life, is used by the study to analyze the slip's occurrence. According to this analysis, Wilde actually made two mistakes: realizing his writing and repeating meanings. The epiphany can be found in his debut story, *The Happy Prince*, where he intended to convey a deep sense of benevolence and love but had to cut the narrative short.

Fledisti (2021) the goal of this study is to examine the utopianism that exists in Oscar Wilde's short novel *The Happy Prince*. Addresses utopianism in Wilde's story. Because the data to be collected is based on words rather than numerical computations, the researcher uses qualitative approaches. Sugiono (2005) states that qualitative research is more suited for this kind of study since it allows participants to understand social processes. To put it plainly, it can also be seen as research that is more suited for analyzing the circumstances or settings surrounding the research subject. In the short novel *The Happy Prince*, the author attempts to characterize societal values. This study employed a descriptive analysis, which is an analysis that seeks to characterize the phenomena that are now in place.

Fledisti (2017) *The Happy Prince*, who creates social conditions where the social utopianism the prince seeks and wants to form is willing to give all the gems and gold in his body to realize the welfare of the people in his city, is a character that discusses in her article, "Utopianism in Wilde's *The Happy Prince*." In addition to defining utopianism, Oscar Wilde offers insight into how it might be achieved. The well-being of the entire populace within a single city, nurtured and accomplished by a prince, who also crafts the perfect setting, structures, and architectural details. Based on a sociological analysis of the available data, it may be inferred that Oscar Wilde's short stories, particularly *The Happy Prince*, depict utopianism.

1.3. Research Problem

In Wild's *The Happy Prince*, freedom, security, equality, and enlightened thought will all be examined. These misfits rise from the ashes to a higher plane of existence, where they finally find salvation. According to Brigid (2003), "A map of the world that does not include Utopia is not worth even glancing at, as it

leaves out the country at which Humanity is always landing," this paper will examine Wild's goal of constructing utopian realms through suffering and misery.

1.4. Anticipated Findings

The purpose of this research is to determine whether the actions of the main characters in *the Happy Prince* story, such as *The Happy Prince*, The Swallow, The Reed, The Little Match-Girl, and God, were intended to lay the groundwork for a world filled with virtue. This essay will also demonstrate how the utopian elements included in *the Happy Prince* tale are a type of socialist theory that aims to draw attention to specific beliefs and behaviors by picturing them in a perfect community or state. The present study will demonstrate that the primary objective of Plato's Republic is to demonstrate a fundamental aspect of the idea—that is, justice or freedom—by characterizing it as Great in an ideal community. As a result, utopia is a concept that reflects the imaginary world. To put it another way, this study will look at utopia as a genre of fiction and the imagination that gives it so much appeal for explanation.

2.1. What is Utopianism

The methodical application of utopias, or ways of thought that portray an idealized but unachievable condition of affairs, is known as utopianism. The idea may, like all other isms, be interpreted negatively, but this isn't always the case. The word utopia was first used by Thomas More in his book of the same name (1516) to refer to the ideal society he imagined and detailed in the book's second section. More deliberately, it played with the ambiguity of the phrase because utopia is a contraction of both outopos, which is the “no-place,” and eutopos, which is the “good-place” in ancient Greek. As we'll see, this would have long-term effects. Over time, the phrase evolved to refer to any good concept or proposition that is impractical or even unattainable. Utopias shatter the boundaries

of the established social order, as Karl Mannheim famously stated. A state of mind is utopian when it is incompatible with the world within which it exists. The idea of utopianism is discussed in this post by reassembling its forms, purposes, and, at the end, its possibilities in the modern world (Baeten, 2002, p. 36).

In general, utopianism can be divided into two categories. The first is the literary subgenre that used More's *Utopia* as its model. Examples of this genre are seen in Tommaso Campanella's *City of the Sun* (1602), Francis Bacon's *New Atlantis* (1627), and William Morris's *News from Nowhere* (1891). The description of the good location is usually given by a traveler who finds the land of utopia, which is usually an island or at least a region that is isolated from the other regions. Some of the works in this genre are negative utopias; one such example is George Orwell's 1949 novel *1984*, which recounts the horrifying dream of a society under big brother's dictatorship, complete with discipline. Additionally, these pieces are occasionally referred to as "dystopias" (from the Greek *dys*, which meaning aberrant, flawed, or awful) (Crane, 2015, p. 70).

The second type of utopianism consists of works that have important utopian aspects but do not fall under the literary utopian genre. Important utopian periods can be found in political treatises like Immanuel Kant's *Perpetual Peace* (1795) and Jean-Jacques Rousseau's *The Social Contract* (1762), which portray society as both good and no places. The degree to which they are feasible is still up for debate: Kant's *Perpetual Peace* outlined the provisions of a hypothetical international treaty that would end the state of anarchy and war on a global scale, while Rousseau depicted a direct democracy in which all people are treated equally and freely. In summary, a work reflects the hope that some or all societal ills may be eradicated and a better society can be established. This is when it is considered utopian (Bina and Andy, 2020, p. 25).

While it is generally simple to identify whether a work belongs to a literary genre, there is much debate over how utopian a work should be when it has utopian

moments. Furthermore complicating matters is the fact that utopianism sometimes carries a negative connotation. The Communist Manifesto by Karl Marx and Friedrich Engels (1848) is a notable example. One may argue that no other writer has had as much influence in disseminating the idea that societal ills can be eliminated and a better society can be created. However, Marx and Engels' vision of a communist society is based on a scientific examination of the proletariat's historical circumstances rather than being pure fantasy. They harshly condemned former socialists like Robert Owen, Charles Fourier, and Comte de Saint-Simon for their utopianism—which is being used disparagingly—in their manifesto. Utopian socialists were forced to fail in identifying the economic prerequisites for such a transformation because they theorized about the emancipation of the proletariat during a time when the conditions were not yet favorable enough for emancipation. As a result, their social criticism remained a purely fantastic vision of an unattainable future society. To such utopian socialism, where historical activity is replaced by individual creativity (More, 2010, p. 70).

They were opposed by Marx and Engels' scientific communism. Some writers have attacked utopianism, claiming that by portraying idealized society as nonexistent, it can encourage attempts to legitimize authoritarian and totalitarian regimes (Marcuse, 1970, p. 61). For example, utopias like Plato's idealized republic support ideas of a "closed" society that Karl Popper claims should be rejected since they foreshadow the ideas of contemporary philosophers like Hegel and Marx. However, utopias can be defended against their detractors in a variety of ways. First, it might be argued that utopias are nowhere by definition. In fact, the majority of utopian theorists never considered attempting to put their idealized social plans into action. Even those who made a genuine attempt to turn their no-places into something tangible typically preferred educational initiatives and small-scale experiments. There are still few who supported the idea of a bloody revolution (Trahair, 1999, p. 83).

Second, only large utopias are at best immune to the charge of dictatorship. Separating utopias into major and minor categories is another useful way to organize the various shapes that utopianism can take. According to Jay Winter, prominent utopians are people like Hitler and Stalin who used unrestricted violence to carry out their bold plans to eradicate all social problems from the earth. They are big utopians because of their totalitarian views and their determination to eradicate those evil forces from the world that stand in the way of a bright future, even if it means killing them. Smaller-scale liberation fantasies that likewise paint a picture of a future drastically different from our own but in which social tensions and ills persist are what give rise to minor utopianism. The writers of the 1948 Universal Declaration of Human Rights and the proponents of ecological movements are two examples of such small utopians (Williams, 2006, p. 117).

Writings or beliefs that imagine life in an ideal society—one where everyone is comfortable and happy—that does not exist are known as utopian or utopian literature. The phrase used in the novel "Utopia" by Sir Thomas More has its origins in this Greek meaning. With the exception of the term *topos*, which means place in its root, and the initial syllable *U*, which indicates "no," or no place, this foreign word has no Greek origin. Plato's *Republic*, which lays forth his philosophy of politics and government, may have served as the inspiration for this genre of fiction. As a result, political characters who yearn for a moral society where everyone is happy predominate in utopian literature. Al-Farabi's *Al-Fārabī* is an example of this genre in Arabic. *Al-tawba*, which includes the term *Al-tawbawīyyah*, is one of the uncommon plural forms of the word *tayyib*, which signifies bliss, happiness, luck, and kindness (Alan, 2000, p 81).

Certain myths or memories of the far-off past describe how humans lived in a basic and uncomplicated state while yet experiencing perfect bliss and fulfillment. These stories can be found in a wide variety of civilizations, societies,

and faiths. According to a number of stories, there was an innate harmony between humans and nature back then, with few needs and few desires. People could simply satisfy their needs and wants by using the plenty that nature supplied. Thus, there were absolutely no justifications for injustice or war. Hard, arduous labor was not necessary. People were straightforward, devout, and intimately connected to the gods. One theory in anthropology holds that the earliest prosperous culture was one based on human collecting and gathering. These mythological or religious stories can be found in many civilizations, and they reappear with special force during trying and pivotal periods for humans. Nevertheless, myth is projected in utopian literature not into the far past but into the future or other far-off and fantastical locations, where it is imagined to exist at some point in the future, in space, or after death (Xiaofei, 2010, p. 49).

During and after the Second Great Awakening (1840–1870-), a number of radical religious organizations established utopian societies in the United States and Europe where religion could control every aspect of people's lives. The United Society of Believers in the Second Appearance of Christ, or Shakers, was one of these moral communities. This society came to America in 1774, having left its home in England in the eighteenth century. Many religious virtue organizations, such as the Harmony Society, the Society of Women in the Wilderness (established 1732), and the Society of Women in the Wilderness, led by Johannes Clepius (1667–1708), arrived in the United States from Europe during the 18th and 19th centuries. Founded in 1785 in Ettingen, Germany, the Harmony Society was a Christian theosophical and Pietist organization. The Harmony Society was forced to flee Württemberg due to religious persecution by the Lutheran Church and the government, and on October 7, 1803, it arrived in Pennsylvania. About 400 people officially established the Harmony Association on February 15, 1805, combining all of their shared property (Richard, 2000, p. 70).

Between 1848 to 1881, the utopian religious organization known as the Oneida Congregation was led by John Humphrey Noyes and was located in Oneida, New York. This utopian experiment was one of the longest-running local congregations in American history, despite the fact that it is now best recognized for producing "Oneida silverware." The Amana Colonies were aboriginal colonies in Iowa that were established between 1855 and 1932 by radical German religious organizations. This group founded the refrigerator and home appliance firm Amana. Rikers Holly City, Fountain Grove (founded in 1875), and other utopian settlements in California between 1855 and 1955, like Haine and Sointula in British Columbia, Canada, are more examples. It is also possible to view the Amish and Hutterite communities as attempts by religion to get close to religious utopianism. Around the world, a wide range of societies have also started to adopt some form of religious belief (Jonathan, 2012, p. 55).

Richard Soses, an anthropologist, studied two hundred religious and secular (sometimes utopian socialist) groups in the United States during the 1800s. Twenty years after their founding, 39% of religious communities were still going strong, compared to 6% of secular groups. While demands for expensive sacrifices in secular communities were unrelated to longevity and most secular societies collapsed within eight years of creation, the number of costly sacrifices a religious group required of its members had a linear effect on the group's survival. Sues references Roy Rappaport, an anthropologist, who states that rules and rituals work best when they are repeated. As the best proof that religion is an adaptive response to the issue of the "free rider"—a person who benefits from resources, products, or services without paying a salary for this benefit—social psychologist Jonathan Haidt cites studies by Soses in his 2012 book *The Righteous Mind*. by facilitating cooperation amongst people who are not related. Randolph M., an evolutionary medicine researcher. Neisse contends that social selection has made it possible for humans as a species to become exceptionally cooperative and capable of forming cultures, while theoretical biologist Ari-Jane

West-Eberhard contends that social selection benefits humans because they choose altruistic tendencies as social partners (Randolph, 2009, p. 109).

The Book of Revelation in the Bible describes a distant past in which sin, evil, and Satan were all vanquished. The primary distinction from the Old Testament prophecies is that, as the book of Isaiah states, "Behold, I create new heavens and a new earth, and the former will not be remembered or come to anyone's mind," such defeat also has existential significance (Revelation: "Then I saw 'a new heaven and a new earth,' for the first heaven and earth were no longer there, and there was no sea... He'll wipe every tear from their eyes. And there will be no more death, sorrow, crying, or suffering, because the old order of things has passed away." (Bloch, 2000, p. 55). If one were to read the text literally, it would portray a paradise that existed on Earth before sin. The features of this new earth, ruled by God and Jesus, are not yet known, although they seem to resemble the biblical Garden of Eden. According to certain theologians, heaven will be an ethical, immaterial abode for souls rather than a corporeal world (Richard, 2000, p. 81).

One could argue that the utopian visions mentioned by the ancients were replaced by the religious imagination of the current day. When Christianity first began to expand over Europe, people's thoughts shifted from earthly paradises to a paradise in the afterlife where devoted believers would receive rewards for enduring a hard, violent earthly existence. However, some of the boisterous processions, carnivals, and feasts of madmen that were celebrated in the Middle Ages depicted the world upside down as disguise and claiming madness were effective means of criticizing existing institutions and describing the happy forms of life that emerged from the imagination. These fairy tales emerged from religious tales and depicted the Pays de Cockaigne country of bliss as a model of God's paradise on earth. Saint Brendan narrated that such countries contained "cathedrals of glass." Without a doubt, one of the effects of this concept—which

presents the world of lunacy as an alternative to the real world—was Erasmus's book "Eloge de la folie" (Randolph, 2009, p. 115).

Had that century not been marked by drastic upheavals, Thomas More's vision of paradise would not have struck such a chord. The notions of Western European centrality were challenged by geographic findings, and the stability and flatness of the Earth were questioned by Copernicus and Galileo's views regarding the sphericity of the earth. Furthermore, a reevaluation of the fundamental characteristics of religious practices was necessitated by the theological conflicts that followed the religious reform. The fall of the feudal system and the development of the bourgeoisie also contributed to the creation of new forces that fundamentally altered the balance of power on the social, political, and economic fronts. During that turbulent time, writers and intellectuals created new guidelines for living. François Rabelais wrote about a fictional settlement called the Abbey of Thélème, which is ruled by a wise organization that promotes social connections within a natural framework based on harmony. This was written in response to King François I of France's pledges of religious tolerance. However, Rabelais soon voiced his doubts about the prospect of actual transformation. Given the hard reality, the rise in religious fanaticism, and the horrifying violent events that have been a regular occurrence since 1540 (Alan, 2000, p 93).

2.2. The Social Utopia

Philosophies and thoughts are products of the human mind. These results are applied in various ways to enhance our way of life, implying that the foundation established by human philosophy and ideas forms the basis of the perfect society. The first utopian suggestion, which links society's existence to philosophical inquiry, can be found in Plato's Republic. In this work of fiction and policy, Plato suggests that society be divided into three rigid tiers, designated as "gold," "silver," and "bronze," based on the socioeconomic standing of its members. Plato suggested educating the ruling class philosophically so that their knowledge may be applied to end hunger and poverty.

Although the concept was outlined, no specifics of how to get there in order to advance society were worked out. A different piece of antiquated literature, which is thought to have been written between the eleventh and sixth centuries, offers a number of "laws" necessary for the smooth operation of society. Strong ethical principles and practical structural rules are something that many authors have discovered to be important for a successful (utopian) society (Basu, 2005, p. 128).

Four tiers of classification—Brahmin, Kshatriya, Vaisya, and Shudra—have been identified as the fundamental framework based on people's professions, coupled with rules for politics and government. As discovered, an ideal location in harmony with nature dates back to the sixth century. People live in an environment of social justice, non-aggression, and natural resource consumption without field cultivation. has discovered a contradiction between the depiction of the political system under a wealthy monarch and primitive communism. Later, a city is defined by its title (Utopia) in Moore's work "Utopia" (1516). In this utopia, the government controls all aspect of society, from the placement of towns to the provision of food and clothing for its residents. Since its release, Moore's writings have been regarded as the guide for realizing the utopian state. Following Moore, Lewis Mumford attempted to investigate how society would be in a utopia, how people would live and work, and how different humanist ideas would effect people in his writings *The Story of Utopias* and *The City and the Machines*. These intriguing and well-defined books provide recommendations for achieving a utopian world. Mumford's ideas are still the greatest guides for achieving a utopian order, even though they are out of date given the growth of the modern world (Bhattacharya, 2000, p.76).

The Communist Manifesto (Marx and Engels, 1847) attempted to introduce communism while highlighting the socioeconomic component of an ideal society. It defined a complete condition of equality and a society that is entirely governed by the government. It unintentionally overlooked the fact that until the human mind has a motivating goal to strive for, the perfect state cannot be reached. The establishment of the equality state seems to be the idealism of communism's apparent failure. Even though each person has different skills and abilities, it seems unreasonable to distribute the rewards equally. In this approach, the most productive members of the community

would refrain from giving it their all, which would cause the society to slowly deteriorate (Ahmed, 2011, p.118).

2.3. Utopianism in Literature

By its very nature, utopia is an illusive concept. The concept of utopia can be divided into three primary categories: literary genre, utopian thought, or the theory of the concept's ideological parts; and practical communities built on utopian ideals (Sargent, "Three faces"). The first formal and deliberate attempt to depict a fictional society meant to be an enhanced version of the author's reality is More's Utopia, which is where the literary tradition of utopian philosophy originated. Nonetheless, there were a number of earlier roots of utopianism that we may name, including Plato's Republic and Greek and Roman tales about the Blessed Fields, Arcadia, and Elysium (Claeys, 2014, p. 31).

Finds a distinct origin for Jewish, Muslim, and Chinese utopian traditions, despite the fact that non-Western utopian traditions are usually and still largely neglected. Only the Chinese utopian literary tradition appears to be sufficiently coherent, beginning with Confucian intellectual influences and ending with "Big Rat" as a secular picture of the country of bliss. According to some sources, Tao Yuanming's Peach Blossom Spring is the most well-known piece of Chinese utopian literature, depicting a secret society with superior social structures. In Western literary history, the sixteenth century saw the consolidation of travel as a means of presenting better and nightmare communities, which became associated with the utopian tradition. Two of the most important books in the genre are Robinson Crusoe or Gulliver's Travels (Swift). The former established the subgenre of the Robinsonades, while the latter served as the inspiration for satirical anti-utopianism. The rise of modernity and the scientific method, along with the First and Second World Wars in the twentieth century, were the main factors contributing to the rise in popularity of dystopian and anti-utopian fiction within the utopian genre. In contrast to dystopia, which depicts a far worse society overall, anti-utopia critiques the utopian ideal by presenting a similarly idealistic society with awful outcomes (Claeys, 2011, p. 22).

The most well-known works in this subgenre were published in the first half of the twentieth century, criticizing modernism and the dehumanization of society in Orwell's *Nineteen Eighty-Four* and totalitarian governments and dehumanization in Huxley's *Brave New World*. The genre was resurrected in the 1970s with the rise of new feminist utopias and postcolonial utopianism, and in the 1980s with dystopias motivated by shifting socioeconomic realities and a sense of desperation. These developments enabled the rise of activism based on the critique that influenced these novels. These events followed the golden age of capitalism and a period of relative peace following the recovery from World War II. Twenty-first-century young adult dystopian fiction has been the last of these long-standing tendencies. While there were some significant books published in the 1990s, like *The Giver*, and in the mid-2000s, like Scott Westerfeld's and Kazuo Ishiguro's critically acclaimed *Never Let Me Go*, the popularity of these books for young adults skyrocketed with the release of Suzanne Collins' *The Hunger Games* trilogy, which became a worldwide phenomenon and a franchise (Baccolini, 2003, p 1).

Science fiction and utopian fiction are frequently contrasted, with some academics contending that the former belongs in the category defined by the latter. Because science fiction seems to be the result of several literary influences, such as utopian fiction and "the scientific romances of the nineteenth century, the science fictional novels of imperial Britain, or the pulp stories and paperbacks of neo-imperial United States," its origins are unclear—not because there are no options. (Moylan, 2000, p.4). Regarding the exact period of inception, notes that the genre of science fiction has a maximum of 200 years of history behind it, and contends that the popularity of the genre is correlated with the acceptance of science. However, argues that, in contrast to fantasy literature, a rational explanation for the events described must be given and that the name used to designate this genre was created. According to Moylan (Moylan, 2000, p. 4), there is a body of science fiction literature that "does not bring readers and audiences into brave new worlds, whether worse or better than the present, but rather spin them around within the one and only 'paradise' that is allowed to exist" in light of recent claims for the triumph of finance capitalism. While the goal of both dystopian and utopian fiction is to create a critical identification and parallelism between the worlds portrayed in the book

and our own, science fiction is primarily concerned with providing an escape from reality. This is especially true with pulp science fiction, where the utopian impulse is restrained by the wonders portrayed potentially overshadowing any criticism (Moylan, 2000, p. 4).

Popular definitions of science fiction include works that examine human hopes and concerns (Fitting 138). Although an undesired or better society may be part of these hopes and anxieties, this genre is not primarily concerned with providing a full account of such cultures. Suvin's definition of science fiction, which uses "an alternative framework to the author's" (Suvin, 1976, p. 8), has led to the widespread belief that utopian fiction is a subgenre of science fiction, notwithstanding the differences in viewpoints. This study is restricted to the examination of the terms that are closely associated with utopia and dystopia as previously stated, owing to the vast array of works that fall under the umbrella of science fiction and the ensuing body of research in that domain. Science fiction may bring up works unrelated to the utopian and dystopian impulses, even though certain dystopian works are obviously affected by it and are even called "science-fiction dystopias" (Suvin, 1976, p.8).

The works that make up utopian literature have been the subject of extensive investigation, yet this body of work has not been quantitatively examined. Since the 1970s, renowned and priceless attempts have been undertaken to compile primary texts that are categorized as utopian literature in addition to critical writings. One of the first comprehensive and extensive works, though Beauchamp criticized his classification criteria as being too loose. Beauchamp published a study that provides information on bibliographic sources that list works that are defined as utopian and essays on the elusive definition of the genre, among other things, but does not analyze the data's evolution or quantify it; rather, it is a traditional consulting source. This enormous undertaking has probably been attempted the most thoroughly to date with Sargent's continuous bibliography, which was originally published in 1979. Although secondary materials on utopian literature were included in the first edition, Tower Sargent chose to concentrate only on primary texts due to the task's complexity. His online version, which debuted in 2016, gathers data on plays, novels, films, and other media. It has been expanded to

feature not only British literature but also writings from writers from other nations with a similar heritage, such as India (Baccolini, 2003, p. 12).

3.1. Author's life

The son of a well-known physician, Oscar Wilde (1854–1900), was born in Dublin. He received his early schooling at Portora Royale School, where he was regarded as a bright, active classical scholar who had a keen eye for life and the human condition. In 1874, he was awarded the Berkeley Gold Medal for Greek. He also received a scholarship to attend Magdalen College in Oxford before traveling to England. He was an excellent speaker and made it his way of life. His early fictions and poetry display deep emotions (Alexander, 2000, p. 64).

Walter Dicks' thoughts had an influence on Wilde as a novice. Writing on religious and spiritual experiences, Wilde referred to himself as the Votary of Beauty in New Helen. *The Happy Prince* was written in the style of a fairy tale. It depicts an idealized, non-imitative world, and Wilde himself has acknowledged that it is a fictitious work that he made up to entertain his little kid but turned into a brilliant work of satire. His fairytale short stories have made him famous. This short story depicts a pitiful image of the Victorian era, when the wealthy exploited all the advantages and the impoverished lived a hand-to-mouth existence. It is not your typical tale of a prince seeking to relieve his people's suffering with the aid of a small swallow. It is a static document that details the Victorian era's realities; he exposed the hypocrisy of the ruling class, exploitation, and poverty. According to Wilde, these tales are like mirrors that reflect contemporary life in a way that is detached from reality. "*The Happy Prince*" tells the tale of a small swallow that gives up its life to save the prince, and it also highlights the prince's spiritual beauty. Love and sacrifice are the governing and rescuing powers in every situation (Dicks, 1960, p. 17).

In the Penguin Dictionary of Literary Terms, Cuddon (1975) states that fairy tales are considered a form of traditional literature and oral tradition. A fairy tale is a story when written down, and when written in prose, it tells the story of a heroine or hero who must overcome incredible odds and extraordinary adventures in order to live a happy,

eternal existence. A fascinating study of human psychology can be found in the essential components of fairy tales, which include enchanted locations, covert circumstances, and otherworldly machinery. The persona is fantastical and inventive (p.36). According to Onda (2013), Oscar Wilde inherited his parents' interest in education and literary prowess from an early age. Although his mother Jane was eager to have a daughter as her second child, she was very unhappy when Oscar was born. Oscar appears to have a girlish demeanor in most of the photos, complete with long, curly hair and a lace skirt with frills. Oscar claimed to have been forced twice in his life—once when his father sent him to Oxford University and once when he was imprisoned by civic society (p. 41).

According to Elleman's (1987) biography, Oxford University was both a highly esteemed establishment and a notorious spot for harboring secretive, false emotions. In fact, Wilde found interest in his homosexuality there. He claims that the Greek and Latin classics are to blame for vices and homosexuality. It's also crucial to note that, throughout Wilde's tenure at Oxford University, he held the position of Professor of Aesthetics and so became a member of that movement (p. 29). It is widely acknowledged that Wilde was one of the greatest playwrights of the mid-1900s, a period of time sometimes known as "The Age of T.S. Eliot." Under the pen of Wilde, Yeats, Synge, Shaw, and O'Neill, drama blossomed. Moreover, Daiches (1960, p. 39) asserts that despite his fame as a dramatist, Wilde was unable to produce a genuine sense of satirical tone. He was a member of the "fin de siècle," a well-known aesthetic movement, and he devotedly followed Ezra Pound. Like his other contemporaries, he had a tragic existence that ended with suicide and ruined their literary careers. Even though he did not directly represent these themes in his plays, he included them in his fairy tales and the symbolic tale "The Picture of Dorian Gray." He approached conversations with a refined sense of humor and exposed society by putting it front and center in a unique way.

Elleman (1987) adds that the juvenile literature series named *The Happy Prince* and other tales (1888) and *A House of Pomegranates* (1889) were originally published by Wilde (p. 27). He was obviously content at the time with his family, and readers may identify to that contentment via his work. However, Onda claims that Swallow and Prince's relationship made him aware of the homosexual element, and as an artist, that

element cannot be disregarded. This narrative contains a lot of lyrical terms because the author has been writing stories since his time in college. Instead than using cliches like "Once upon a time" or "There was a happy prince," Wilde utilized an adverbial phrase. In addition, he has employed couplets, such as "So I lived, so I died," which rhyme and have an aesthetically attractive sound. He used unusual, one-of-a-kind similes and metaphors to characterize the joyful prince, comparing him to a weather lock in terms of beauty. The narrative, which is an allegory, discusses the value of doing well. One approaches God by love and sacrifice. The statue of the deceased prince is covered in sapphires, rubies, and diamonds, but the prince does not appear to be enjoying life. The prince's smile makes others think he's pleased. But he no longer smiles and is crying uncontrollably. Swallow is a Mersin gel that provides all of its wealth to underprivileged people. The prince's heart breaks as the swallow dies of cold, yet their love and sacrifice make them eternal (2013, p.41).

3.2. Summary of the Story

"*The Happy Prince*" was written by Wilde as a children's tale for his boys. It is an allegorical or literary device that represents spiritual or actual concerns or issues with abstract or imaginary figures. The narrative centers on social issues that were prevalent in late Victorian times (1820–1914). During Queen Victoria's reign in Britain, which is now the United Kingdom, the late Victorian era saw a significant class divide in society. The higher class is depicted in "*The Happy Prince*" as looking down on the lower class. The citizens of the town are shown in "*The Happy Prince*" appreciating the statue of *the Happy Prince* perched on the palace wall, looking out over the town. The narrator talks on how beautiful the statue is. *The Happy Prince's* sword hilt is adorned with a ruby, and his eyes are sapphires, all set on a background of gold leaf. The statue is only a way for the shallow and dishonest Town Councillors to curry favor with town officials by demonstrating their appreciation for good art. The statue is well-liked and praised for its view of the town. The statue, which displays the luxury of the upper class, gleams with gems in its eyes and a sword wrapped in gold (Mullik, 2012, p. 39).

Swallow, a noble and gregarious bird, soars above the city. He stays behind when fall arrives while his companions travel to Egypt. He doesn't want to leave Reed because he is in love with her. The reed where Swallow resides by the water's edge is called Reed. Despite the other swallows' advice that it is pointless, he finds himself falling in love with Reed's movement, demonstrating his little comprehension of love. Reed tells Swallow that he can't travel and spend time with his friends, so he quickly loses interest in her. In search of happiness with his pals, he makes his way toward the pyramids. He rests at the feet of *the Happy Prince* monument when he gets tired. Though pleased with his choice, he feels what he believes to be rains falling on his head, which soon worries him. He is shocked to find tears welling up in the statue's eyes and streaming down his golden cheeks when he glances up. Swallow needs to figure out why. Swallow is informed by *the Happy Prince* about his past life as a statue and the things he has observed while gazing out over the town. He tells Swallow that because he had never left the confines of his palace, he had never experienced heartbreak or grief during his lifetime and had never wanted for anything. He remembers dancing in the Great Hall and playing in the gardens. He explains to Swallow that he never experienced sadness, which is why he was called *the Happy Prince*. He claims that following his passing, the villagers erected his statue to keep watch over the community (DAiches, 1960, p. 28).

Swallow listens as *the Happy Prince* describes in detail the suffering that he observes in the town's residents. He exhibits tremendous compassion after seeing how protected from the outside world his life was. Above all, he wants to help them. *The Happy Prince* talks about a circumstance that bothers him: a seamstress who is worn out and her sick son in bed. He offers Swallow the ruby from his sword, pleading with her to assist him. Swallow clarifies that he must proceed in the direction of Egypt, though. *The Happy Prince* keeps pleading until Swallow gives up. Their goal to distribute his wealth among the populace and instill optimism and prosperity in them has begun. Swallow says, "I hope my dress will be ready in time because I think seamstresses are lazy," as she flies over the Queen's maid-of-honor and her boyfriend who are sitting on a balcony. Swallow makes his way to the seamstress's house, where he places the ruby beside her bed and fans the boy's forehead before returning to *the Happy Prince*. When

he returns, he remarks that he is warm. According to *the Happy Prince*, it's because he did a good deed. Swallow ponders that until he nods off (Onda,2013, p. 56).

The following day, Swallow heads down to the river, where he is spotted by the Ornithology Professor, who is taken aback to see a Swallow in the dead of winter and writes a lengthy letter. Though Swallow is eager to travel to Egypt, he also wishes to bid *the Happy Prince* farewell. To assist him with his final good deed, *the Happy Prince* requests that he remain for one additional night. *The Happy Prince* instructs Swallow to remove one of the sapphires from his eyes after he declares he will stay. Reluctantly accepting it, Swallow leaves to offer it to a theater student. The next morning, Swallow rises and takes off towards the harbor to observe the boats and sailors before flying back to bid *the Happy Prince* farewell. But *the Happy Prince* begs him to remain one more time. Swallow informs him that winter is approaching and that he must travel to Egypt, where it will be warmer. He guarantees that he will return the next spring to replace the gems they had given away. He hears from *the Happy Prince* about a match girl in the square whose father will be upset with her for ruining his matches. This is how her family makes money, and she is quite impoverished. He requests that Swallow give her the second sapphire that is in his eye. Swallow consents to stay, but he is reluctant to give up the last sapphire because doing so might bring blindness. As *the Happy Prince* begs, Swallow grants the girl what she requests. Because he is blind, Swallow claims he will live with *the Happy Prince* forever (Sampson, 2004, p.82).

The swallow remains still on the third morning. He chooses to stay with *the Happy Prince* instead. Perched on his shoulder, he regales him with a plethora of stories about the sights he has witnessed during his travels. While *the Happy Prince* finds pleasure in the stories, he is curious about the goings-on in his hometown. Swallow flies swarm the city, collecting data about the locals. When he tells *the Happy Prince* what he has seen, *the Happy Prince* requests that he remove the gold from him leaf by leaf and distribute it to the town's residents. When *the Happy Prince* has no more gold covering him, the snow arrives and it becomes quite chilly. Even though Swallow is freezing, he won't go from *the Happy Prince*. He makes the decision to say goodbye for good after trying to stay warm but realizing he won't make it. Swallow explains that it is too late and that *the Happy Prince* will perish from the cold, despite *the Happy Prince's* belief that he is

saying farewell since he is finally traveling to Egypt. Since he is to blame, *the Happy Prince* is depressed (Butt, 2008, p.109).

The Happy Prince's heart is broken when the swallow kisses him before dying. As the Mayor passes by the monument the following morning in the square, he is taken aback by how run-down it appears to be—it is devoid of any gold or gems. The statue is no longer beautiful, so the town council members decide to remove it and melt it. The overseer at the foundry notes that it is peculiar that the broken lead heart within the statue does not melt after the villagers remove it. He discards it alongside Swallow's lifeless corpse in the dust heap. God requests that an angel deliver the most valuable item in the city to him. The deceased Swallow and *the Happy Prince's* wounded heart are returned by the angel. God says the angel made the proper decision. He places *the Happy Prince* in his city of gold so he can worship God forever, and he places the Swallow in his garden of Paradise so that it will live forever (Howard, 2002, p. 45).

There are three main themes in the tale of "*The Happy Prince*." Firstly, it demonstrates that outward beauty is meaningless and that true beauty comes from giving and loving. It also talks about how sacrifice and love are two things that can save you. Thirdly, it demonstrates the widening divide that exists between the ruling class and the general populace. When *the happy prince* is alive, he leads a carefree, joyful existence devoid of sorrows. However, after he passes on, he discovers through a tall Column that there are other aspects of life than happiness, such as poverty, helplessness, and the corruption of the ruling class and elite. A bird swallow, a poor writer, asks the prince for assistance when it lands beneath his feet and lands on the match girl. Despite appearing content, he is crying uncontrollably since he has witnessed so many oppressed individuals. The swallow perishes in the end from frost once; the mayor finds the prince in an ugly situation as he walks through that path. They took it down and chose to label another statue after becoming confused when they saw the prince did not have all the priceless items on his body. The statue was thrown onto the dust mound by the workmen since it did not soften in the furnace, and a dead swallow was also present. An angle approaches God and takes two priceless items, which are now useless to those in this world but are crucial to having eternal life in paradise (Martin, 1979, p.74).

There is no such thing as a living Happy Prince. He is a statue of a prince that is positioned in the middle of the city atop a tall column. It's a statue of a deceased royal that contains the prince's soul. A little Swallow passed above the city one evening. He fell in love with Reed and had to cancel his winter vacation to Egypt. During a nighttime flight over the city, the swallow happened to spot *The Happy Prince* statue. He landed right between *the Happy Prince's* feet. A massive drop of water hit him just as he was falling asleep. He looked up and saw *the Happy Prince's* eyes welling up with tears. The Swallow was informed by *the Happy Prince* that he used to reside in a regal palace where sadness was forbidden. He was referred to as *the Happy Prince*. His statue was erected so high that it could witness the entire city's suffering when he passed away. The prince begged the swallow to use the ruby on top of his weapon to assist the impoverished mother. Then, using the priceless sapphire that was *the Happy Prince's* eye, he assisted the young man in finishing his play for the theater. Subsequently, he bestowed upon the young match girl an additional sapphire from the prince's second eye. upon the swallow's decision to remain in the city with *the Happy Prince* upon his complete blindness. Little Swallow helped a lot of underprivileged and hungry individuals by assiduously following *the Happy Prince's* instructions. The prince become completely drab and dreary as the small swallow peeled away the gold leaf by leaf. Winter arrived as time went by. The swallow bid *the Happy Prince* farewell and passed away at his feet. The Prince's lead heart cracked. The statue was no longer beautiful or functional, so the avaricious mayor gave the order for people to take it down and melt it. It did not melt the prince's heart. God gave his angel the task of locating the two most valuable items in the city. The swallow and the prince's heart were brought to heaven by the angel (Griswold, 1974, p.36).

3.3. Utopianism in Wild's *The Happy Prince*

A type of social theory known as utopianism presents particular behaviors and ideals in an idealized society or state in an effort to highlight them. The utopian writers did not believe that such states could exist in the idealized form that they portrayed, at least not in the conventional sense. Plato's republic primarily aims to illustrate a fundamental aspect of a notion—that is, justice or freedom—by characterizing it as

expansive in an ideal society. based on such idea. Utopia is a mental theater or a representation of More's imagined world. Put another way, utopia is writing that is inventive and, if we choose to interpret it, contains a lot of plot. Utopia is a narrative, a creative play derived from the writer's unrestricted imagination. Utopia is generally understood to be a place of ideal perfection, particularly in the areas of law, administration, and social situations. It is also described as the location of the ideal point of view. A civilization that is deemed ideal is referred to be a utopia in a wide and comprehensive sense. A good world is referred to be utopian (Evans, 1999, p. 143).

In Oscar Wilde's writings, particularly in the short story, *the happy prince* depicts a relationship that exists between the prince and society in addition to the one between the prince and the swallow. As can be seen from several passages of the novel that the author will analyze, Wilde's work illustrates the condition of utopianism which is divided two streams, namely social utopia and physical utopia. "Social Utopia" will use words to articulate a utopia that aims to address social issues in society without bringing up issues with the built environment or spatial planning (architecture). Social utopists acknowledge that modifications to social structure and norms will cause suffering for people. In his book "Utopia," published in 1516, Sir Thomas More (1478–1535) proposed a solution to end the miseries of society during the start of the "Gilda" period, when people thought society was competitive and classless (Elleman, 1987, p. 39).

In general, everyone aspires to have the perfect social life. This includes those who believe that living in harmony with others and in a decent social environment is worthwhile. However, in actuality, some people's social circumstances still cause them anxiety today. and in this little tale, there is a happy prince who is adored and revered by his people. However, after the prince passed away, his people erected a monument in his memory that they named *The Happy Prince Statue*. When the living statue of the joyful prince discovers that reality differs from his perception—that is, that his people lead tranquil, contented lives—he becomes depressed. This short story features a "statue" of a prince who, although initially pleased to see people in his territory, eventually became unhappy due to the disparate welfare of the populace. "if happiness is equated with pleasure. That remained the same until my passing. And I'm dead now." In order to make everyone feel good, *the Happy Prince* statue narrated a story with a

bird and donated gems, gold, and rubies from its own statue to the people. The statue's goal was for all of his subjects to live in wealth and peace (Howard, 2002, p. 40).

Utopian socialism is a term used to describe the origins of modern socialism. The term "Utopian Socialism" was coined by Karl Marx and later used by other socialist thinkers to describe the intellectual beginnings of socialists who imagined hypothetical futures based on society's egalitarian and communal teachings, without being concerned only with themselves, but also with a procedure by which such a society could be created or fought for. Utopian socialists never really use term to refer to themselves. Karl Marx was the one who first proposed this social ideal, and a number of other intellectuals eventually adopted this view. Karl Marx's ideas demonstrate how social utopia is essentially a vision of the future that educates people to live with prosperity in common rather than simply their individual interests (Cuddon, 1975, p. 67).

In terms of architecture, utopianism is the concept of exquisite cities and buildings. Because the creators of the utopian concept envisioned a brand-new, idealized form of social order in urban areas, their utopian city plan functions as a visual extension of a specific social philosophy. They search for a model city that will provide the ideal environment for achieving social objectives as a result. Every era has seen the emergence of utopian city visions, such as Tommaso Campanella's *Civitas Solis*, Sir Thomas More's *Utopia*, and Plato's *Republic*. Similar ideas first appeared in modern radicals' plans from the nineteenth and twentieth centuries, who aimed to better social life in their cities by transforming them. "Physical Utopia" is a physical approach that, while acknowledging the intricacies of social existence, focuses its utopian formulation on the physical processing of spatial planning. This is portrayed through architectural endeavors that project future life. The physical environment will change and develop, and smart, efficient, and beautiful spatial management will lead to happier, better-organized, healthier, and more prosperous lives for humans. "Walking City," an incredibly efficient metropolis where every department is committed to the well-being of its citizens, is one illustration of a physical paradise (Evans, 1999, p.88).

3.4. Conclusion

Oscar Wilde's "*The Happy Prince*" is a thought-provoking story that explores themes of sacrifice, compassion, and the sharp contrast between the fortunate and the suffering. The story's Utopian character is a representation of an idealistic dreamer who aspires to build a flawless society free from the tragedies and tribulations that befall the rest of the world. The Utopian vision and the reality that *The Happy Prince* and the Swallow characters face are contrasted in the story's ending. Although the Utopian's dreams of an ideal society are admirable, the narrative highlights the difficulties in realizing such a utopia. The Happiness Prince and the Swallow, who directly lessen other people's suffering via their sacrifices, stand in stark contrast to the utopian views of the Utopian. In the end, the conclusion emphasizes the limitations of pure idealism as well as the usefulness of unselfish deeds. The unselfish actions of *The Happy Prince* and the Swallow contrast with the utopian's pursuit of perfection, highlighting the transformational potential of empathy and compassion in directly easing the suffering of others. The story's ending presents a balanced viewpoint on the pursuit of utopian ideals and is a moving reminder of the importance of concrete acts of kindness and the enormous impact of unselfish sacrifice.

The Happy Prince is the figure that Oscar Wilde invented, according to the analysis's findings. It symbolizes the two streams of utopianism represented in the short story: social utopia and physical utopia. demonstrates this through the persona of *The Happy Prince*, who establishes social settings in which social utopianism is desired and developed until the prince is prepared to sacrifice his entire body in order to ensure the welfare of the citizens of his city. In this passage, Oscar Wilde explains utopianism and provides insight into how it might be achieved. The well-being of the entire populace within a single city, nurtured and accomplished by a prince, who also crafts the perfect setting, structures, and architectural details. Based on a sociological analysis of the available data, it may be inferred that Oscar Wilde's short stories, particularly *The Happy Prince*, depict utopianism.

References:

- 1- Alexander, M. (2000). *"History of English literature"*, Palgrave Foundation, New York, USA.
- 2- Ahmed, W., (2011), *Neoliberal Utopia and Urban Realities in Delhi*, ACME: An International E-Journal for Critical Geographies, 10 (2).
- 3- Basu, R. L., (2005), *Human development part 2: Ancient kingship, modern politicians and the problem of corruption in India*, Culture Mandala: The Bulletin of the Centre for East-West Cultural and Economic Studies, Vol. 7, Issue- 1, Article 5, Retrieved from - <http://epublications.bond.edu.au/cm/vol7/iss1/5>
- 4- Bhattacharya, R., (2000), *Uttarakuru: The (E) Utopia of Ancient India*, Annals of the Bhandarkar Oriental Research Institute, Vol. 81, No. 1/4, Retrieved from— <http://www.jstor.org/stable/41694613>.
- 5- Butt, N. R. (2008). *"The selection of short stories and one act plays"*, the caravan book house, Pakistan.
- 6- Baeten, Guy. (2002). *Western Utopianism/ Dystopianism and The Political Mediocrity of Critical Urban Research*. Geografiska Annaler: Series B, Human Geography. (2002).
- 7- Bina Olivia, Andy Inch. (2020). *Dan Lavinia Pereira. Beyond Techno Utopia and It's Discontents: On The Role Of Utopianism And Speculative Fiction In Shaping Alternatives To The Smart City*.
- 8- Berkowitz, Alan J. (2000). *Patterns of Disengagement: the Practice and Portrayal of Reclusion in Early Medieval China*. Stanford: Stanford University Press.
- 9- Baccolini, Raffaella. (2003). *Introduction. Dark Horizons: Science Fiction and the Dystopian Imagination*, by Raffaella Baccolini and Tom Moylan, Routledge.
- 10- Claeys, Gregory. (2014). *The Cambridge Companion to Utopian Literature*. Cambridge UP.
- 11- Crane, Walter. (2015). *The happy prince, by Oscar Wilde, Illustrated*. 29 mare. More, Thomas. Libellus vere aureus, nec minus salutaris quam festivus, de optimo reipublicae statu, deque Nova Insula Vtopiae. 1516. CreateSpace.
- 12- Cuddon, J. (1975). *"The penguin dictionary of literary terms"*, Penguin, UK.

- 13-Claeys, Gregory. (2011). *Searching for Utopia: The History of an Idea*. Thames and Hudson.
- 14-DAiches, D. (1960). "A *Critical History of English literature*", The Ronald press company, UK.
- 15-Evans, I. (1974). "A *short history of English literature*", Penguin, UK.
- 16-Ellamnan, R. (1987). "Oscar Wilde", Penguin book, London.
- 17-Fledisti, Marsela. (2021). *Utopianism in Wilde's The Happy Prince*. SoCul: International Journal of Research in Social Cultural Issues. Vol 1.
- 18-Griswold, Jerome. (1974). "Sacrifice And Mercy In Wilde's 'The Happy Prince'." *Children's Literature: The Great Excluded*. Ed. Butler, Francelia and Bennett A. Brockman. Connecticut: University Of Connecticut Bookstore.
- 19-Haidt, Jonathan. (2012). *The Righteous Mind: Why Good People Are Divided by Politics and Religion*. New York: Vintage Books.
- 20-Howard, Sue N. (2002). "The Happy Prince (Book)." Library Talk. 15.5.
- 21-Martin, Robert K. (1979). "Oscar Wilde and the Fairy Tale: 'The Happy Prince' as Self-Dramatization." Studies in Short Fiction vol 16.
- 22-Mutmainnah, G, Putra, M and Gultom, E. (2020). *The Happy Prince*. By Wilde, Oscar. School Library Journal. Vol. 45.
- 23-Mullik.B.R.(2012). "A *history of English literature*", New kiytav Mehal, Pakistan.
- 24-Moylan, Tom. (2000). *Scraps of the Untainted Sky: Science Fiction, Utopia, Dystopia*. Westview.
- 25-Nesse, Randolph M. (2009). "10. *Social Selection and the Origins of Culture*". London.
- 26-Williams, Raymond. *Utopia And Science Fiction*. Science Fiction Studies.
- 27-Onda, M. (2013). "A *study of the happy prince*", frontier seminar. <http://onda.frontierseminar.com/eron7.html>
- 28-Potu M, Fivy A. & Imelda L. (2022). *UTOPIANISM IN WILDE'S THE HAPPY PRINCE*. SoCul: International Journal of Research in Social Cultural Issues. Vol. 1, No. 4.
- 29-Richard, Sosis. (2000). "Religion and Intragroup Cooperation: Preliminary Results of a Comparative Analysis of Utopian Communities" (PDF).

- 30-Sampson, P. (2004). "A resource book for students", Routledge Taylor and Francis group, UK.
- 31-Suvin, Darko. (1976). *Metamorphoses of Science Fiction: On the Poetics and History of a Literary Genre*. Yale UP.
- 32-Sevcu, Lucie. (2019). *Wilde's Social Criticism of the Victorian Society in The Happy Prince and Other Tales*. Thesis. Masaryk University. Faculty of Education. Department of English Language and Literature.
- 33-Sturgis, Matthew (2018). *Oscar: A Life*. London: Head of Zeus Ltd.
- 34-Wu, Haoyi. (2020). *The Writing Art of Wilde's Fairy Tales: the Reshaping of Love and Kindness Under the Cloak of Aestheticism Taking "The Happy Prince" as an Example*. *Advances in Social Science, Education and Humanities Research*, volume 507.
- 35- Xiaofei, Tian. (2010). "From the Eastern Jin through the Early Tang (317–649)". *The Cambridge History of Chinese Literature*. Cambridge: Cambridge University Press.

Hematological and Serological changes in Renal Failure Patients at the AL-kadhemia Hospital in Baghdad

التغيرات الدموية والمصلية لدى مرضى الفشل الكلوي في مستشفى الكاظمية ببغداد

Iman Fadhil Abdul-Husin^{1,2*}, Assad Abbas Khalaf^{2,3}, Yosif Jwad Jassim⁴, Mohammed Ali Abdulhasan¹, Safaa Talib Al-Asadi², Sarah Ali Hamza², Khansaa Abdul Hussein Ibadi², Abeer Jasim Sahib⁵

¹ College of Biotechnology, Al-Qasim Green University, Babylon, Iraq.

² College of Nursing, University of Karbala, Karbala, Iraq.

* Corresponding author email: Iman.f@biotech.uoqasim.edu.iq

² College of Nursing, University of Kerbala, Kerbala, Iraq.

Email: asaad.abbas@uokerbala.edu.iq

³ College of Sciences, Department of Medical Physics, University of Warith Al-Anbiyaa, Karbala, Iraq.

Email: Asaad.ab@uowa.edu.iq

⁴ Ministry of Agriculture, Agriculture Directorate, Karbala, Iraq.

Email: yosifa143@gmail.com

¹ College of Biotechnology, Al-Qasim Green University, Babylon, Iraq.

Email: mohammedali@biotech.uoqasim.edu.iq

² College of Nursing, University of Karbala, Karbala. Iraq.

Email: safaatalibalasadi97@gmail.com

² College of Nursing, University of Karbala, Karbala. Iraq.

Email: khansaa.a@uokerbala.edu.iq

² College of Nursing, University of Karbala, Karbala. Iraq.

Email: sarah.ali@uokerbala.edu.iq

⁵ Al-Amal College for Specialized Medical Sciences, Karbala, Iraq

Email: abeerjasim20@gmail.com

Abstract:

Patients with renal insufficiency may experience two problems: hemodialysis and hemostasis disorders (bleeding diathesis or hypercoagulability). The goal of the study is to identify the most common clinical symptoms in patients and to assess specific blood and serum parameters for patients with renal failure by comparing blood and serum changes in the patients to the healthy group. Based on the outcomes of laboratory and diagnostic testing, this will enable prompt and appropriate therapy.

Information about the patients and their samples was acquired through a questionnaire. Out of the 260 clinical samples in the study, a trained physician only found sixty to be suggestive of

kidney failure. In contrast to male patients (No. 29), whose prevalence was 48.3%, female patients (No. 31) had a slightly higher death rate (51.7%) and a 23.1% infection frequency. The study discovered that there were substantial differences in platelet and white blood cell (WBC) levels between the sick and healthy groups ($P<0.05$ and $P<0.001$, respectively). The levels of creatinine, blood urea, albumin, and phosphate were considerably greater in individuals with renal failure compared to healthy controls ($P<0.001$).

The research discovered that patients with kidney failure had a significantly higher [K] than the healthy group ($P<0.05$). When compared to the healthy group, patients with kidney failure had considerably lower average levels of [Na] and [Cl] ($P<0.05$).

Keywords: Renal Failure, Hematology parameters, Serological Changes, Creatinine, Albumin, Blood Urea.

الملخص:

قد يعاني مرضى الفشل الكلوي من مشكلتين: غسيل الكلى واضطرابات وقف النزيف (نزيف الدم أو فرط تخثر الدم). والهدف من الدراسة هو تحديد الأعراض السريرية الأكثر شيوعاً لدى المرضى وتقييم معايير الدم والمصل المحددة لمرضى الفشل الكلوي من خلال مقارنة التغيرات في الدم والمصل لدى المرضى بالمجموعة السليمة. وبناءً على نتائج الاختبارات المعملية والتشخيصية، سُمِّك ذلك من العلاج السريع والمناسب.

تم الحصول على معلومات حول المرضى وعيانتهم من خلال استبيان. من بين ٢٦٠ عينة سريرية في الدراسة، وجد طبيب مدرب ستين عينة فقط تشير إلى الفشل الكلوي. وعلى النقيض من المرضى الذكور (رقم ٢٩)، الذين بلغ معدل انتشارهم ٤٨.٣٪، كان لدى المريضات (رقم ٣١) معدل وفيات أعلى قليلاً (٥١.٧٪) وتكرر إصابة ٢٣.١٪. وقد توصلت الدراسة إلى وجود فروق جوهرية في مستويات الصفائح الدموية وخلايا الدم البيضاء بين المجموعتين المريضة والصحية ($P<0.05$ و $P<0.001$ على التوالي). وكانت مستويات الكرياتينين واليوريا في الدم والألبومين والفوسفات أعلى بكثير لدى الأفراد المصابين بالفشل الكلوي مقارنة بالضوابط الصحية ($P<0.001$).

واكتشف البحث أن مرضى الفشل الكلوي لديهم [K] أعلى بكثير من المجموعة الصحية ($P<0.05$). وعند مقارنتهم بالمجموعة الصحية، كان لدى مرضى الفشل الكلوي متوسط مستويات أقل بكثير من [Na] و [Cl] ($P<0.05$).

الكلمات المفتاحية: الفشل الكلوي، معايير الدم، التغيرات المصلية، الكرياتينين، الألبومين، اليوريا في الدم.

Introduction:

The inability of the kidneys to gather and absorb blood-derived metabolic nutrients, preserve the pH stability and electrolyte balance of extra cellular fluids, is known as renal failure (1). Kidney diseases are major causes of death and disability in many countries worldwide. (2, 3).

Toxic chemicals, endocrine system disorders like diabetes and cancer, infections, and autoimmune diseases are the main causes of renal failure. (4) in addition to One of the main causes of death for people with high blood pressure is kidney failure. (5) The rapid reduction in renal function that causes blood nitrogen waste levels to rise and fluid and electrolyte balance to drop is known as acute renal failure. (6). Acute or chronic conditions may be the cause of renal failure. (7). The most accurate public predictor of acute renal failure is azotemia. It is the blood's buildup of nitrogen waste. (8). Kidney disease is linked to variations in hematological and biochemical markers. (9). Renal erythropoietin secretion is the main cause of anemia, which is correlated with the severity of kidney failure (10,11,12,13). Most impacted are the erythrocyte indices (14, 15). That is because the juxtaglomerular apparatus produces the majority of erythropoietin, with the liver and other organs producing the remaining 10%. (16,13). Apart from decreased erythropoietin, deficiencies in vitamin B 12, iron, and follicular acid, resulting from malnourishment, hemorrhage, or reduced erythrocyte life, may also lead to improvements in the Red Blood Cell (RBC) index (14,17). Al-Kadhimiya Hospital in Baghdad's renal failure patients are the subject of this study, which attempts to assess hematological and serum indicators.

Material and methods:

Patients:

The sixty patients diagnosed with renal failure disease by a specialist physician who brought them to Al-Kadhimiya Teaching Hospital in the Baghdad Governorate, Iraq, were the subjects of this study. The research was conducted between December 2022 and April 2023. Using the study, it was possible to compare the hematological and serological alterations in the patients with the 200 clinical samples from the health group at that time.

Samples gathered: Every patient enrolled in the study had two out of every five milliliters of venous blood drawn, as per equation (18) to measure the total number of red blood cells, PCV, hemoglobin concentration, total white blood cell count, PLT count, and blood urea; the remaining blood, or three milliliters, for serology test according to (19). The Cobas Integra 400 Plus-Germany auto-analyzer was used to measure these tests. The majority of clinical centrifuges are capable of processing aspiration tubes containing collective blood. After that, the tubes are sent to the Diasys diagnostic systems, an automatic compact POCT analyzer with a true throughput of 200 tests per hour. This analyzer is designed for use in daily

practice and provides results with quality comparable to that of laboratory analyzers.

Ethical Approval: Awaiting approval from the scientific committee of the Kadhemia Hospital in Baghdad, while outlining the goals and procedures to all participants in order to obtain their verbal consent.

Analysis of Statistics:

By using SPSS version (24); analysis was complete, and via Kolmogorov-Smirnov & Shapiro--Wilk tests; the normality of data division was tested as well as to define the correlation between data variance spearman correlation was used. $P \leq 0.05$ consider as significant value (20).

Results & Discussions:

Kidney failure patients divisions concerning sex.

As shown in figure (1), the percentage of disease was (29%) & (31%) in the male and female, respectively.

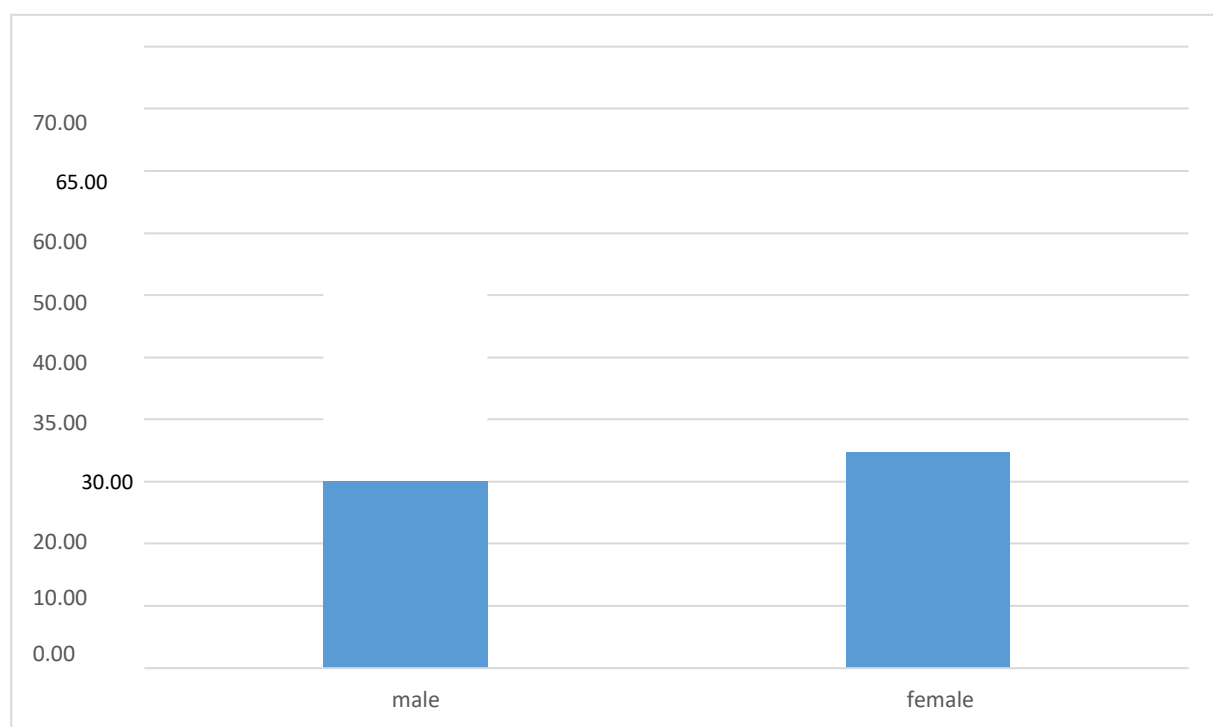


Fig (1): Kidney failure patients groups percentage according sex

Patients and health group measurements:

Hematological measurement

Its such important to measure hematological measurement in order to follow up & getting effective treatments; According analysis of statics ($P \leq 0.05$),

decrement was significant in patients in RBCs mean; Hb & Pcv levels compared to the healthy group.

Additionally, table 1 indicates that PLT was significantly higher ($P \leq 0.05$) in renal failure patients when compared to the healthy group. However, as compared to their corresponding healthy group, in these patients' (23 specimen); the WBC counts have increased significantly ($P \leq 0.001$).

Table 1. Hematological measurements in healthy and patient sets

Groups Parameter	Means $\pm$ S.D	
	Normal healthy(n=200)	Renal failure patients (n=60)
(RBC)($10^{12}/l$)	1.45 $\pm$ 0.55	1.125 $\pm$ 0.55
(Hb)(g/dl)	4.03 $\pm$ 1.24	2.79 $\pm$ 0.61*
(PCV) (%)	12.60 $\pm$ 3.78	7.70 $\pm$ 0.61*
(PLT)($10^9/l$)	66.84 $\pm$ 79.45	73.30 $\pm$ 9.66*
(WBC)($10^9/l$)	1.98 $\pm$ 1.50	5.90 $\pm$ 1.90**

* P values < 0.05 indicate a significant difference between the renal failure and healthy groups. P values (**) ($P < 0.01$)

Renal function test (RFT):

Renal function test reveal exceedingly significant increasement conserving creatinine levels & urea in blood of kidney failure patients as those within healthy set ($P < 0.001$).

Table 2: RFT results in kidney failure & healthy sets.

Sets Parameter	Means $\pm$ S.D	
	Normal healthy (n=200)	Renal failure n=60
("S.Creatinine") $\mu\text{mol}/L$	23.83 $\pm$ 13.87	24.45 $\pm$ 22.31**
("S.Urea") mmol	1.40 $\pm$ 0.32	26.56 $\pm$ 6.27**

**' "P values "< 0.01: extremely significant difference in renal failure set

Serology (Electrolyte) factors:

The statistical analysis revealed that the mean of Na and Cl in patients with renal failure was significantly lower ($P \leq 0.05$) than in the healthy group. Additionally, a substantial rise ($P \leq 0.05$) in "K concentration " in patients compare to healthy set. Furthermore, a significant increase in albumin and phosphate levels ($P \leq 0.001$) is shown by the data in patients with renal failure.

Na, Cl and K albumin & phosphate levels in sick and healthy individuals are shown in Table [3].

Groups Factors	Means $\pm$ S.D	
	Healthy individuals "n=200"	Renal failure "n=60"
"K" mEq/L	0.95 ± 1.1	$1.19 \pm 1.40^*$
"Na" mEq/L	39.80 ± 1.1	$28.67 \pm 6.39^*$
"Cl" mEq/L	28.55 ± 2.11	$21.44 \pm 4.14^*$
"Albumin "g/dL	1.35 ± 0.97	$4.60 \pm 1.32^{**}$
"Phosphate"mg/dL	1.09 ± 1.3	$1.81 \pm 1.60^{**}$

(*) P-values ≤ 0.05 : Significant variation between groups

(**) P-values ≤ 0.01 indicate a highly significant variation

Discussion:

Hematocrit and hemoglobin levels in individuals suffering from renal failure

The study's findings demonstrated a substantial ($p \leq 0.05$) drop in PCV and Hb levels as compared to the healthy group. Anemia is seen as a common complication in patients with renal failure; Tangri et al.'s 2016 study supports this finding (21).

Anemia in these people is also a result of iron shortage. A shortage in iron, which is necessary for the synthesis of hemoglobin, can result from a drop in ferritin, a protein that stores iron, as well as from dietary restrictions and a decline in iron absorption. Numerous investigations have supported this theory (22-23).

Count of Red blood cell in patients with Chronic Kidney disease

The RBC count data in this investigation showed a substantial decrement ($p \leq 0.05$) compared to the health set; the Dorgalaleh study corroborated our findings (23)

The primary cause of a decreased red blood cell count is a decrease in the kidney's erythropoietin synthesis, which results in erythropoiesis suppression

(24). Additionally, a short "RBCs" life span cause a decrease in RBC count. Uremia lead also small life spans in red blood cells by increasing the expression of phosphatidylserine on their external surface, which increases damage from macrophages and decreases the number of cells that survive (25).

Additional research revealed that hemolytic factors, which are toxic substances that the kidneys ordinarily metabolize or remove, such as guanidine and its derivatives, are the source of RBC reduction and have a detrimental influence on red blood cell survival (26).

White blood cell counts in patients suffering from renal failure

The total white blood cell count (WBC) in the group of patients with renal failure increased significantly ($P \leq 0.001$) compared to the normal group. These findings are consistent with those of another study (27) which reported that WBC counts were elevated in patients with renal failure and that dialysis further increased WBC counts. This may be explained by pro-inflammatory cytokines such as tumor necrosis factor- α (TNF- α) and interleukin-6, which are overexpressed in the blood and contribute to the chronic inflammation associated with uremic states.

"PLT" counts in renal failure individual

"PLTs" tend to rise in our investigation; while a study by (28) that evaluated the platelet counts before and after dialysis sessions. They discovered that following Hemodialysis sessions (HD), the platelet count increased dramatically and that the length of the Hemodialysis sessions (HD) did not affect the platelet count. The decline in hematological parameters during the Hemodialysis sessions (HD) session may result from the supine position and succeeding hemo-dilution produced by water re-distribution in the extra-to intravascular area, rather than solely from the HD process. (29)

Biochemical markers in individuals suffering from renal failure.

The patient group's concentration of urea and creatinine.

According to this study, the levels of urea and serum creatinine in individuals with renal failure were substantially higher ($p \leq 0.01$) than in the healthy group. The other research concurred with these findings (30).

According to Pandya *et al.* (2016), blood urea and serum creatinine are two vital substances that the kidneys remove from the body. It was also revealed that urea was the first organic solvent found in the blood of individuals with renal

failure. If the kidneys are unable to eliminate nitrogenous waste products from the blood, they will build up in chronic renal disease and cause elevated levels of urea and creatinine (31). Additionally, an increase in protein consumption, shock, gastrointestinal hemorrhage, etc., is the cause of the rise in blood urea and serum creatinine levels (32).

Blood urea is thought to be a sensitive biomarker of renal disease because it is high when renal functions decrease to between 25 and 50 percent (33). However, Moses and Johnkenedy (2013) found that kidney impairment causes a minor increase in creatinine levels, which in turn causes a decline in GFR because of kidney inflammation. Additionally, creatinine was utilized to assess renal impairment and the advancement of renal failure (34).

Electrolyte values in individuals with kidney failure.

Our study found statistically significant ($p \leq 0.01$) increases in potassium and phosphate in the sick group as compared to the healthy group. The kidneys' functions include controlling bodily fluids, electrolytes, and the acid-base balance. Chronic kidney disease is known to cause a number of abnormalities, such as metabolic acidosis, hyperphosphatemia, and hyperkalemia, which can result in major consequences like bone-mineral disorders, vascular calcification, and muscle atrophy (35). Hyperkalemia is a prevalent and potentially fatal electrolyte imbalance in renal failure (36). It becomes extremely common as renal failure. Additionally, it has been discovered that patients have elevated intestinal and intracellular potassium translocation, leading to excessive extra-renal potassium excretion (37).

The results of this study show that there are statistically significant ($p \leq 0.05$) differences in [Na] and [Cl] declines between the sick and healthy groups. These findings corroborate another study (38), which found that individuals with renal failure had an increased risk of hyponatremia due to their impaired capacity to concentrate or dilute urine. Furthermore, multi-drug medicines and restricted dietary consumption are prevalent and can contribute to salt imbalances. The main cause of hyponatremia in dialysis patients is either excessive water intake or hypotonic fluid intake (39).

Conclusions:

Hemodialysis and hemostasis disorders are just two of the issues that patients with renal failure may face. In advanced stage of Chronic Kidney Disease; the problems in lipid metabolism lead to reduced AST (aspartate transaminase (AST))

and ALT (alanine transaminase; aka alanine aminotransferase (ALT)) levels. Therefore, it is recommended that individuals with CKD (Chronic Kidney Disease) obtain therapy for anemia and liver disorders in order to avoid associated complications. An early kidney transplant is required for them in order to avoid further complications.

References:

- 1- Obeagu, E. I., Obeagu, G. U., & Amilo, G. I. (2018). Haematological changes in patients of chronic kidney disease in Umuahia, Abia State, Nigeria. *Curr Trends Biomed Eng Biosci*, 11, 34-7.
- 2- Draczevski, L., & Teixeira, M. L. (2011). Avaliação do perfil bioquímico e parâmetros hematológicos em pacientes submetidos à hemodiálise. *Saúde e Pesquisa*, 4(1).
- 3- Verma, M., Khadapkar, R., Sahu, P. S., & Das, B. R. (2006). Comparing age-wise reference intervals for serum creatinine concentration in a "Reality check" of the recommended cut-off. *Indian Journal of Clinical Biochemistry*, 21, 90-94.
- 4- Kamal, A. (2014). Estimation of blood urea (BUN) and serum creatinine level in patients of renal disorder. *Indian J Fundam Appl Life Sci*, 4(4), 199-202.
- 5- Chielle, E. O., Rigon, K. A., Arcari, I. A., Stein, V., & Santos, G. A. D. (2015). Influence of hemodialysis on the plasma concentration of adenosine deaminase in patients with chronic kidney disease. *Jornal brasileiro de patologia e medicina laboratorial*, 51, 153-157.
- 6- Aldulaimy, N. E. H., & Ali, A. J. H. (2018). Assessment the immune response in patients with renal failure. *International Journal of Pharmaceutical Research*, 10(4).
- 7- Khan, M. N., & Elderderly, A. (2018). Alterations of hematological parameters, hemoglobin and hematocrit with liver enzymes, aspartate transaminase and alanine transaminase among patients with chronic kidney disease undergoing hemodialysis in Aljouf Region, Saudi Arabia. *Journal of Hematology*, 7(1), 1.
- 8- Winterberg, P. D., & Ford, M. L. (2017). The effect of chronic kidney disease on T cell all immunity. *Current opinion in organ transplantation*, 22(1), 22.
- 9- Obeagu EI, Obeagu GU (2016) Correlation of erythropoietin and haematocrit levels in the anaemias of chronic kidney diseases: A study in federal medical centre, Umuahia, Nigeria. *International Journal of Medicine Research* 1(2): 139-144.
- 10- Sette LH, Almeida Lopes EP. Liver enzymes serum levels in patients with chronic kidney disease on hemodialysis: a comprehensive review. *Clinics (Sao Paulo)* 2014;69(4):271-278. doi: 10.6061/clinics/2014(04)09.
- 11-Kuźmiuk-Glembin, I., Storoniak, H., Dębska-Słizień, A., & Witkowski, J. M. (2020). The influence of a single hemodialysis procedure on human T lymphocytes.
- 12- Péterle, V. B., Souza, J. D. O., Busato, F. D. O., Eutrópico, F. J., da Costa, G. D. A., Olivieri, D. N., & Tadokoro, C. E. (2018). Clinical and hematological data to group different chronic kidney disease patients: A practical approach to establish different groups of patients. *Journal of clinical laboratory analysis*, 32(5), e22377.
- 13- Pahl, M. V., & Vaziri, N. D. (2020). Immune function in chronic kidney disease. In *Chronic renal disease* (pp. 503-519). Academic Press.

- 14- OB, L., Elwerfally, H. H., Sheriff, D. S., & Younis, M. Y. G. Haematological Changes in Predialyzed and Hemodialyzed Chronic Kidney Disease patients in Libya.
- 15- Iyawe, I. O., & Adejumo, O. A. (2018). Hematological profile of predialysis chronic kidney disease patients in a tertiary hospital in Southern Nigeria. *Journal of Medicine in the Tropics*, 20(1), 36-41.
- 16- Habib, A., Ahmad, R., & Rehman, S. (2017). Hematological changes in patients of chronic renal failure and the effect of hemodialysis on these parameters. *Int J Res Med Sci*, 5(11), 4998-5003.
- 17- Gautam, R. (2018). Hematological Changes in Pre and Post Hemodialysis in Patients With Chronic Renal Failure (Doctoral dissertation, BLDE (Deemed to be University)).
- 18- Amitava Dasgupta; Jorge L. Sepulveda (20 July 2019). [Accurate Results in the Clinical Laboratory: A Guide to Error Detection and Correction](#). Elsevier Science. p. 131. ISBN 978-0-12-813777-2
- 18- Sepulveda, J. L. (2019). Challenges in routine clinical chemistry analysis: proteins and enzymes. In *Accurate results in the clinical laboratory* (pp. 141-163). Elsevier.
- 19- Guide to Child-Friendly Blood Collection-published October 2010, version 2 – SickKids the Hospital for SICK CHILDREN.
- 20- Al-Aaraji, A., Al-Qaysi, S. and Baay, A. (2019). "Role of periostin in Iraqi asthmatic patients," *Medical Journal of Babylon*, vol. 16, no. 3, p. 256.
- 21- Tangri N., Grams M.E., and Levey A.S. (2016). CKD Prognosis Consortium. Multinational assessment of accuracy of equations for predicting risk of kidney failure: a meta-analysis [published correction appears in *JAMA*;315(2):164-174.
- 22- Gafter-Gvili A, Schechter A, Rozen-Zvi B. Iron Deficiency Anemia in Chronic Kidney Disease. *Acta Haematol.* 2019;142(1):44-50. doi: 10.1159/000496492. Epub 2019 Apr 10. PMID: 30970355.
- 23- Wish J.B., *et al.* (2021). Iron Deficiency in CKD Without Concomitant Anemia. *Kidney Int. Rep.* 2021; 6: 2752–2762.
- 24- Hamza E, Metzinger L, Metzinger-Le Meuth V. (2020). Uremic Toxins Affect Erythropoiesis during the Course of Chronic Kidney Disease: A Review. *Cells.* 6;9(9):2039. doi: 10.3390/cells9092039.
- 25- McMurray J.J., Parfrey P.S., Adamson J.W., Aljama P., Berns J.S., Bohlius J., Drüeke T.B., Finkelstein F.O., Fishbane S., Ganz T., (2012). Kidney Disease: Improving Global Outcomes (KDIGO) Anemia Work Group. KDIGO Clinical Practice Guideline for Anemia in Chronic Kidney Disease. *Kidney Int. Supp.* 2012;64.
- 26- Jalal DI, Chonchol M, Targher G. Disorders of hemostasis associated with chronic kidney disease. *Semin Thromb Hemost.* 2010;36(1):34–40.
- 27- Gameiro J. and Lopes J.A. (2019). Complete blood count in acute kidney injury prediction: a narrative review. *Ann Intensive Care.* 6;9(1):87. doi: 10.1186/s13613-019-0561-4.
- 28- Li Z., Yang F., Dunn S., Gross A.K. and Smyth S.S. (2011). Platelets as immune mediators: their role in host defense responses and sepsis. *Thromb Res.* 2011; 127: 184–188.
- 29- Duayer I.F., Araújo M.J.C.L.N., Nihei C.H., Barcelos M.A.F., Braga O., Britto Z.M.L., Elias R.M. (2022). Dialysis-related thrombocytopenia: a case report. *J Bras Nefrol*; 44(1): 116-120.

- 30- Chen S. and Chiaramonte,R. (2019). "Estimating creatinine clearance in the nonsteady state: The determination and role of the true average creatinine concentration," *Kidney Med.*, vol. 1, no. 4, pp. 207–216.
- 31- Pandya D., Nagrajappa A.K., Ravi K.S. (2016). Assessment and Correlation of Urea and Creatinine Levels in Saliva and Serum of Patients with Chronic Kidney Disease, Diabetes and Hypertension- A Research Study. *J Clin Diagn Res.*10(10): 58-62.
- 32- Zia Ziabari S.M., Rimaz S., Shafaghi A., Shakiba M., Pourkazemi Z., Karimzadeh E., and Amoukhteh M. (2019). Blood Urea Nitrogen to Creatinine ratio in Differentiation of Upper and Lower Gastrointestinal Bleedings; a Diagnostic Accuracy Study. *Arch Acad Emerg Med.* 2; 7(1): e30.
- 33-Amin, N., Mahmood, R. T. and Asad M.J. (2014). "Evaluating urea and creatinine levels in chronic renal failure pre and post dialysis: a prospective study," *J. Cardiovasc. Dis.*, 2,(2); 1–4.
- 34- . Moses O. and Johnkenedy N. (2013). The Alteration of Serum Glucose Urea and Creatinine Level of Malaria Patients in Obowo Local Government Area of Imo State Nigeria. *International Journal of Advanced Medicin*; 1: 1-6.
- 35-Sarafidis P. A, Blacklock R., Wood E., Rumjon A., Simmonds S., Fletcher-Rogers J. and Vinen K. (2012). *Clinical Journal of the American Society of Nephrology*
- 36- Chang A.R. (2016).: Antihypertensive medications and the prevalence of hyperkalemia in a large health system. *Hypertension*; 67:1181-1188.
- 37- Berl T. (2008). Impact of solute intake on urine flow and water excretion. *J Am Soc Nephrol*; 19:1076–1078.
- 38- Bauer, Daniel M.; Ernst, Dennis; Willeford, Susan; Gambino, Raymond. (2006). Investigating Elevated Potassium Values. *MLO*, Pp 24-26.
- 39- Zhang, R., Wang, S., Zhang, M., & Cui, L. (2017). Hyponatremia in patients with chronic kidney disease. *Hemodialysis International*, 21(1), 3-10.

دور المؤسسات والمدارس في ترسيخ التعايش وتعليم اللغة العربية لغير
الناطقين بها من خلال مناهجها التعليمية
دراسة تاريخية ميدانية

**The Role of Institutions and Schools in Establishing Coexistence
and Teaching Arabic to Non-Native Speakers Through Their
Educational Curricula - A Historical Field Study**

م. د. هيو تاهر عباس ملا زادة*

م. د. صالح محمد عبدالله *

Dr. Hiwa Tahir Abbas

Dr. Saleh Mohammad Abdullah

الملخص:

حث الدين الإسلامي الحنيف في دعوته الأولى في مفتح الرسالة على القراءة والكتابة وطلب العلم. فهذا القرآن الكريم الذي ختم الله به الكتب السماوية نجده يفتح دعوة السماء بالدعوة إلى القراءة، ولما يُكتب بالقلم من علوم تهدي وتستتير وتنعم بها الأمم. كما أقسم الله سبحانه وتعالى به، ومن هذا المنطلق كانت البداية الأولى لطلب العلم والتعلم والاهتمام بالمدارس وأماكن التعليم، وعلى هذا الأساس تأسست المدارس العلمية الشرعية ما تسمى في كردستان ب(الحجرة).

الكلمات المفتاحية: دور، المؤسسات، المدارس، ترسيخ التعايش، تعليم، غير الناطقين باللغة العربية، المناهج التعليمية.

* مديرية الوقف السني/ كركوك - العراق.

Email: Hiwataher80@gmail.com

Sunni Endowment Directorate in Kirkuk - Iraq.

* مديرية الوقف السني/ خانقين - العراق.

Email: Salih1971@gmail.com

Sunni Endowment Directorate in Khanaqin - Iraq.

Abstract:

The true Islamic religion urged in its first call at the beginning of the message to read, write and seek knowledge. This Holy Quran, with which God concluded the heavenly books, we find it opening the call to heaven with a call to read, and for what is written by the pen of sciences that guide, enlighten and enjoy nations. As God Almighty swore by it, and from this starting point was the first beginning of seeking knowledge and learning and caring about schools and places of education, and on this basis the religious scientific schools were established, what is called in Kurdistan (The Room).

Keywords: Role, Institutions, Schools, Establishing Coexistence, Education, Non-Native Speakers of Arabic, Educational Curricula.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على حبيبنا المصطفى محمد وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

لقد حثّ الدين الاسلامي الحنيف في دعوته الأولى في مفتتح الرسالة على القراءة والكتابة وطلب العلم، فهذا القرآن الكريم الذي ختم الله به الكتب السماوية نجده يفتتح دعوة السماء بالدعوة إلى القراءة فهي مفتاح النور والإيمان، ويعطي قيمة سامية ومكانة رفيعة سامقة للعلم والعلماء، ولما يكتب بالقلم من علوم تهدي وتستنير وتنعّم بها الأمم، كما أقسم الله سبحانه وتعالى به، وفي الحديث الشريف "طلب العلم فريضة على كل مسلم"^(١)، ومن هذا المنطلق كانت البداية الأولى لطلب العلم والتعلم والاهتمام بالمدارس وأماكن التعليم وعلى هذا الأساس تأسست المدارس العلمية الشرعية ما تسمى في كردستان ب(الحجرة).

في بلادنا يوجد الكثير من المدارس الدينية لتعليم الأطفال والشباب القراءة والكتابة وعلوم الشريعة الإسلامية، حتى لا تكاد تجد عالماً أو شاعراً أو أديباً أو حتى سياسياً أو قيادياً قاد ثورة إلا وقد كان له نصيب في التعليم في تلك المدارس.

قسم البحث الحالي إلى مقدمة، وتمهيد في تعريف الألفاظ الواردة في العنوان، ومبحثين.

(١) عدنان فرحان تنها. الحوزات العلمية: النشأة والتطور وآفاق المستقبل. (اطروحة دكتوراه)، قم: المركز العلمي للعلوم الإسلامية، ٢٠٠٦، ص ٣.

--- المبحث الأول: في بيان أهم المؤسسات والمدارس الأهلية وتاريخها.

--- أما المبحث الثاني فبينت فيه دور المؤسسات والمدارس الأهلية في الحفاظ على علوم اللغة العربية من خلال دراسة مناهجها.

وتأتي الخاتمة لتلخص أهم ما توصل إليه الباحث من استنتاجات. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: في بيان أهم المنظمات والمدارس الأهلية وتاريخها:

تُعَدُّ منطقة (كوردستان) الواقعة في شمال العراق، من المناطق التي دخلت الإسلام مبكرًا، وعملت على خدمته ونشره والدفاع عنه منذ القدم إلى اليوم، وبقيت محافظة وملتزمة بالإسلام وأحكامه، فلا تجد فيها قرية إلا ولها مسجد وإمام، والحمد لله، وقد تكون فيها مدرسة للعلوم الشرعية. وكانت المنهجية العلمية التي تبناها علماء المنطقة، إذ يقوم الشيخ بتدريس عدد معين من الطلبة الواصلين إلى مرحلة كبيرة (مستعد^(١٨))، وهم بدورهم يقومون بتدريس الجيل الثاني (سوخته^(١٩)) الذين لا يزالون يحتاجون إلى مزيد من التعليم. إذن ففي داخل المدرسة يزاول الطلبة الكبار دور التدريس عدة سنوات حتى يتهيأون ويستقلون بالتدريس فيما بعد. ويقول الشيخ عبد الكريم المدرس رحمه الله^(٢٠)، في مقدمة كتابه: «علمائنا في خدمة العلم والدين»: (لا يخفى على العالم بتاريخ الإسلام أنه بعد انبثاق نور الدين المبين في ربوع شرق الجزيرة وشمالها، اعتنقت الأمة الكردية الإسلام برحابة الصدر، وخدموه في العسر واليسر، وجاءوا بما يسر الناظر من التأليف والمآثر والمفاخر، غير أنه لم تسجل أسماؤهم وآثارهم لعوامل منها:

- خلّو بلادهم من المطابع وأسباب نشر العلوم وابتعادها عن البلاد المأهولة بها.
- أنه لم تكن لهم ثروة كافية للوصول إلى طبع ما يرون نفعه من الكتب القيمة والرسائل النافعة لتثقيف المسلمين، ولذلك ولعوامل أخرى بقيت تراجمهم مكتومة، إلا تراجم عدد قليل منهم هاجروا

(١٨) وهو مصطلح يقصد به أن طالب العلم وصل إلى مرحلة الاستعداد للتدريس، وأصبح قاب قوسين من أخذ الإجازة العلمية.

(١٩) سوخته: أي مبتدي في تحصيل العلم .

(٢٠) هو عبد الكريم بن محمد بن عبدالفتاح بن سليمان، من عشيرة (القاضي)، ولد في شهر ربيع الأول سنة (١٣٢١هـ - ١٩٠٣م)، بدأ بالدراسة عند والده، وختم القرآن الكريم وقرأ بعض كتب المرحلة البدائية، وفي سنة (١٣٣٢هـ)، ذهب إلى السليمانية لإكمال الدراسة، ثم عم الجذب المنطقة فهاجر إلى (دورود) كوردستان - إيران، و أعانه فيها الشيخ علاء الدين ماديا ومعنويا حتى تعلم النحو والفقه والأدب والمنطق والفلك، وفي سنة (١٣٤٠هـ) ذهب إلى خانقاه مولانا خالد في السليمانية، وبقي في الخانقاه يتلقى العلوم من الشيخ عمر القراغي وأخذ منه الإجازة العلمية سنة (١٣٤٣هـ)، وله مؤلفات كثيرة باللغات الثلاث، الكوردية والعربية والفارسية، توفي يوم الثلاثاء في بغداد سنة (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، عليه رحمة الله وبركاته. ينظر: حياة الأجداد من العلماء الأكراد، للشيخ طاهر ملا عبدالله البحركي، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ٢٠١٩/٢.

إلى البلاد العربية وبقوا فيها مدة، أو توطّنوا بها، فسجلت فيها على عادة الناس المتبصرين في ضبط أحوال أهل الفضل في البلاد خدمة لأهل الدين^(٣). ومن أهم المدارس التي لعبت دوراً بارزاً في التربية والتعليم والعرفان وتثقيف الناس بأمور تتعلق بالاهتمام باللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم وتعليم الأطفال والنساء وعلى ضوء المدارس الأهلية الشرعية أسست منظمات أهلية كثيرة تهتم بهذه الأمور حيث ربى أعلامها جيلاً على التربية الروحية وتعليمهم اللغة العربية والحب والتزكية والذكر والفكر، وهذا ما سنبينه من خلال هذا المبحث.

أولاً: مدرسة حاجي كاك أحمد الشيخ السليمانى:

إن لهذا الشيخ دوراً مهماً وبارزاً في جمع شمل المجتمع ولمهم في مكان واحد وهذه الصورة الجميلة رأيناها ونراها في كل يوم بأم أعيننا في جامع ومدرسة ومقام شيخنا الحاج كاكه أحمد الشيخ السليمانى في الجامع الكبير في السليمانية في كردستان العراق.

فمن يذهب إلى هذا المكان يجد الكردي وبزيه الجميل ويجد العربي وبزي قومه ويجد السني والشيعي بل وحتى من بقية الديانات الأخرى وذلك من خلال مواقف أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- وسطيته في سياسة التعايش في منهجه: إذ كانت ولا تزال تعيش في السليمانية طائفة من المسيحيين واليهود والكاكية حيث كان للحاج كاك أحمد الشيخ دوراً فعالاً في تعليم الناس وتثقيفهم منهج الاعتدال والتعايش مع المسلمين وغير المسلمين ولما علم بأن هناك أيادي خبيثة تريد زرع الفتنة بين المسلمين والمسيحيين، زوج ابنه امرأة من المسيحيين اسمها مريم ولما رزقهما الله طفلاً لم يسمه محمداً وإنما سماه عيسى إزداعاً بالوحدة والتقارب بين صفوف المجتمع.

- مطبخ الخيرات: من المشاهد المتألقة التي يرصدها رواد الجامع الكبير في السليمانية وزواره (مطعم الجامع) وهو مكان مخصص لتهيئة وإعداد الطعام لجميع رواد المسجد والمارة والمحتاجين وعموم الناس الراغبين بالأكل والمحتاجين إليه.

{وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [الإنسان: ٨]

(٢١) ينظر :: علمائنا في خدمة العلم والدين، للشيخ عبد الكريم محمد المدرس، مكتبة الوطنية- بغداد- العراق ، ص ٤٣.

أنشأ هذا المطعم المغفور له العلامة الشيخ الجليل كاك أحمد الشيخ "رحمه الله" وصار جزءاً أصيلاً من أجزاء الجامع وأركانه.

إن التكافل والتعاون بيننا هو السبيل الوحيد لبقاء حياة مستقرة آمنة، عمادها القيم النبيلة والأخلاق الحميدة والمعاني الصادقة للإيمان. إن حبنا لبعضنا وتسامحنا وتعاوننا يفتح أبواب الأمل لحياة أفضل ومستقبل أفضل.

وبفضل الله وحمده لا زال مطعم الشيخ كاك أحمد الشيخ في جامع السليمانية الكبير يستقبل العشرات وربما المئات يومياً بروح التأخي والتعاون الإسلامي بعيداً عن المنة والفوقية والطبقية، فتجد في هذا المطعم طلاب العلم والمصلين والمحتاجين وعابري السبيل معاً على حد سواء، لأنه لا فرق بين الإنسان وأخيه الإنسان إلا بالتقوى والعمل الصالح وفعل الخير وحب الناس والتعامل مع المجتمع بإيجابية.

ومن المفرح في هذا العمل الخيري تجد من يأتي لأكل هذا الطعام الغني، لأنه يلتمس فيه البركة والتبرك ولشفاء المرضى، وتجد الكردي والعربي والبنكلاديشي والنيبالي والصيني والإيراني والتركي وغيرهم من بقية البلدان.

والجدير بالذكر أنّ إدارة هذه المدرسة تعطي آلاف الأشخاص من الفقراء ووافدي هذا المكان كل يوم عدا يوم الجمعة الطعام والشراب من دون أن يتسخ المكان أو يؤثر على البيئة، حيث تجد أن هناك مكان مخصص للجلوس على الطاولة لإطعام الطعام وهناك لجنة خاصة للعناية بنظافة هذا المكان.

وأن هناك مكان خاص لزيارة النساء وتعليم العلوم الدينية والعلمية والثقافية في هذه المدرسة المباركة في محافظة السليمانية.

ومن هؤلاء العلماء والشعراء، العلامة الشيخ معروف النودهي الكوردي الذي عاش في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر الهجري ثمانية وثمانون عاماً قضاها في خدمة العلم والشعر والأدب لنا تراثاً علمياً وأدبياً، وخلف من المنظومات العلمية والمؤلفات من مختلف العلوم والفنون ما ينيف على خمسين مؤلفاً كلها آية في البلاغة والبداعة والبراعة، هذا عدا تخاميسه وتسابعيه وتشاطيره من القصائد المشهورة.

ومن المؤسف أن آثاره الأدبية، ومنظوماته العلمية قد تفرقت وتبعثرت في مكتبات الداخل والخارج، فقد قسم منها في حياة الناظم وبعده، وأتى منذ أكثر من عشر سنوات تتبع تلك الآثار المبعثرة في زوايا المكتبات.

ولما كان هذا الإمام اللغوي والناظم الملهم، صاحب اليد الطولى في ميداني العلم والأدب، حق علينا أن نحیی ذكره.

وكان لعلماء المسجد دور هام في الإصلاح والتوجيه والرعاية وكان الشيخ كاكا أحمد عالمًا وفقيرًا ومعلمًا ومصلحًا اجتماعيًا، وكان لعالمنا هذا نهج خاص في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حقوق الأدميين وكان له ضربان عام وخاص في هذا المجال، فأما العام فكان ينظر إليه نظرة عالم عارف وبتصوره هذا كان يشبه الحقوق كالبلد إذا تعطل شربه أو استهدم سوره أو كان يطرقه بنو السبيل من ذو الحاجات فكفوا عن معונاتهم قد أحاطت بهم الخطيئة إنه يرى) رحمه الله (إن كان في أموال الأغنياء مال ... ولم يتوجه عليهم فيه ضرر أمر بإصلاح شربهم وبناء سورهم وبمعرفة بني السبيل في الاجتياز بهم، لأنه حق للفقراء يلزم الأغنياء دفعه بأمر من الله ورسوله، وكذلك دوره في حماية الأديان الأخرى من المسيح واليهود والقوميات الأخرى حيث كان يقضي بينهم بحكم الكتاب والسنة.

ومن كل هذا نستنتج أن دور المساجد والجوامع لم يقتصر على أداء صلوات الجماعة وإقامة الجمعة فحسب، بل كانت الجوامع ولاسيما الجامع الكبير مسجدًا للعبادة ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ومدرسة للعلوم العربية والإسلامية ودارًا للأفتاء ومنتدى للتجديد ومرجعًا دينيًا واجتماعيًا للسليمانية وما جاورها^(٢٢).

ثانيًا: مدرسة كربجنة العلمية الروحية:

تأسست هذه المدرسة على يد السيد الشيخ عبد الكريم عليه السلام حيث ينتهي نسبه إلى الروضة العلية المحمدية ويرتفع نسبه الأعلى إلى الإمام زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم. وقد هاجر أجداده إلى الشمال الأقصى من بلاد الإسلام في موجات الهجرة التي جاءت بعد الاضطهاد الذي لاقته هذه العائلة الشريفة، فاختارت المناطق النائية من الدولة الإسلامية، وكانت لهذه الهجرة أدوار كبيرة في حياة الناس والمسلمين. إذ قادت الأمة الإسلامية قيادة روحية وخدمت الدين بكل وسيلة، وقد كان من بين هؤلاء السادة الذين تركوا الجزيرة العربية وهاجروا إلى أرض الله الواسعة السيد أبو

(٢٢) ينظر: تيسير العسير للشيخ سالار الحفيد مكتبة الوطنية - بغداد - العراق ، ص ٤٣.

يوسف الذي لقب بالهمداني لأنه استقر في مدينة همدان، وكان رجلاً عالمًا متصوفًا زاهدًا وفقيرًا تقياً في الشريعة الغراء، اشتهر أبو يوسف بتقواه والتف حوله آلاف من الناس يتلقون العلوم الدينية والتصوف على يده. وكان له ابن اسمه السيد بابا علي الهمداني، وكان للسيد بابا علي ولدان السيد موسى والسيد عيسى، اللذان انتقلا إلى شمال العراق وسكنا في قرية برزنجة بمحافظة السليمانية ولقبا بالبرزنجي نسبة إلى القرية المذكورة وقد توفي السيد موسى بدون أن يترك ذرية، وبقي السيد عيسى البرزنجي الذي ينتسب إليه جميع السادة البرزنجية بفروعهم المنتشرة ومن ضمنهم العائلة الكسنزانية.

من مواظ مؤسس هذه المدرسة الشيخ عبد الكريم ^{رضي الله عنه} لطلابه: " اعلم يا ولدي إن الدنيا خيال وما فيها إلى زوال، هم أبناء الدنيا دنياهم، وهم أبناء الآخرة آخرتهم، إياك والدعوى الكاذبة، ما أكلت تقنيه، وما لبست تبليه، وما عملت من خير أو شر تلاقيه.

وقد أهتم أعلام هذه المدرسة باللغة العربية حيث ربوا أتباعهم على حب اللغة العربية وتعلمها كونها لغة القرآن الكريم وكذلك شجعوا العنصر النسوي على المشاركة في الأمور الخيرية وتعليم اللغة العربية جنباً إلى جنب مع الرجال.

ثالثاً: مؤسسة العراق للتقريب والحوار:

تأسست مؤسسة العراق للتقريب والحوار في يوم المولد النبوي الشريف من عام ١٤٤٣هـ على يد مجموعة من أساتذة وعلماء وخطباء جوامع وباحثين لتكون منبراً ومجلساً للحوار ليعطي قوة لعمل المؤسسة. إذ قامت هذه المؤسسة بعدد من الجلسات والمؤتمرات والندوات على يد الأمين العام للمؤسسة فضيلة الشيخ الدكتور عبد الأمير الكيلاني حفظه الله الملك المنان.

إذ نجد أن هذه المؤسسة تهتم اهتماماً بالغاً في تعليم علوم اللغة العربية وفتح دورات تعليمية لغير الناطقين بها من الأجانب الذين أتوا من بلدان أجنبية.

رابعاً: مدرسة الشيخ طاهر ملا زادة:

هو الشيخ طاهر الشيخ ملا عباس الشيخ ملا زاده، وملا زاده تعني عائلة العلم لأنه ينتمي إلى بيت من أهل العلم والعرفان نسبة إلى جده السادس.

نشأته: نشأ الشيخ طاهر وتربى في حضن والده الشيخ عباس الذي كان رمزاً في العلم والتربية والزهد، الذي كان يلقب من قبل علماء عصره ب((ولي الداودية))، إذ بدأ في السادسة من عمره بدراسة القرآن الكريم وعلومه وعلوم اللغة العربية والفقه والتفسير والتصوف في مدرسة والده وترعرع فيها حتى أنه أصبح مُدرّساً فيها. وقد بدأ بتدريس بعض العلوم الشرعية في مدرسة والده وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره لشدة ذكائه.

بعد أن أخذ الشيخ طاهر الشيخ ملازاده إجازته العلمية والإرشادية سلك على يديه كثير من الشباب والطلاب والمريدين حتى كثر أتباعه وانتشروا في كثير من مدن العراق، إذ كان له أسلوب خاص في إيصال المعلومات الفقهية والعلمية إلى أذهان طلابه، وكان له في كل مجلس كلمة يزينها بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والقصص والحكايات بحيث يُبكي المستمع ويُضحكه في آن واحد.

كان الشيخ طاهر رحمه الله يحب السفر حباً شديداً، وكان يقول: "نحن قوم اختارنا الله لخدمة دينه وعباده" وأن الناس بحاجة إلى معلم يعلمهم ومرشد يرشدهم، لذلك كان كثير التجوال في أنحاء البلاد والقرى والنواحي المختلفة لوعظ الناس وإرشادهم، وكان إذا عزم على سفر للإرشاد أو للصلح بين عشيرتين كان يتجهز لهذا السفر ولا يتخلف عن أصحابه أبداً، وكان نشيطاً خفيفاً على أصحابه في السفر، حتى أنه كان يقول منذ خمسين سنة وأنا أتجول وأسافر في جميع مدن العراق وخارجه وما تخلفت عن أصحابي في السفر قط. وكان حيث يصل قرية أو ناحية أو أي مكان يستقبله الفقراء قبل الأغنياء والبسطاء قبل الوجهاء والعلماء، وكانوا يدعونه لتناول الطعام عندهم وكان يقبل ذلك بشرط طعام بسيط وعدم الإسراف.

وكان قدس الله سره يباشر بدعوة الناس ووعظهم وإرشادهم حيث كان يعظ الناس حوله، وكان ذا وعظ مؤثر على قلوب الناس، فيرشدهم ويعلمهم الشريعة والطريقة ويأمر ببناء المساجد والمدارس في القرى النائية، ويخلف عليهم من ينوب عنه لتعليمهم آداب دينهم الحنيف وسلوك طريقته، كما يعين عليهم عالماً لتعليمهم أصول الشريعة الغراء السمحاء وكل ما يحتاجه المسلم وهكذا دأبه في كل قرية وناحية ومكان يمر به.

وكان يعظهم على الأخوة والتآلف والمحبة وعدم التفرقة، وكان يقف بوجه كل عصبية وقبلية وقومية ومذهبية. كما كان يقول في سفراته وجولاته نحن كلنا كشجرة جميلة مثمرة، فالشجرة لو قطعت منها أوراقها وأثمارها وأغصانها يا ترى هل تبقى جميلة مثل شكلها وهيئتها الأولى؟ بالتأكيد: لا، لذا كان كثيراً ما يؤكد على هذه الأمور ولو قيل له: يا شيخ إن فلاناً أو البيت الفلاني أو العشيرة الفلانية فيهم صفة التشدد أو

التعصب كان يذهب إليهم أو يدعوهم لحضور مجلسه وبعد حضورهم كان يدعوهم بأسلوبه الرقيق الجميل وبالحكمة والموعظة الحسنة فكانوا يستسلمون ويتركون هذا العنف والتطرف. وكان يرشدهم في جلساته للحفاظ على علم اللغة العربية والتحدث بها. وكان يجلس في مجلسه النساء فيعظهن ويرشدهن ويعلمهن أمور الدين والدنيا والعلوم النافعة في المجتمع.

المبحث الثاني: دور المؤسسات والمدارس الأهلية في الحفاظ على علوم اللغة العربية من خلال دراسة مناهجها:

يبين المبحث الثاني دور المؤسسات والمدارس الأهلية في الحفاظ على علوم اللغة العربية من خلال دراسة مناهجها، فمن البدهة لدى الجميع، أنه من أكبر التحديات التي تواجه المسلمين اليوم هو قضية الإقرار بالتعايش الديني والقومي والثقافي بل وحتى التعايش بين الجنسين (الرجل والمرأة)، ولم يعد الإنسان يشعر بالأمن على نفسه وماله وعرضه، إذ نلاحظ يوميًا مشاهد القتل والتشريد والنزوح، والغريب أن أغلب هذه الأعمال الإجرامية ترتكب باسم الإسلام وفي ظل مسميات إسلامية وبغطاء جماعات وتنظيمات إسلامية حتى خلقوا صورة مرعبة في أذهان غير المسلمين والأجيال الجديدة للمسلمين، وهذا يتطلب منا أن نسهم جميعًا في وقف نزيف الدم وعدم قتل الأطفال والأبرياء وعدم تفجير المساجد وأماكن العبادة وعدم هدم وطمس الموارد الطبيعية من الأشجار ومياه العيون والأنهار وغيرها التي تعد مصدرًا للحفاظ على البيئة، وسد الباب أمام موجات الكراهية والنكران، وعدم السماح بتشويه صورة الإسلام.

ومن أهم الوسائل الفعالة للوقوف أمام هذه الموجة الخطيرة هو إظهار روح الإسلام في صورته الحقيقية، صورة التعايش والتسامح والأخوة وحب الآخرين^(٢٣).

وهذه لا ولن تكون إلا بالرجوع إلى ما جاءت إليه غاية بعثة الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم ألا وهي تربية الفرد والمجتمع بتزكية الأنفس وخلاصها من رذائل الدنيا والركون إلى الشهوات كما قال تعالى:

(٢٣) استندت من مقدمة بحث (تنوع طبقات المجتمع ضرورة إنسانية) الذي تقدم به صاحبه الدكتور جعفر الكواني إلى ندوة: (الحرية الدينية وتعزيز مبدأي الحوار والسلام) المنعقدة في ٢٠١٧/٤/٢٢ في (الأردن) في مركز (الإمام أبو عبد الله الشافعي). ينظر: كتاب: الخطاب الديني وتنوع طبقات المجتمع، د. جعفر الكواني مطبعة: روزهلات / أربيل، الطبعة الأولى ٢٠١٨ بتصرف

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الجمعة: ٢.

فقد طغت موجة من الماديات على قلوب المسلمين قطعت صلتهم بالله وتعلقهم به، فابتعدوا عن كل مظاهر العبودية والالتجاء الصادق إلى الله، حتى وصلوا إلى ما نراه من حيرة وقلق واضطراب. ولا سبيل للخروج من هذا المأزق إلا بالالتزام العبودية لله تعالى والتحرر من عبودية الوثنيات والطواغيت وشهوات الدنيا والماديات على اختلاف أشكالها وأنواعها، تلك العبودية التي لو استجاب الناس لها لعاشوا في اطمئنان وسعادة وسلام، والتي هي أساس العمل الصالح الذي يثمر نهضة الأمة، وينقذ الإنسانية جمعاء من جحيم العبودية والخضوع للبشر، ويرد عليها تراثها ويرفع منزلتها ويمنحها السعادة والفوز في الدارين.

إنّ الحديث عن المصلحين وأئمة الدين والمشايخ المربين لا يبلى مهما تعدد، ولا يمل مهما تردد، لأن الحديث عنهم بركة ورحمة^(٢٤).

ولقد برز في هذا المضمار كثير من المفكرين والعلماء الربانيين ذابوا وانصهروا في بؤفة الحب والخدمة الخالصة لمجتمعاتهم، فصاروا جنوداً مجهولين لم يكن لهم هم ولا غاية إلا خدمة المجتمع وإبلاغ رسالة الله إلى الناس جميعاً من دون منّة على أحد أو مطلب دنيوي، بل كان جلّ اهتمامهم رضاء الله تعالى والفوز بمحبة الله والناس، فلقد انتشر أمثال هؤلاء المصابيح للهداية في أرجاء العالم ولاسيما في جميع البلاد الإسلامية، ولم يكن بينهم أية رابطة إلا رباط الأخوة الإسلامية مع رباط الإنسانية.

وهؤلاء متوزعون على كثير من الأقوام والشعوب والأمم وذلك نبغ من بينهم العلماء والصلحاء كلّ حسب حجمه ومكانه في المجتمع، وما من بقعة في العالم الإسلامي إلا وقد نبغ فيها من بني قومهم علماء مبرّزون وصلحاء مشهورون منهم المفسر والفقيه والنحوي والشاعر والناصح الأمين والماتن والشارح، وهذا مشهور لا حاجة في الإسهاب فيه.

فالحق أنّ سير هؤلاء النبلاء والأعلام معروفة ولكن كما قيل:

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره هو المسك ما كرّرتَه يتّصّوع^(٢٥)

(٢٤) إشارة إلى قول ينسب إلى ابن عُبَيْنَةَ، يَقُولُ: «عِنْدَ ذِكْرِ الصَّالِحِينَ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ» ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأحمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) ٧/٢٨٥.

(٢٥) ينسب هذا البيت للإمام الشافعي ولم أعثر عليه في ديوانه ولكن استشهد به عبد الرحمن الجامي في كتابه "ملا جامي في النحو" في مبحث غير المنصرف.

ينظر: ملا جامي في النحو، لعبد الرحمن الجامي: ص ٣٢.

فلقد برز بعض من هؤلاء العلماء الأعلام في ميدان العلم والتربية والتزكية والصلح والإصلاح وهم كثيرون منهم: ((الشيخ حسن القرجيوارى الحسيني)) قدس سره، حيث كان عالماً عاملاً زاهداً مريباً شاعراً عابداً داعياً إلى الوسطية والاعتدال. وكان كثير الرحمة مع الناس حتى مع الحيوانات، ومن آثار تلك الرحمة أنه كان يذبح بعض الذبائح ويضعها على التلال القريبة من القرية حيث تأتي الحيوانات الضارية وغيرها لتأكل منها وينصح الذي يذبح الذبائح بأن لا يأخذ منها شيئاً فتلك هي حصتهم، ومن رحمة ورفق الشيخ أيضاً: أنه كان يأمر بنثر الحبوب في النهر لتأكل منه الأسماك والحيوانات الأخرى.

وما نراه اليوم في مجتمعاتنا من القتل والتشريد والتطرف والتكفير والتفرقة إنما هو غياب هذه الرحمة المحمدية وغياب تزكية النفوس التي كان يقوم بها مشايخنا أمثال السلطان الشيخ حسن القرجيوارى.

ودعوة الشيخ التي هي "دعوة الإسلام" الذي جاء الأنبياء من أجلها وهي تزكية النفوس البشرية وتربيتها كما قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ البقرة: ١٢٩

وقد ربي الشيخ حسن القرجيوارى جيلاً على الحب والتزكية، والإحساس بمشاعر الآخرين. هذا وكان قدس الله سره كل من يسلك الطريق على يديه يُعلمه آداب وأساسيات الدين، كالوضوء والصلاة والصوم والزكاة، ويعلمه قراءة القرآن، بقدر ما يقوم به فريضة الصلاة إن كان أمياً علمه فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص وإذا كان يجيد القراءة يعلمه أيضاً القراءة الصحيحة كل قدر استطاعته واستيعابه واجتهاده فمنهم من يوفق لختمه، ومنهم من يتعلم عدة أجزاء منه، ومنهم من يتعلم عدة سور منه، ويمنع المرّدين من إطالة الشعر رياءً ويأمرهم بقص الشارب وإعفاء اللحية، ويمنعهم من شرب السجائر.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبذكر أوليائه تنزل الرحمات والصلاة والسلام على سيد السادات وفخر الكائنات حبيبنا محمد أزكى البريات وآله وصحبه والتابعين لهم إلى يوم الميقات.

وبعد في ختام بحثي هذا أسأل الله حسنّها، وأذكر فيها النتائج التي توصلت إليها في بحثي وأعقبها بالتوصيات.

أولاً : النتائج :

١- إن عصر أعلام هذه المدارس الذي عاشوا فيه هو عصر التقلبات السياسية والعسكرية التي ضعفت فيها التربية السمة والثقافة العلمية فظهرت فرق وجماعات وأحزاب تدعو إلى التطرف والعنف والتفرقة بين المسلمين وتكفير المسلمين، وقد ساعد هذا الضعف التربوي في تدهور الناحية الاجتماعية فكثر فيه المشاكل والخلافات بين الرجل والمرأة وعز فيه أهل الصلاح، وغزت المجتمع مظاهر لم تعرف في مجتمع إسلامي سابق. وبالرغم من تدني الحالتين السياسية والاجتماعية استطاع هؤلاء الأعلام أن يربوا جيلاً يجمعهم على الحب والتربية والتآلف، ونبذ التطرف والعنف والإرهاب.

٢- إن هذا الموضوع له أهميته في أن يدرس ويستحق أن يجمع في رسالة علمية ويدرس دراسة دقيقة، مرتبة على مقدمة ومباحث لتستبين الرؤية ويتضح المزيد من هذا الجهد المبارك.

٣- أرجو أن يكون هذا البحث إضافة جديدة في مكتبة أهل اللغة العربية، إذ اشتمل على جهود مجموعة أعلام وهذا البحث بمثابة جمع جهودهم الإصلاحية في المجتمع. هذا أبرز ما توصلت إليه نتائج هذا البحث. وبناءً على ذلك أوصي بما يلي:

ثانياً: توصيات ومقترحات:

-وجملة هذه التوصيات والمقترحات نوجزها فيما يلي:

١- العمل على إنشاء دورات تربوية للمساجد والحسينيات والمدارس والتكايا، ويُدرس حياة المشايخ المربين أمثال الشيخ طاهر ملا زادة والشيخ كاك أحمد السليمان، لكي ينشأ المجتمع منشأ هؤلاء الأعلام الذين تربوا على العلم والعمل به من التزكية والتربية والمحبة ولنبد العنف والتطرف.

٢- تأسيس منظمات ومؤسسات لتوعية الناس في الأماكن السياحية لتثقيفهم للحفاظ على سلامة اللغة العربية لغير الناطقين بها خلال الجولات السياحية.

هذا ما وفقنا الله لدراسته في هذا البحث، كما نسأله أن يغفر لنا ما كان منا في كتابة بحثنا من الأخطاء والزلل، وأن يكون هذا البحث ممّا يُنتفع به، إنه سميع مجيب وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الخطاب الديني وتنوع طبقات المجتمع، د. جعفر الكواني.
- ٣- تفسير ابن كثير.
- ٤- صحيح مسلم (٢٠٨٨/٤ ح ٢٧٢٢).
- ٥- مختار الصحاح: زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي.
- ٦- www.niqash.org.
- ٧- مناقبات ولي الله الباري الشيخ حسن القرجيوار، تأليف محمد سعيد البرزنجي.
- ٨- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لجمال الدين الجوزي.
- ٩- معجم المؤلفين، لعمر بن رضا كحالة الدمشقي.
- ١٠- جواميريكاني شيخ حسن قرجيوار، شيخ محمد برزنجي، ترجمة: عبد الفتاح شيخ عبد الله.
- ١١- وجوب إعفاء الحية، لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي.
- ١٢- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي.
- ١٣- سنن أبي داود ٤٣٧٣ في الحدود.
- ١٤- المعجم الكبير للطبراني (٤٥/٣ ح ٢٦٣٤).
- ١٥- مجمع الزوائد للهيتمي.
- ١٦- موارد الزمان لدروس الزمان، لعبد العزيز بن محمد السلمان.
- ١٧- شرح طيبة النشر.

موقع المجلة الإلكتروني

www.diaalfekr.com

<https://ojs.diaalfekr.com>

مركز المجلة: بيروت - لبنان

هاتف ٠٠٩٦١٧٠ ٨٢٠٠٧٨

البريد الإلكتروني : rsj@diaalfekr.com - diaalfekr.sj.lb@hotmail.com



دار النهضة العربية
بيروت - لبنان